



من صحيح مسلم





قام به فريق التفريغ في شبكة بينونة للعلوم الشرعية

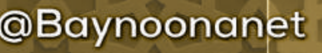


لتحميل التفريغ











www.baynoona.net



يسر شبكة بينونة للعلوم الشرعية
أن تقدم لكم تفريغا لدورة بعنوان

"شرح كتاب التوبة"
شرح كتاب التوبة

" من صحيح مسلم"
من صحيح مسلم

ألقاها الشيخ

أسامة بن سعود العمري

-حفظه الله تعالى-

نسأل الله –سبحانه وتعالى- أن ينفع به الجميع
قام بها فريق التفريغ
بشبكة بينونة للعلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد عبده ورسوله وصفيه وخليله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى آتاه اليقين، اللّهم صلي وسلم وبارك على نبينا محمد وإله وصحبه أجمعين.

قال الإمام مسلم -رحمه الله- تعالى في صحيحه:

"كتاب التوبة"

"بَاب فِي الْحَضِّ عَلَى التَّوْبَةِ وَالْفَرَحِ بِهَا"

■ قال: حَدَّثَنِي سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ مَيْسَرَةَ حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي وَاللَّهِ لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالْفَلَاةِ وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا وَإِذَا أَقْبَلَ إِلَيَّ يَمْشِي أَقْبَلْتُ إِلَيْهِ أُهَرْوِلُ»[1].

■ قال: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنِ قَعْنَبٍ الْقَعْنَبِيُّ حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ يَعْنِي ابْنَ

---

(١) صحيح مسلم (٢٦٧٥).

عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِزَامِيَّ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنْ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِكُمْ بِضَالَّتِهِ إِذَا وَجَدَهَا وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَعْنَاهُ»[1].

■ قال: وحدثنا محمد بن رافع، قال حدثنا عبد الرزاق، قال أخبرنا معمر عن همام بن منبة، عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- بمعناه[2].

■ قال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، وإسحاق بن إبراهيم واللفظ لعثمان، قال إسحاق: أخبرنا وقال عثمان حدثنا جرير عن الأعمش عن عمارة بن عمير، عن الحارث بن سويد.

■ قال: دخلت على عبد الله بن عمر أعوده وهو مريض، فحدثنا بحديثين: حديث عن نفسه، وحديثًا عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «لله أشد فرحًا بتوبة عبده المؤمن من رجل في أرض دوية مهلكة معه راحلته، عليها طعامه وشرابه، فنام فاستيقظ وقد ذهبت فطلبها حتى أدركه العطش». ثم قال: « أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه،

---

(١) صحيح مسلم (٢٦٧٥).

(٢) صحيح مسلم (٢٦٧٥).

فأنام حتى أموت، فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ وعنده راحلته عليها زاده طعامه وشرابه، فالله أشد فرحًا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده»[1].

■ قال: وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال حدثنا يحيى بن آدم، عن قتبة بن عبد العزيز، عن الأعمش بهذا الإسناد، وقال: «رجل من بداوية من الأرض»[2].

■ قال: وحدثني إسحاق بن منصور، قال أخبرنا أبو أسامة، قال حدثنا الأعمش، قال حدثنا عمارة بن عمير، قال سمعت الحارث بن سويد قال حدثني عبد الله -رضي الله عنه- حديثين: أحدهما عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والآخر عن نفسه فقال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «لله أشد فرحًا بتوبة عبده المؤمن»[3] بنفس حديث جرير.

■ قال: حدثنا عبيد الله بن معاذ العنبري، قال حدثنا أبي، قال حدثنا أبو يوسف، عن سماك قال: خطب النعمان بن بشير فقال: «لله أشد فرحًا بتوبة عبده من رجل حمل زاده ومزاده على بعير، ثم سار حتى كان بفلاة من الأرض فأدركته القائلة فنزل. فقال: تحت شجرة فغلبته عينه وانسل بعيره، فاستيقظ فسعى شرف، فلم ير شيئًا ثم سعى شرفًا ثانيًا فلم ير شيئًا، ثم سعى شرفًا ثالثًا فلم ير شيئًا، فأقبل

(١) صحيح مسلم (٢٧٤٤).

(٢) صحيح مسلم (٢٧٤٤).

(٣) صحيح مسلم (٢٧٤٤).

حتى أتى مكانه الذي قال فيه، فبينما هو قاعد إذ جاءه بعيره يمشي حتى وضع خطامه في يده، فلله أشد فرحًا بتوبة العبد من هذا حين وجد بعيره على حاله».

قال سماك: فزعم الشعبي أن النعمان رفع هذا الحديث إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– وأما أنا فلم أسمعه[1].

■ قال: حدثنا يحيى بن يحيى وجعفر بن حميد، قال جعفر حدثنا، وقال يحيى: أخبرنا عبيد الله بن إياد عن إياد عن البراء بن عازب –رضي الله عنه– أنه قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «كيف تقولون بفرح رجل انفلتت منه راحلته تجر زمامها بأرض قفر ليس لها طعام ولا شراب، وعليها له طعام وشراب، فطلبها حتى شق عليه، ثم مرت بجزر شجرة، فتعلق زمامها فوجدها متعلقة به» قلنا شديدًا يا رسول الله، فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «أما والله لله أشد فرحًا بتوبة عبده من الرجل براحلته».قال جعفر: حدثنا عبيد الله بن إياد عن أبيه[2].

■ قال: حدثنا محمد بن الصباح وزهير بن حرب قالا: حدثنا عمر بن يونس، حدثنا عكرمة بن عمار، حدثنا إسحاق بن عبد الله بن طلحة، حدثنا أنس بن مالك، وهو عمه، قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «لله أشد فرحًا بتوبة

---

(١) صحيح مسلم (٢٧٤٥).

(٢) صحيح مسلم (٢٧٤٦).

عبده، حين يتوب إليه، من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة، فاضطجع في ظلها، قد أيس من راحلته، فبينا هو كذلك إذا هو بها، قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللّهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح»[1].

■ قال: حدثنا هداب بن خالد، قال حدثنا همام، قال حدثنا قتادة عن أنس بن مالك -رضي الله عنه-، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «لله أشد فرحًا بتوبة عبده من أحدكم إذا استيقظ على بعيره، قد أضله بأرض فلاة»[2].

وحدثنيه أحمد الدارمي، قال حدثنا حبان، قال حدثنا همام، قال حدثنا قتادة، قال حدثنا أنس -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، بمثله[3].

الشرح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وصفيه وخليه، بلغ الرسالة

---

(١) صحيح مسلم (٢٧٤٧).

(٢) صحيح مسلم (٢٧٤٧).

(٣) صحيح مسلم (٢٤٤٧).

وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، اللّهم صلي وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد؛

فإننا سنشرع بإذن الله -سبحانه وتعالى- في شرح كتاب التوبة من صحيح الإمام مسلم -رحمه الله-، وذكر -رحمه الله- في كتاب التوبة الأحاديث التي جاءت في الحض على التوبة، والحث عليها، وفي فرح الله -سبحانه وتعالى- بتوبة العبد، وسنذكر بإذن الله -سبحانه وتعالى- مسائل.

وهذه المسائل قد قال عنها ابن القيم -رحمه الله- في "**كتاب المدارج**" قد قال عن بعضها في كتاب المدارج، ولا يليق بالعبد جهلها، لا يليق بالعبد أن يجهل هذه المسائل؛ وذلك لأننا ما منا واحد إلا وهو يحتاج إلى التوبة، فهذه المسائل متعلقة بجميع المكلفين، من النساء والرجال والذكر والإناث، ومن الإنس والجن، فهي مسائل مهمة في باب التوبة.

أول هذه المسائل معنى التوبة لغةً واصطلاحًا:

المسألة الأولى:

التوبة لغة: بفتح التاء وسكون الواو، مأخوذة من توب والتاء والواو والباء، كلمة واحدة تدل على الرجوع، هذا هو أصل الكلمة، وممن يهتم بأصول الكلمات ابن فارس -رحمه الله- في مقاييس اللغة، والصواب في تسمية هذا الكتاب في مقاييس اللغة.

وأما ما أدخل من قولهم معجم مقاييس اللغة، فإن الصواب في ذلك، والعلم عند الله -سبحانه وتعالى-، كما نبه على ذلك غير واحد من أهل العلم في مقاييس اللغة، وإذا كتب اللغة هي معاجم للغة العربية، فالذي يهتم أو ممن يهتم بأصول الكلمة ابن فارس -رحمه الله- وقد نبذه على ذلك هو نفسه في مقدمة مقاييس اللغة.

فالتوبة مأخوذة من توب والتاء والواو والباء كلمة واحدة تدل على الرجوع، يقال: تاب من ذنبه أي رجع عنه يتوب إلى الله توبة ومتابًا.

ومعنى التوبة اصطلاحًا: قال النووي -رحمه الله- في شرح صحيح مسلم والمراد بالتوبة الرجوع عن الذنب، وقال ابن القيم -رحمه الله- في المدارج التوبة هي رجوع العبد إلى الله، ومفارقته لصراط المغضوب عليهم والضالين.

وتوبة الله على خلقه توبتان، فالله ﷻ له على العبد توبتان، توبة بمعنى التوفيق، أن يوفق العبد للتوبة، توبة بمعنى التوفيق للتوبة، وتوبة بمعنى قبول التوبة.

والدليل على هذا ما جاء في قول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[التوبة: ١١٨] في قوله: ثم تاب عليهم ليتوبوا؛ أي: وفقهم للتوبة فتابوا، فهذا المعنى الأول في توبة الله للعبد.

أما التوبة الأخرى وهي قبول توبة العبد، فذلك في قول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾[الشورى: ٢٥] كذلك جاء في القرآن معنى التوبة بالرجوع بهم من التشديد إلى التخفيف، ومن الحظر إلى الإباحة، كما جاء في قوله الله -سبحانه وتعالى-: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾[المزمل: ٢٠].

فالمقصود فتاب عليكم هنا أي رجع بكم إلى التخفيف، وهذا كما هو معلوم ما جاء في قيام الليل، فإن الله -سبحانه وتعالى- قد ذكر في أول هذه السورة أعني في سورة المزمل أنه أمر رسوله -صلى الله عليه وسلم- بقيام نصف الليل، أو بقيام ثلث الليل أو بقيام الثلثين والأصل أن أمته أسوة له صلى الله عليه في الأحكام.

وذكر في هذا الموضع أنه امتثل ذلك هو وطائفة معه من المؤمنين ولما كان تحرير الوقت المأمور به فيه مشقة على الناس أخبر أنه سهّل عليهم في ذلك غاية التسهيل، فقال: ﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [المزمل: ٢٠] أي يعلم مقادير الليل والنهار، وما يمضي منهما ويبقى. ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ أي لن تعرفوا مقداره إلى آخر ما ذكره أئمة التفسير، والمقصود أنه حصل التخفيف، وهذا من معاني التوبة في كتاب الله -سبحانه وتعالى-.

كذلك ما جاء في الحظر بعد الإباحة، ما جاء من الحظر إلى الإباحة، ما جاء في قول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]. فالمقصود هنا ما كان في الصيام من أنه إذا نام أحد فإنه يبقى إلى اليوم التالي ثم بعد ذلك حصل نسخ هذا الحكم.

المسألة الثانية: هل هناك فرق بين التوبة والإنابة والأوبة؟ قال القاضي عياض -رحمه الله- في إكمال المعلم، وفرّق بعضهم بين هذه الألفاظ، وقال التوبة أولًا وكأنها الإقلاع، والإنابة بعدها والأوبة آخرها، وبعض أهل العلم لم يفرّق بين هذه الألفاظ.

المسألة الثالثة: كيف تحصل للعبد التوبة؟ قال ابن القيم -رحمه الله-: التوبة هي رجوع العبد إلى الله، ومفارقته لصراط المغضوب عليهم والضالين، وذلك لا يحصل إلا بهداية الله إلى الصراط المستقيم، وذلك لا يحل إلا بهداية الله إلى الصراط المستقيم، ولا تحصل هدايته إلا بإعانته وتوحيده.

ثم قال -رحمه الله- فقد انتظمتها سورة الفاتحة أحسن انتظام، وتضمنتها أبلغ تضمن فمن أعطى الفاتحة حقها علمًا وشهودًا وحالًا ومعرفة، علم أنه لا تصح له قراءتها على العبودية إلا بالتوبة النصوح، يعني أن يمتثل ما فيها، إياك نعبد وإياك نستعين، أهدنا الصراط المستقيم.

ثم بعد ذلك ما كان من البعد عن المغضوب عليهم، وكذلك الضالين لذلك قال علم أنه لا تصح له قراءتها على العبودية إلا بالتوبة النصوح، فإن الهداية التامة

إلى الصراط المستقيم لا تكون مع الجهل بالذنوب ولا مع الإصرار عليها، فإن الأول جهل ينافي معرفة الهدى، كما هو حال النصارى، والثاني غيٌّ ينافي قصده وإرادته، كما هو حال اليهود، فذلك لا تصح التوبة إلا بعد معرفة الذنب، والاعتراف به وطلب التخلص من سوء عواقبه أولًا، وأخرًا.

لذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في كتابه "**الاستقامة**": **ومعلوم أن التوبة هي جماع الرجوع من السيئات إلى الحسنات،** ولهذا لا يحبط جميع السيئات إلا التوبة، كما أن الردة هي جماع الرجوع من الحسنات إلى السيئات، ولهذا لا يحبط جميع الحسنات إلا الردة على الإيمان.

المسألة الرابعة: حكم التوبة، لو قال: ما حكم التوبة؟ الجواب: قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[النور: ٣١]، وتوبوا كما قال أهل العلم: أمر والأمر يدل على الوجوب وقد قال القرطبي -رحمه الله-: واتفقت الأمة على أن التوبة فرض على المؤمنين، لقوله تعالى: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ﴾.

وقال القاضي عياض في إكمال المعلم، بعد أن ذكر فرضية التوبة، قال: وهي من جملة أمهات الفرائض اللازمة.

المسألة الخامسة: هل هناك توبة مستحبة؟

الجواب: هناك توبة مستحبة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: التوبة نوعان:- **واجبة ومستحبة.**

التوبة الواجبة: من ترك مأمور أو فعل محظور، فيجب عليك أن تتوب، فالواجبة هي التوبة من ترك مأمور أو فعل محظور وهذه واجبة على جميع المكلفين، كما أمر الله بذلك في كتابه وعلى ألسنة رسله.

وأما **التوبة المستحبة**: فهي التوبة من ترك المستحبات وفعل المكروهات، فمن اقتصر على التوبة الأولى، يعني التوبة الواجبة كان من الأبرار المقتصدين، ومن تاب التوبتين كان من السابقين المقربين، ومن لم يأت بالأولى يعني التوبة الواجبة كان من الظالمين، إما الكافرين وإما الفاسقين.

وقد جاء هذا في كتاب الله -سبحانه وتعالى- في آيات ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾[فاطر: ٣٢]

فالتوبة على هذا لها مراتب: -

المرتبة الأولى: وهذه المرتبة هي أعلى مراتب التوبة، أن يتوب التوبتين، التوبة الواجبة، والتوبة المستحبة.

المرتبة الثانية: أن يتوب توبة واحدة، وهي التوبة الواجبة.

المرتبة الثالثة: لا يتوب لا توبة واجبة ولا توبة مستحبة، عياذًا بالله.

المسألة السادسة: إذا قلنا أن التوبة فرض في الأصل، فهل التوبة على التراخي أم على الفور؟ لو أن إنسان أذنب هل يجب أن يتوب على الفور أو له أن يؤخر التوبة؟ التواب بلا شك أن التوبة واجبة على الفور، كما قال الله -سبحانه

وتعالى-: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوَءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَـئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[النساء: ١٧] إلى آخر الآيات.

فالتوبة -بلا شك- أنها على الفور وهذا الأمر كذلك داخل في المسارعة إلى الخيرات والمسابقة إلى الأعمال الصالحات.

المسألة السابعة: حكم تأخير التوبة:

هل لو آخر المذنب التوبة يجب عليه أن يتوب توبة أخرى عن التأخير؟ الجواب ما قاله ابن القيم -رحمه الله- في مدارج السالكين وكتاب مدارج السالكين من أهم الكتب في باب التوبة، وقد أُفرد في مجلد لطيف.

فإن الموجود باسم كتاب التوبة لابن القيم -رحمه الله- في مجلد فإن ابن القيم لم يصنف كتابًا في التوبة إنما قد أخذ هذا الكتاب من كلامه -رحمه الله- في المدارج، كما أن من أوسع من تكلم في تفسير سورة الفاتحة، ابن القيم -رحمه الله- أيضًا في المدراج، وهذا على خلاف ما يكون في مظان تفسير سورة الفاتحة.

فإن الأصل في تفسير سورة الفاتحة أن يرجع الطالب إلى كتب التفسير، ولكن كذلك من أراد أن يفسر سورة الفاتحة، يراجع كلام أهل العلم -رحمهم الله- في هذه السورة، فإنه يراجع كتاب مدارج السالكين، لابن القيم -رحمه الله-.

قال ابن القيم -رحمه الله-: إن المبادرة إلى التوبة من الذنب فرض على الفور، ولا يجوز تأخيرها، يعني لا يجوز تأخير التوبة، فمتى أخرها عصى بالتأخير، فعنده ذنب وقع فيه، مثلًا وقع في الكذب فيجب عليه أن يبادر إلى التوبة، فأخر التوبة عن الكذب فوقع في كم، في ذنبين، ذنب الكذب وذنب تأخير التوبة.

قال ابن القيم -رحمه الله-: إن المبادرة إلى التوبة من الذنب فرض على الفور، ولا يجوز تأخيرها، فمتى أخرها عصا بالتأخير فإذا تاب من الذنب يعني من ذنب ماذا؟ على المثال الذي ذكرناها، من ذنب الكذب بقي عليه توبة أخرى، وهي توبته من تأخير التوبة.

هذه المسألة هل هي مسألة مشهورة، معلومة، عند عموم المكلفين، أو هذه المسألة مسألة غير مشهورة عند الناس؟ الجواب: بلا شك أن كثيرًا من الناس يؤخر التوبة ثم بعد لك لا يتوب من تأخير التوبة.

قال ابن القيم وهو طبيب مثل هذه المسائل: قال -رحمه الله- وقل أن تخطر هذه ببال التائب، يتوب من النظر المحرم لكن بعد أن سوف، يتوب من سماع ما حرّم الله، ولكن بعد أن سوّف، يتوب من عقوق الوالدين، لكن بعد أن سوّف، يتوب من ترك الصلوات، ولكن بعد أن سوف، يتوب من كذا وكذا، لكن بعد أن سوف، ولا يتوب من تأخير التوبة.

قال ابن القيم -رحمه الله-: وقلّ أن تخطر هذه ببال التائب، بل عنده أنه إذا تاب من الذنب لم يبقى عليه شيء آخر، وقد بقي عليه التوبة من تأخير التوبة.

طيب كيف النجاة؟

المبادرة بالتوبة هذا أولًا، لأننا قد أخذنا أن التوبة عبادة من العبادات المأمور بها شرعًا، فيجب على العبد أن يبادر إلى فعل الواجبات ولكن قال ابن القيم كذلك ولا ينجي من هذا إلا توبة عامة، إنسان آخر كثير من ذنوب كثيرة ونسى.

قال ابن القيم -رحمه الله-: **ولا ينجي من هذا إلا توبة عامة، مما يعلم من ذنوبه ومما لا يعلم، فإن ما لم يعلمه العبد من ذنوبه، أكثر مما يعلمه، ولا ينفعه في عدم المواخذة بها جهله إذا كان متمكنًا من العلم، فإنه عاص بترك العلم والعمل.**

لو قال قائل: أنا جاهل ولا أعلم، أنا أقول عليك كان الواجب أن تتعلم، فتركت العلم، والعمل، فالمعصية في حقه أشد، وجاء عند ابن حبان، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «الشرك في هذه الأمر أخفى من دبيب النمل»، فقال أبو بكر: فكيف الخلاص منه يا رسول الله؟ قال: «أن تقول اللّهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم»[1]، فهذا طلب الاستغفار مما يعلمه الله أنه ذنب ولا يعلمه العبد.

---

(١) صحيح البخاري (٧١٦).

وفي الصحيح عنه -صلى الله عليه وسلم- أنه كان يدعو في صلاته: «اللَّهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني، فهذه تسمى توبة عامة. كذلك ما جاء اللَّهم اغفر لي ذنبي كله، دقه، وجله، خطأه، وعمده، سره وعلانيته، أوله وآخره»[1].

قال ابن القيم -رحمه الله-: **فهذا التعميم، وهذا الشمول ليتأتى التوبة على ما علمه العبد من ذنوبه وما لم يعلمه.**

المسألة الثامنة: غلط يقع فيه بعض الناس في التوبة:

قال القاضي عياض -رحمه الله- في "**إكمال المعلم**": وربما غلط بعض المذنبين، ودام على الإصرار خوفًا من أن يتوب فينقض توبته، وهذا حاصل، فإن بعض المذنبين لما تنصحه، قال: والله أخشى إن تبت أن أنتكس، أخشى إن تبت أن أرجع إلى هذه المعصية.

قال ابن القيم -رحمه الله-: قال القاضي عياض -رحمه الله-: وربما غلط بعض المذنبين ودام على الإصرار خوفًا من أن يتوب فينقض توبته، وهذا اغترار وجهالة. ولا يحسن أن يترك واجبًا عليه على الفور، خوفًا أن يقع منه بعده ما ينقضه.

---

(١) صحيح مسلم - الصلاة (٤٨٣) سنن أبي داود - الصلاة (٨٧٨).

المسألة التاسعة: شروط التوبة: -

توبة العبد تحتاج إلى شروط، فإن التوبة عبادة، إذ ليس كل توبة مقبولة، وليس كل من قال أنا تائب إلى الله يكون في الحقيقة تائبًا، بل لا بد من شروط، قال النووي -رحمه الله-: وللتوبة ثلاثة أركان: أن يقلع عن المعصية ويندم على فعلها، ويعزم ألا يعود إليها.

وقال أبو عبد الله القرطبي -رحمه الله- في التفسير: وهي أربعة يعني شروط التوبة قال وهي أربعة: الندم بالقلب، وترك المعصية في الحال، والعزم على أن لا يعود إلى مثلها، وأن يكون ذلك حياء من الله، لا من غيره، فإذا اختل شرط من هذه الشروط لم تصح التوبة، وقد قيل من شروطها: الاعتراف بالذنب وكثرة الاستغفار.

وقال القاضي عياض في إكمال المعلم: ذهب بعض مشايخنا إلى أن التوبة ونجد أن هناك زيادات من عالم على عالم قال القاضي عياض -رحمه الله- ذهب بعض مشايخنا إلى أن التوبة الإقلاع عن الذنب والندم على ما سلف، والعزم على أن لا يعاود الذنب.

وقال آخرون: الأول هذا مشهور وهو المشهور عند العلماء -رحمهم الله-، إلا ما قد زاده القرطبي -رحمه الله- كما سمعتم، وقال آخرون إن التوبة الندم، فقط، قال وفي ضمن ذلك ترك فعله في الحال والمستأنف؛ لأنه إذا ندم على ذنبه لم يفعله الآن وتركه.

يعني: يقصد القاضي عياض إن باقي الشروط داخلة في الندم توبة، قال وعزم على أن لا يفعله، أصحاب هذا القول قالوا إن باقي الشروط داخلة في الندم توبة، واحتجوا على ذلك بقوله -صلى الله عليه وسلم- كما روى ذلك أحمد في مسنده وغيره «**الندم توبة**»[1] وهو حديث صحيح.

ولكن قال الذين فصّلوا قالوا: المقصود بالندم توبة أي أن معظم شروط التوبة وخصالها في الندم، كما قيل الحج عرفة، هذه الشروط الأول: الندم، الثاني: الإقلاع، الثالث: العزم، هذه الشروط في صحة التوبة زاد أهل العلم شرطًا إذا كان الأمر متعلق بحق آدمي، وهو في رد مظلمته ويتحلله من ذلك بطيب نفسه، فإن كانت المظلمة مالًا فلا يخلو الأمر من حالتين: -

الحالة الأولى: أن يكون صاحب المال معلومًا، أخذ من زيد مالًا خلسة اختلاسًا، سرقة، صاحب المال معلوم.

الحالة الثانية: أن يكون صاحب المال مجهولًا، وهذا حاصل كثير خاصة في الذي كان قبل استقامته عنده شيء من عدم الانضباط وعدم الخوف من الله أو ضعف الخوف من الله -سبحانه وتعالى- فقد يكون أخذ شيء من هنا أو هنا، أو حتى بعد أن كبر وقبل أن يتوب إلى الله فما الحل؟ إذا كان مالًا إذا كان معلومًا وإذا كان مجهولًا؟

(١) أخرجه أحمد ، وابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٨٠٢).

قال أهل العلم -رحمهم الله-: أما في الحالة الأولى إذا كان صاحب المال معلومًا فلا بد أن يوصل المال إليه، لكن لو خشي على نفسه، لو أوصله بنفسه أن يقول له صاحب المال، المال كان أكثر، وأنت قد أرجعت الشيء القليل، هو تائب، ويريد أن يثبت على توبته.

قال أهل العلم: يمكن أن يعطي شخصًا يثق به، ليوصل المال إلى صاحب المال المعلوم، ويقول يا فلان إني سرقت هذا المال من فلان وقد ندمت وتبت إلى الله -سبحانه وتعالى-، وأعطه بفضلك هذا المال وقل له: هذه دراهم ولم يسميه، هذه دراهم من إنسان تستحقها عليه، وهو الآن يرجعها لك.

لكن قال أهل العلم: ويُشترط في الذي توكله في هذا الباب أن يكون هو ثقة أمينًا عند صاحب المال لأن صاحب المال قد يتهم من؟ الوكيل، فقالوا لا بد أن يكون الذي توكله ثقة أمينًا عند صاحب المال، أو أنه يوصل المال بطريقة معينة، كأن يجعل المال في ظرف أو يحول له المال إذا كان يعرف له حوالة، لكنه يجب عليه أن يوصل المال إلى أصحابه.

أما إذا كان صاحب المال مجهولًا، سرق من هنا وسرق من هنا، ولا يدري من هم أصحاب هذه الأموال، كما لو سرق من أناس ونسيهم، أو جهلم ولا يدري أين هم، فهذا قال أهل العلم يتصدق بما سرق عنهم.

أما إذا كان الحق غير مالي، أما إذا كان الحق غير مالي، تكلمنا إذا كان الحق ماليًا، فهو على كم حالة؟ الأولى أن يكون صاحب المال معلومًا، الحالة الثانية أن يكون صاحب المال مجهولًا.

أما إذا كان الحق غير مالي، مثل إنسان اغتبته في مجلس أو في مجالس فكيف تكون التوبة من هذا الفعل؟

قال أهل العلم -رحمهم الله-، أو قال بعض أهل العلم -رحمهم الله-: لا بد أن تذهب إليه، وتستحله، وإلا فسيأخذ من حسناتك يوم القيامة، في حديث أتدرون من المفلس؟ هذا **القول الأول**.

القول الثاني: لا يجب أن تستحله، وتذهب إليه، بل تستغفر له، وتثني عليه في المجالس التي كنت تغتاب هذا الشخص فيها والحسنات يذهبن السيئات.

وقد جاء في حديث، ولكنه فيه مقال، كفارة من اغتبته أن تستغفر له، لكن لا يصح، قد ذكره السخاوي -رحمه الله-، وذكر علله في المقاصد الحسنة.

القول الثالث: وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-، واختيار شيخنا الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-، إن كان صاحبك الذي اغتبته قد علم بذلك فلا بد أن تذهب إليه وتستحله، علم أنك اغتبته تكلمت فيه، سببته، شتمته، لأنه لن يزول ما في قلبه حتى تستحله، أما إذا لم يعلم، فيكفي أن تستغفر له، وأن تثني عليه في المجالس التي كنت تغتابه فيها.

كذلك نبه العلماء -رحمهم الله- على هذا الذي اغتبته، قال أهل العلم: وينبغي لمن جاء إليه أخوه يعتذر منه أن يسامحه، ينبغي على الإنسان اغتاب آخر ثم تاب، وذهب إلى أخيه، المنبغي على الذي قد اغتيب أن يسامح أخاه، ولا ينبغي على الذي قد اغتيب أن يناقشه، يقول اغتبتني في ماذا؟ كذبت عليّ في ماذا؟ وما فعلت وماذا قلت، قال أهل العلم ولا ينبغي أن يناقش ويرى ما الذي حصل لأنه ربما يذكر شيئًا كبيرًا فتعجز نفس صاحبه على أن يحلله.

لما عرف أنه اغتابه في أشياء عظيمة فتأتيه نفسه تقول له لا تحلل، قال أهل العلم، والمنبغي على هذا الذي جاء إليه أخوه يتحلله ألا يناقشه ولا يذكر له شيء ويسامحه، لأن النفس أمارة بالسوء، فالأولى ألا يسأل وأن يحتسب الأجر عند الله -سبحانه وتعالى-.

المسألة العاشرة:

أيهم أهم: التوبة من ترك الحسنات أو التوبة فعل السيئات؟

بعض الناس إن ترك الصلاة توبته ضعيفة، وإن فعل الزنا توبته شديدة، بعض الناس إن ترك الزكاة توبته خفيفة، وإن شرب الخمر توبته شديدة ويحصل عنده شيء من القلق.

قال أهل العلم -رحمهم الله-: في أيهم أهم التوبة من ترك الحسنات، أو التوبة من فعل السيئات، قال والتوبة رجوع عما تاب منه إلى ما تاب إليه، فالتوبة المشروعة هي الرجوع إلى الله، وإلى فعل ما أمر أو ما أمر به، وترك ما نهى عنه.

ثم قالوا: وليست التوبة من فعل السيئات فقط، بعض الناس يظن أن التوبة فقط من فعل السيئات، إذا شرب خمرة تاب، إذا فعل عمل قوم لوط تاب، إذا سرق تاب، إذا كذا من المنهيات، يظن أن التوبة فقط في المنهيات.

لذلك بعض الناس ينام عن الصلوات المفروضة عمدًا، ثم يأتي الصباح وقد تكلم مثلًا مع امرأة في الهاتف كلامًا سيئًا فيه شيء من الفحش، فيأتي الصباح وقلق على أن يعاقب على الكلام الفاحش مع المرأة، وأما تركه للصلاة عمدًا حتى خروج الوقت ليس على خاطره وليس على باله، هذا حاصل، أنه يقلق في فعل السيئات، ولا يقلق في ترك الحسنات.

قال أهل العلم: وليست التوبة من فعل السيئات فقط، كما يظن كثير من الجهال، لا يتصورون التوبة إلا عما يفعله العمل من القبائح، كالفواحش والمظالم، يقول والله أنا اختلست من الشركة الفلانية، وهو مضيع للصلاة، مضيع للزكاة، لم يحج مع قدرته على الحج، هذا كله ليس على باله، إنما الذي على باله الاختلاس، كل منهم ذنب بلا شك، لا نهون من فعل السيئات أبدًا، لكن نعظم كذلك في مسألة ترك الحسنات.

قال أهل العلم: كما يظن كثير من الجهال، لا يتصورون التوبة إلا عما يفعله العبد من القبائح، كالفواحش والمظالم، بل التوبة من ترك الحسنات المأمور بها أهم من التوبة من فعل السيئات المنهي عنها.

المسألة الحادية عشر:

هل من لم يتب ظالم؟، هل يقال لمن يتب أنت ظالم أو هو ظالم؟، هل يكون ظالمًا من لم يتب؟ الجواب نعم. قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُون ﴾، فقسّم الله ﷻ العباد إلى قسمين إلى تائب وظالم، وليس هناك قسم ثالث، وأوقع الله ﷻ اسم الظالم على من لم يتب.

قال ابن القيم -رحمه الله-: ولا أظلم منه؛ لجهله بربه وبحقه، وبعيب نفسه وآفات أعماله.

لذلك الذي لا يتوب فإنه لم يسلك طريق المنعم عليه، اهدنا الصراط المستقيم، فإذا كان ما وقع فيه من ذنب عن علم ففيه شبه بماذا؟ باليهود، وإن كان ما وقع فيه عن جهل ففيه شبه بالنصارى، ونحن مأمورون بالعلم والعمل.

لذلك كان يدعو نبينا -صلوات ربي وسلامه عليه- هذا الدعاء: «اللّٰهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى»[1].

قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: الهدى العلم النافع، والتقى: العمل الصالح، فالعبد الواجب عليه أن يعلم ويعمل، لذلك في سورة العصر قال: ﴿ وَالْعَصْر إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْر إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا

---

(١) صحيح مسلم (٢٧٢١).

بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾[العصر]، قال أهل العلم -رحمهم الله- ذكر الله -سبحانه وتعالى- في هذه السورة القصيرة الهلكى وذكر الناجين.

لذلك قال **الشافعي -رحمه الله-**: لو ما أنزل الله -سبحانه وتعالى- على خلقه حجة إلا هذه السورة كفتهم أي في قيام الحجة على الناس، ذكر فيها الهلكى، وذكر فيها الناجين.

قال: ﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾[العصر:٢]، قال أهل العلم في التفسير: أي: أن جنس الإنسان في خسران، وفي نقصان، هؤلاء من؟ الهلكى، ثم قال الله سبحانه: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾[العصر:٣] ، قال أهل العلم: وهذه صفات الناجين.

صفات الناجين مذكورة في سورة قصيرة من كتاب الله -سبحانه وتعالى-: وكل منا يحفظ هذه السورة، هذا يسمى علم.

ولكن هل عملنا بهذا العلم، هذا باب آخر، لذلك ابن القيم لما ذكرنا من كلامه في المدراج كيف تحصل له التوبة، قال وذلك مذكور في سورة الفاتحة، الفاتحة نقرأها في الفرائض كم مرة؟ سبعة عشر مرة، وفيها من المسائل الكثيرة الجليلة والعظيمة.

ففي سورة الفاتحة، الحث على أن يكون الإنسان في أمره على طريق اهدنا الصراط المستقيم، أصحاب الصراط المستقيم، ويحذر من طريق المغضوب عليه، حتى في توبته، ويحظر من طريق الظالمين.

المسألة الثانية عشرة:

نحن نقول: اللَّهم إني أستغفرك وأتوب إليك، وعلى العبد أن يستغفر الله ويتوب إليه، ما الفرق بين الاستغفار والتوبة؟

الاستغفار والتوبة، قال كثير من أهل العلم إن هاتين اللفظتين كالبر والتقوى وكالإسلام والإيمان، إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا، فالاستغفار والتوبة من الألفاظ التي يقول عنها الكثير من أهل العمل إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا. لذلك قال ابن القيم -رحمه الله- في المدارج، فها هنا أمران لا بد منهما.

إخواني هذه المسائل مهمة، يعني كثير منا يتوب لكن هل هي التوبة الحقيقية، هل هي التوبة النصوح؟ وسنعرف بإذن الله تعالى من ضمن المسائل ما هي التوبة النصوح.

قال ابن القيم -رحمه الله-: فها هنا أمران لا بد منهما مفارقة شيء والرجوع إلى غيره، فخصت التوبة بالرجوع والاستغفار بالمفارقة، فعند إفراد أحدهما يتاول الأمرين.

ولهذا جاء -والله أعلم- الأمر بهما مرتب بقوله: استغفروا ربكم ثم توبوا إليه، فإنه الرجوع إلى طريق الحق بعد مفارقة الباطل، استغفروا ربكم ثم توبوا

إليه، تخلية ثم تحلية، استغفروا ربكم ثم توبوا إليه، فإنه الرجوع إلى طريق الحق بعد مفارقة الباطل.

وأيضًا بالإضافة إلى هذا فالاستغفار من باب إزالة الضرر، والتوبة طلب جلب المنفعة، فالمغفرة أن يقيه شر الذنب، والتوبة أن يحصل له بعد هذه الوقاية ما يحبه، يستغفر الله -عز وجل- من أمور ثم يوفق إلى الصالحات، إلى الطاعات إلى الخيرات، وكل منهما يستلزم الآخر عند إفراده.

لذا قيل المذنب بمنزلة من ركب طريقًا تؤديه إلى هلاكه، سلك طريقًا تؤديه إلى هلاكه، ولا توصله إلى المقصود، هذا المذنب، سلك طريقًا تودي به إلى هلاكه، وتوصله إلى المقصود الذي هو ما عند الله -سبحانه وتعالى- من الخير والجنان، ما توصله إلى المقصود.

قال: فهو مأمور أن يوليها ظهره، هذا الطريق، هذه المفارقة وهي الاستغفار، ويرجع إلى الطريق التي فيها نجاته، والتي توصله إلى مقصوده، وفيها فلاحه هذه التوبة.

يعني: الآن بعض الناس يسلك طريق أهل السوء، والواجب عليه أن يفارق طريقتهم، ثم بعد ذلك يرجع إلى طريقة أهل الطاعة، إنسان سلك طريقة أهل البدع، فالواجب عليه أن يفارق أهل البدع، ثم يسلك طريقة أهل السنة، هذه التوبة.

إنسان يمشي مع البطالين مع الفسقة، مع أصحاب المسكرات والمخدرات والخمور، أو مع أصحاب المحرمات، يفارق طريقتهم، ويرجع إلى طريقة أهل الطاعة وأهل الخير، فكما قال: استغفروا ربكم فارقوا طريقة أهل الباطل، ثم توبوا إليه، وارجعوا إلى طريقة أهل الحق.

المسألة الثالثة عشرة:

ما هي التوبة النصوح؟

التوبة النصوح؛ قال أهل العلم: النصح في التوبة يتضمن ثلاثة أشياء، واحفظوها؛ لأن ما منا وهو يرجو أن تكون توبته.

هذه يا إخوان: ليست مسائل علمية بل هي مسائل عملية، يجب علينا أن نكون على هذا الحال في توبتنا، فبعض الناس يدرس هذه الكتب كتاب التوبة، كتاب قيام الليل، يدرسونه من باب رفع الجهل وهذا غلط، هذا علم، يبقى العمل.

كما ذكرنا في سورة الفاتحة، وهذه السورة تصلح أن تكون هي طريقًا للتائبين، أن يعلم ويعمل، فيقول أنا تبت، فهل توبته توبة نصوح، قال أهل العلم -رحمهم الله- في ضابط التوبة النصوح.

قالوا: النصح في التوبة يتضمن ثلاثة أشياء: -

الأول: تعميم جميع الذنوب واستغراقها بها، بحيث لا تدع ذنبًا إلا تناولته، التوبة العامة.

الثاني: إجماع العزم والصدق بكليته عليها، بحيث لا يبقى عنده تردد ولا تلوم، ولا انتظار بل يجمع عليها كل إرادته وعزيمته مبادرًا بها، بعض الناس يكون له علاقة محرمة مع إحدى الفتيات، يقول خلاص أنا تائب لكن توبة مترددة مهزوزة، هل هذه توبة نصوح؟ لا، بعض الناس يقول أنا تبت كذلك من مصاحبة والكلام مع الفتيات أو النساء.

ثم بعض ذلك يبقي في جواله آلاف الأرقام من هؤلاء النسوة، هل توبته نصوح؟ لا، بعض الناس يقول قد تبت من شرب الخمور، ثم تفتح دولابه، وتجد فيه كارتون من الخمور الخارجي والداخلي، هل هذه توبة نصوح؟ لا.

قال أهل العلم: إجماع العزم والصدق بكليته عليها، بحيث لا يبقى عنده تردد، لذلك ينص بعض أهل العلم على مثل هذه التوبة يسميها بتوبة الكذابين، فقالوا كذلك لا بد أن تكون صادقًا في توبتك، فهناك توبة تسمى بتوبة الكذابين وسنذكر بإذن الله تعالى صورًا من توبة الكذابين، قال إجماع العزم والصدق بكليته عليها بحيث لا يبقى عنده تردد إلى آخر كلامه.

الثالث: تخليصها من الشوائب والعلل القادحة في إخلاصها، هذه توبة نصوح.

الأول: التعميم.

الثاني: الإجماع، أي إجماع العزم والصدق بكليته عليه، يجمع أمره على ذلك.

الثالـث: الإخـلاص، تخليصـها مـن الشـوائب والعلـل القادحـة في إخلاصها، ووقوعها لمحض الخوف من الله وخشيته.

وقوع هذه التوبة لمحض الخوف من الله، وخشيته، وسنذكر الفرق بين الحياء من الله والخوف من الله، من ترك ذنبًا حياءً من الله، ومن ترك ذنبًا خوفًا من الله، كل في طاعة، ولكن أيهم أعلى مرتبة.

قال: والرغبة فيها لديه والرهبة مما عنده، لا كمن يتوب هذه الصور السلبية، لحفظ جاهه وحرمته، بعض الناس يقول أنا تائب لأنه صاحب منصب، ولا يريد أن تشوش صورته عند الناس، أو عند موظفيه، أو عند الخلق، توبته نصوح، أو غير نصوح؟ لم تكون خوفًا من الله -سبحانه وتعالى-، إنما خوفًا على جاهه خوفًا على منصبه، خوفًا على مكانته، إلى آخره.

قال: ومنصبه ورئاسته ولحفظ حاله، أو لحفظ قوته وماله، ما يتوب لله، صاحب العمل تجده يسرق، قال تبت، تبت حتى لا يفصل من عمله، هذه توبة نصوح؟ لا.

قال: أو استدعاء حمد الناس والله فلان تائب والله فلان توبته حسنة، فهو لم يتب لله، وإنما استدعاء ثناء الناس وحمد الله له، وطلب حمد الله له، أو الهرب من ذمهم، بعض الناس يستقيم حتى لا يقال عنه فاجر، لا يقال عنه بطال، كمن يتزوج أو يتقدم في خطبة إلى امرأة فيطلق لحيته ويقصّر.إزاره ثم بعد ذلك إذا جاء يوم الزواج وقد حلق لحيته تمامًا.

فهذه التوبة توبة لأمر معين أراده، أو لئلا يتسلط عليه السفهاء أو لقضاء مهمته من الدنيا، بعض الناس يطلق لحيته حتى يقال والله فلان صالح فيكون عنده بقاله، عنده دكان، عنده محل، عنده كذا، فيسترزق بحليته وبمنظره، ولكن في الأصل هو يحلق لحيته ويسبل ثوبه، ويفعل المحرمات، هذه توبة نصوح أو غير نصوح، انظروا إلى هذه الدقائق في باب التوبة، دقائق مهمة، قال أو لإفلاسه وعجزه.

بعض الناس إذا عنده أموال تهندم وبذر ولبس ملابس الفجار، وإذا أفلس أطلق لحيته وقصّر ثوبه، هذا ليس لله، قال ونحو ذلك من العلة تقدح في صحتها وخلوصها لله -عز وجل-، فالأول يتعلق بما يتوب منه، ما هو الأول؟ التعميم، والثاني يتعلق بذات التائب ونفسه، وهو إجماع العزم، والثالث يتعلق بمن يتوب إليه، الذي هو الله -سبحانه وتعالى-.

فنصح التوبة الصدق فيها والإخلاص وتعميم الذنوب بها، ولا ريب أن هذه التوبة تستلزم الاستغفار وتتضمن الاستغفار وتمحو جميع الذنوب وهي أكمل ما يكون من التوبة، والله تعالى أعلى وأعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

يبقى لنا مسألة واحدة، ألا وهي مسألة: هل تصح التوبة من ذنب مع الإصرار على غيره، تاب من الزنا، ويشرب الخمر، هل تصح توبته من الزنا مع شربه الخمور، تاب من الربا، ربا النسيئة، ويتعامل بربا الفضل، هل تصح توبته

من ربا النسيئة، أو لأنه يتعامل برب الفضل، لا تصح توبته من ربا النسيئة، تاب من بيع الخمور، ويبيع مخدرات، هل تصح توبته من بيع الخمور، مع أنه يتاجر في المخدرات، تاب من شرب الخمور ولكنه يشرب المخدرات هل تصح توبته من الخمور؟

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد عبده ورسوله وصفيه وخليله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى آتاه اليقين، اللّهم صلي وسلم وبارك على نبينا محمد وإله وصحبه أجمعين.

أما بعد؛

فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

سنشرع بإذن الله ﷻ في ذكر باقي المسائل التي قد أخذنا بعضها في الدرس الماضي، ثم بعد ذلك سندخل في شرح الأحاديث التي قد قرأها القارئ في درسنا الماضي جزاه الله خيرًا.

وقد وقفنا عند **المسألة الرابعة عشر**، ألا وهي هل تصح التوبة من ذنب مع الإصرار على غيره؟ هل راجعتم هذه المسألة أو كان آخر العهد بالدرس البارحة؟

خلاف بين أهل العلم، ما اسمك؟ حمزة يقول: في المسألة خلاف بين أهل العلم. توافقون حمزة. وأمجد ما فصلتم؟ أردت أن أراجع المسألة، فأعطيت

المسألة، الأخ يقول فيها خلاف وأن تقول: عقيدة أهل السنة والجماعة أن التوبة تتجزأ.

ما رأيكم؟ هل الصواب مع أمجد؟ أقول: قال النووي -رحمه الله- على صحيح مسلم: وأن تاب من ذنبٍ وهو متلبس بآخر صحت توبته، هذا مذهب أهل الحق، خالفت في ذلك المعتزلة.

وقال القرطبي في تفسيره: وتصح من ذنب مع الإقامة على غيره من غير نوعه، خلافًا للمعتزلة في قولهم لا يكون تائبًا من أقام على ذنب ولا فرق بين معصية ومعصية، هذا مذهب أهل السنة.

هذان النقلان عن النووي -رحمه الله- وعن أبي عبد الله القرطبي -رحمه الله- الذي هو صاحب أحكام القرآن، وكل منهما يذكر أن من تاب من ذنب وهو متلبس بآخر صحت توبته. وكلٌّ منهما يقول: أن ذلك هو مذهب أهل الحق أو مذهب أهل السنة.

ولكن الحق ما قاله المحقق ابن القيم -رحمه الله-، الحق ما قاله تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية وهو ابن القيم الجوزية -رحمه الله- في المدارس؛ حيث قال: أن المسألة فيها قولان لأهل العلم، وهما روايتان عن الإمام أحمد، ولم يطلع على الخلاف من حكى الإجماع على صحتها كالنووي وغيره.

وقال شيخنا ابن عثيمين -رحمه الله- أنه عقد سؤال فقال: هل تشترط لصحة التوبة أن يتوب من جميع الذنوب؟ قال -رحمه الله-: فيه خلاف، ولكن الصحيح أنه ليس بشرط، أنها تصح التوبة من ذنب مع الإصرار على غيره.

لكن هذا التائب لا يصدق عليه وصف التائبين، التوبة المطلقة. فيُقال: تاب توبة مقيدة، لا مطلقة. فلو كان أحد يشرب الخمر ويأكل الربا، فتاب من شرب الخمر صحت توبته من الخمر. وبقي إثمه في أكل الربا ولا ينال منزلة التائبين على الإطلاق؛ لأنه مصر على بعض المعاصي. اهـ كلامه -رحمه الله-.

فعرفنا أن من حكى الإجماع أنه كما قال ابن القيم -رحمه الله- ولم يطلع على الخلاف من حكى الإجماع. فالمسألة عند أهل السنة كالقول على قولين وهما روايتان عن من؟ عن أحمد.

ابن القيم -رحمه الله- في "**المدارج**" قال: والمسألة مشكلة ولها غور، ويحتاج الجزم بأحد القولين إلى دليل يحصل به الجزم. المسألة مشكلة وفيها قد تُشكل ولها غور ويحتاج الجزم بأحد القولين إلى دليل يحصل به الجزم.

ثم ذكر -رحمه الله- في "**المدارج**" أدلة من قال بصحة التوبة، وأدلة من قال بعدم صحتها. وارجعوا إلى "**مدارج السالكين لابن القيم**". وابن القيم كما هو معلوم لدى الجميع من العلماء المحققين -رحمه الله-.

كما كان يقول شيخنا الشيخ محمد أمان -رحمه الله- عن ابن القيم في مسائل التوبة ومسائل القلوب وأعمال القلوب وأمراض القلوب. قال عن ابن القيم: له

ذوق خاص، وكذلك صاحب معرفة وتجربة في ما يكون من أعمال القلوب ووسائل انشراح الصدر.

ولكن قال -رحمه الله-: وسر المسألة -كما ذكرنا هو من العلماء المحققين- وهناك علماء محققين وهناك علماء محققِين، وهناك تجوز يُطلق على الآخرين علماء، ولكنهم ليسوا بعلماء، وإنما محققِين، يحقون الحق ويجعلون مكان الحق ماذا؟ باطلًا. كما كان يُطلق على بعض الناس من الذين يحققون أو يحققِون الكتب، هذا الإطلاق.

قال -رحمه الله-: وسر المسألة أن التوبة هل تتضعف كالمعصية؟ فيكون تائبًا من وجه دون وجه كالإيمان والإسلام، ثم قال -رحمه الله-: والراجح تبعضها، فإنها كما تتفاضل في كيفيتها، كذلك تتفاضل في كميتها.

فلو أتى العبد بفرض وترك فرضًا لاستحق العقوبة على ما ترك دون ما فعله. ثم قال: والذي عندي في هذه المسألة أن التوبة لا تصح من ذنب، وهذا هو التحقيق واسمعوا إلى كلامه -رحمه الله-.

قال -رحمه الله-: والذي عندي في هذه المسألة أن التوبة لا تصح من ذنب مع الإصرار على آخر من نوعه. كأن يزني بامرأة ثم تاب من الزنا من هذه المرأة، وزنا بامرأة أخرى. لا تصح توبته لا. هذا معنى كلام ابن القيم من نوعه وهذا هو الراجح بلا شك.

قال: وأما التوبة من ذنب مع مباشرة آخر لا تعلق له به ولا هو من نوعه فتصح كما إذا تاب من الربا ولم يتب من شرب الخمر مثلًا فإن توبته من الربا صحيحة.

وأما إذا تاب من ربا الفضل ولم يتب من رب النسيئة وأصر عليه أو بالعكس توبته صحيحة. لأن ربا الفضل وربا النسيئة من نوع واحد، أو تاب من تناول الحشيشة وأصر على شرب الخمر أو بالعكس، لا تصح توبته فإن الحشيشة والخمر من نوع واحد؛ لأنها من المؤثرات العقلية. والحشيشة مذكورة في كتب العلماء وليست لفظة حادثة أو جديدة.

أو تاب من تناول الحشيشة وأصر على شرب الخمر أو العكس فهذا لا تصح توبته وهو كمن يتوب عن الزنا بامرأة وهو مصر.على الزنا بغيرها غير تائب منها أو تاب من شرب عصير العنب المسكر وهو مصر.على شرب غيره من الأشربة المسكرة. فهذا في الحقيقة لم يتب من الذنب وإنما عدل عن نوع منه إلى نوع آخر بخلاف من عدل عن معصية إلى معصية أخرى غيرها في الجنس إلى آخر كلامه - رحمه الله وأسكنه فسيح جناته-.

المسألة الخامسة عشر: هل التوبة من خصائص هذه الأمة؟ أجيبوا، أمجد أيضًا له قول في المسألة. كيف؟ كيفية التوبة تختلف، قريب ما اسمك؟ عبد السلام. أريد من الجهة اليمنى والجهة اليسرى كفوا ووفوا.

قال القاضي عياض –رحمه الله–: والتوبة نعمة أنعم الله بها على هذه الأمة دون غيرها من الأمم. قاله سفيان بن عيينة. وكانت توبة بني إسرائيل قتل أنفسهم كما نص الله عليهم. وهذا بمعنى كلام أخينا عبد السلام لكن التوبة التي ليس فيها قتل نفس وليس فيها كذا وليس فيها كذا، هذا من خصائص هذه الأمة.

هذه من نعمة الله على أمة الإسلام. فاشكروا الله على هذه النعمة؛ حتى في توبتك يا مسلم قد خالفت باقي الأمم، فأنت في فضل عظيم، فتمسك بالإسلام الجميل.

المسألة الأخيرة: هل ما جاء في الأحاديث من تكفير السيئات، هل تُكفر أيضًا حتى الكبائر؟ ولو بدون توبة؟ كحديث عثمان بن عفان لما دعا بوضوء فتوضأ ثم قال: والله وذكر الحديث ثم قال: فيصلي صلاة إلا غفر الله له ما بينه وبين الصلاة التي تليها.

كما جاء في رمضان «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه»[1]. « من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه»[2]. «من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه»[3].

---

(١) البخاري (٣٨) ومسلم (٧٦٠).

(٢) البخاري (١٩١٠)، ومسلم (٧٦٠).

(٣) البخاري (١٥٢١) ومسلم (١٣٥٠).

فهل هذه الأحاديث تدل على أنه لو فعل هذه الطاعات، أن الله ﷻ يكفر عنه السيئات ولو كانت كبائر، أم لابد من الكبائر من توبة؟

الجواب: الكبائر لابد لها من توبة، خاصة بها أو لها.

أيهما أعظم الحج أم الصلاة؟ الصلاة. لابد لها من توبة. والخلاف حاصل ونريد الجواب، مثل رمضان لرمضان، أيهم أعظم الصلاة أو باقي الطاعات؟ فإذا كانت الصلاة وكانت الصلاة لا تُكفر إلا بتوبة؛ فما دون ذلك من باب أولى، هذا صحيح.

الجواب: قال القاضي عياض -رحمه الله- في "**الإكمال المعلم**" وهو كتاب مهم لشرح صحيح مسلم؛ كذلك كتاب "**المفهم**" لأبي العباس القرطبي وهو ليس صاحب التفسير؛ فإن ذاك هو أبو عبد الله القرطبي، هذا هو أبو العباس القرطبي.

قال القاضي عياض في الإكمال المعلم: وما ذُكر حديث عثمان من كفارة الذنوب بالطهارة والصلاة، ما اُجتنبت الكبائر وهو مذهب أهل السنة، وقد يقصد بأهل السنة -الذين هم ليسوا السلفيين، المقصود المؤولة؛ لأنه كان هو على هذه الطريقة- قال: وإن الكبائر إنما يكفرها التوبة أو رحمة الله وفضله.

والدليل على ذلك -هذه هو الصحيح على ذلك بلا شك، هو قول الجماهير- حتى لو لم نقل هو قول الكافة أو العامة هو قول الجماهير، وذلك لما ثبت من

حديث أبي هريرة ﷺ وأرضاه أن رسول الله ﷺ قال: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن ما لا تؤت الكبائر»[1].

وهناك روايات رمضان إلى رمضان، وما جاء في حديث العموم، من صام رمضان ومن قام رمضان ومن قام ليلة القدر، وما جاء في حديث الوضوء، وما جاء كذلك في حديث عاشوراء، وما جاء كذلك في حديث عرفة. هذه كلها عمومات.

وهذه العمومات مخصصة بأدلة أخرى؛ كما جاء بحديث أبي هريرة هذا وفي ألفاظ أخر الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر، وعلى هذا فيكون هذا العموم مخصص بالسنة. وهذا هو ترجيح الشيخ ابن باز -رحمه الله- وهو ترجيح الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- وهو ترجيح شيخنا الشيخ العباد -حفظه الله-.

وإن كان الشيخ الألباني -رحمه الله- يرى العموم، وأن ما جاء في هذه الأحاديث تُكفر الكبائر أيضًا وهذا هو ترجيح الشيخ ناصر الألباني -رحمه الله- لكن الأقرب والعلم عن الله ﷻ ما ذهب إليه جماهير أهل العلم -رحمهم الله- من أن الصلاة أعظم الطاعات، ومع ذلك لا تُكفر مع أنها أعظم، وقال ما اجتنبت الكبائر، فهي مكفرات للصغائر.

---

(١) صحيح مسلم (٢٣٣).

والفائدة في حديث «من حج ولم يرفث ولم يفسق..» كثير من الناس، وهذا فهم صحيح، أنه يُحصر. هذا فقط في الحج، لكن الصحيح كما رجح ذلك الحافظ ابن حجر –رحمه الله– ورجح ذلك الشيخ ابن باز –رحمه الله– أن ذلك في الحج والعمرة؛ لأنه جاء في رواية من أراد جاء النسك وجاء كذا ولم يفسق ولم يرفث، كذلك قال: الحج ينقسم إلى قسمين:- حج أكبر وحج أصغر.

فالصحيح والعلم عند الله ﷻ كما هو ترجيح الحافظ بن حجر وترجيح كذلك الشيخ ابن باز وله مقال خفيف ولا أقول بسيط؛ لأن البسيط لا يُقال بسيط؛ لأنه صغير وقصير وإنما الذي يُقال له بسيط الواسع وكثير من الناس يقول: هذه مسألة بسيطة وهذا أمر بسيط والذي يعني ليس على منهجه ويظن أن هذه مسألة كبيرة.

فهذا خطأ، أن يقول: هذه مسألة كبيرة ويقصد بها مسألة خفيفة. وإنما يُقال: مسألة خفيفة أو يسيرة، ولا يُقال هذه مسألة بسيطة؛ لأن المسألة البسيطة الأرض وتُسمى بسيطة مع أنها كبيرة، المبسوط في كل كتب الحنفية للسرخسي. وهو من الكتب الكبيرة، وهذا قد نبه عليه كثير من أهل العلم ومنهم الشيخ مقبل الوادعي.

كذلك لما سُئل مالك عن مسألة ولم يجب –رحمه الله– فقال له السائل يا إمام أنها مسألة خفيفة، فهذا هو المعتاد على ألسنتهم، فقال مالك: ألم تسمع إلى قول

الله ﷻ: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾[المزمل:٥]. الشاهد: هذه إنما ذكرتها من باب الاستطراد.

ذكرنا في درسنا الماضي الحديث الذي ذكره أو الأحاديث التي ذكرها مسلم –رحمه الله– في فرح الله ﷻ بتوبة عبده، وذكر مسلم ثمان روايات لهذا الحديث.

وهذا الحديث فيه فوائد:-

١. الفائدة الأولى:

عظم خطر المعاصي والذنوب، وحاجة العبد إلى التوبة. وذلك لأن التوبة فيها نجاته، ووجه ذلك من الحديث ما ذُكر في المثل، أن العاصي حصل له بسبب معصيته إنه كان في قبضة الشيطان وأسره، وإنه أشرف على الهلاك؛ بسبب ذلك.

كأن هذا الذي أضل ناقته في فلاة، كأنه أصبح من شدة معاصيه ماذا؟ والشيطان جعله في قبضته وأن الشيطان أسر هذا الرجل. فإذا لطف الله به قد جاء، ووفقه للتوبة، فخرج من شؤم تلك المعصية وتخلص من أسر الشيطان والمهلكة التي أشرف عليها.

فهذه المعاصي كإنسان قد شارف على الهلاك وأصبح في قبضة الشيطان وأصبح أسيرًا للشيطان، أين نجاته؟ أين فكاكه؟ في الرجوع لله ﷻ والتوبة النصوح والرجوع إلى رب العالمين ﷻ. فذكر ذلك الحافظ ابن حجر –رحمه الله– في فتح الباري.

وهذا المثال كما ذكر شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- في بعض كتبه، أن الشرك كالشبكة وأن الواقع في الشرك كالواقع في الشبكة. وهذا التمثيل تمثيل بديع للغاية ورائع للغاية.

لما؟ وذلك لأن المشرك قد شتت نفسه، كالطير أو الصيد إذا وقع في شبكة، يحاول هذا الصيد أن ينجو، فيكون متخبطًا في هذا الشبكة، كما يتخبط المشرك في شركه. يستغيث بغير الله ويذبح لغير الله، يقسم بغير الله، ويستعين ويستغيث بغير الله. هذا تخبط شتت فكره وشتت نفسه.

لكن لو جمع نفسه وقصد ربه؛ فإن في ذلك نجاته، ذلك شبه شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- المشرك كأنه واقع في شبكة، والصيد لما يقع في شبكة يتخبط ويخرج من هنا ويخرج من هنا، ولا مخرج له إلا إذا وجد فتحة يسيرة يخرج منها. كذلك هذا المشرك لا ملجأ له ولا مخرج له إلا بتوحيد الله ﷻ، فهذا التشبيه لشيخ الإسلام -رحمه الله-.

٢. الفائدة الثانية:

هذا الحديث دليلٌ، ويدل على فرح الله ﷻ بالتوبة، وإنه ﷻ يحب ذلك محبة عظيمة؛ لكن لا لأجل حاجته لأعمالنا وتوبتنا؛ فالله غني عنا، لكن لمحبته ولكرمه، فإنه يحب أن يعفو وأن يغفر، ومحبته للمغفرة والعفو أحب إليه من أن ينتقم ويؤاخذ.

ولهذا يفرح ربنا بتوبة عبده، وذلك من كرمه ﷻ فإذا تاب العبد فإن الله يفرح بهذا فرحًا عظيمًا، لا يتصوره إنسان. قال النبي ﷺ كما هو معنا هنا: «لله أشد فرحًا بتوبة أحدكم»[1]. وما جاء في هذا الحديث.

٣. الفائدة الثالثة:

في هذا الحديث الحث على التوبة. فإن ذلك يفرح الله ﷻ، والله ﷻ يحبها ويفرح بها وهي من مصلحة العبد.

٤. الفائدة الرابعة:

إثبات صفة الفرح لله ﷻ، وهو فرح حقيقي يليق بالله ﷻ، وصفة الفرح صفة فعلية.

قال شيخ مشايخنا الشيخ محمد خليل هراس، وهو من مشايخ الشيخ محمد أمان –رحمه الله– والشيخ محمد أمان من مشايخنا، قال الشيخ محمد خليل هراس –رحمه الله– في شرح الواسطية: وفي هذا الحديث إثبات صفة الفرح لله ﷻ.

والكلام فيه كالكلام في غيره من الصفات، أنه صفة حقيقة لله ﷻ، على ما يليق به، وهو من صفات الفعل، وصفات الفعل تابعة لمشيئته تعالى وقدرته، فيحدث له هذا المعنى المُعبر عنه بالفرح عندما يُحدث عبده التوبة والإنابة إليه، وهو مستلزم لرضاه عن عبده التائب وقبوله توبته.

---

(١) صحيح مسلم (٢٧٤٤).

ثم قال –رحمه الله- إذا كان الفرح في المخلوق على أنواع، قد يكون فرح خفة وسرور وطرق، وقد يكون فرح بطر، فالله ﷻ منزه عن ذلك كله، فإن فرح الله ﷻ لا يشبه فرح أحدٍ من خلقه، لا في ذاته ولا في أسبابه، ولا في غاياته. فسببه كمال رحمته وإحسانه الذي يحب من عباده أن يتعرضوا له.

لذلك نقول يا إخواني: الذي يتوب فقد تعرض إلى ما يحبه الله ﷻ وإلى فضل الله ﷻ، لذلك التائب في توبته إذا كانت توبة صادقة ونصوح يفرح من؟ يفرح الله ﷻ ، وهذا فيه حث عظيم على التوبة.

كثير من العصاة يدبرون ويعرضون عن الله ﷻ، وينبغي على هؤلاء العصاة أن يعلموا أنه لو تاب فإن الله ﷻ يفرح بتوبته، كما جاء في هذا الحديث، وما منا إلا ويسيء، وما منا إلا ويذنب، لكن الواجب علينا جميعًا أن نرجع إلى الله ﷻ وأن نتوب إلى الله ﷻ، وأن هذه التوبة تفرح الله ﷻ.

وهذا الأمر من الأمور التي تجعل العبد يحرص على التوبة، فإن كان يستلذ –عياذًا بالله- بالمعصية وتوبته ماذا؟ أكثر لذة، وإقباله على الله أكثر لذة، وإدباره عن المعاصي والذنوب أكثر لذة، وهذه الحلاوة وهذه الطلاوة، يحث بها من كان من عباد الله التائبين.

ومن كان عباد الله الأوابين الذي يرجعون إذا حصل منهم معصية أو ذنب أو حصل منهم سيئة فإنهم يرجعون إلى ربهم ﷻ، ويتوبون، فإن النبي ﷺ وهو من

هو قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فإنه كان يُعد له في المجلس الواحد سبعين مرة استغفر الله وأتوب إليه.

وفي روايات مائة مرة، وهو من هو، قد غفر الله له ما تقدم وما تأخر من ذنبه، ونحن والله قد كُتبت أسمائنا وعلمنا ذلك، أن في الفردوس الأعلى من الجنان، نتقاعس عن التوبة وعن الخيرات والبر والعمل وطاعة الله ﷻ.

كأن مناديًا قد نادى يا فلان أنت بالفردوس الأعلى من الجنان، والواجب علينا يا عباد الله أن نكون على وجل وأن نكون على حذر وأن نعيش في هذه الدنيا التي هي أرض الله أن نعيش بما يرضي الله ﷻ بالإقبال على طاعة الله ﷻ، والإدبار على معصية الله ﷻ.

قال -رحمه الله-: فسببه كمال رحمته وإحسانه التي يحب من عبادة أن يتعرضوا لها. وغايته إتمام نعمته على التائبين المنيبين، ثم رد على المؤولة.

قال: وأما تفسير الفرح بلازمه وهو الرضا وتفسير الرضا بإرادة الثواب، فكل ذلك نفي وتعطيل لفرحه ورضاه أوجبه سوء ظن هؤلاء المعطلة بربهم؛ حيث توهموا أن هذه المعاني تكون فيه كما هي في المخلوق تعالى الله عن تشبيههم وعن تعطيلهم؛ لأن المعطلة أما أن يكون تعطيلًا كليًا أو تعطيلًا جزئيًا.

والتعطيل الكلي هو عند الجهمية، تعطيل الصفات والأسماء عندهم، لا سميع ولا بصير إلى آخره. والتعطيل الجزئي كما هو عند المعتزلة سميع بلا سمع، وبصير بلا بصر، وعلى هذا ابن حزم.

أن ابـن حـزم كـما قـال عبـد الهـادي –رحمـه الله– كـان جهميًـا جلـدًا.

المقصود بالتجهم هنا الذي هو أنه من النفاة مطلقًا وإلا هو كما في كتبه سميع بلا سمع وبصير بلا بصر إلى آخر كلامه عفا الله عنه.

كذلك ما يكون من مذهب الأشاعرة، وهم على قسمين: –

أشـاعرة متقـدمين وأشـاعرة متـأخرين. والمتقـدمين أكثـر في الإثبـات مـن الأشاعرة المتأخرين، فإن المتقدمين كانوا يثبتون الصفات الذاتية بوجه كما كان على منهجهم باب إثبات صفة الوجه. البيهقي –رحمه الله–.

لكن الأشاعرة المتأخرين فإنهم لا يثبتون إلا سبع صفات. مجموعة في قولهم حي عليم قدير، والكلام له إرادة وكذا السمع والبصر، كما قال أهل العلم: أن الأشاعرة المتقدمين أكثير في الإثبات من الأشاعرة المتأخرين.

والكلام في هذا قوي، وهذا من التعطيل الجزئي، والواجب على جميع الناس الأخـذ بكتـاب الله وبسـنة رسـول الله ﷺ في بـاب الأحكـام العلميـة والعمليـة، والأخذ بالكتاب والسنة، هي طريقة أهل السنة فإنهم يثبتون الصفات، ومنها إثبات صفة الفرح، كما يليق بعظمته وجلاله من غير تحريف ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تكليف.

وقلنا تمثيل لماذا؟ لأنه ذلك هو الوارد في كتاب الله ﷻ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]. وشيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– في العقيدة الواسطية مناظرة وأقرؤوا المناظرة في الجزء الثالث في مجموع الفتاوى

تحدى من تحدى في المناظرة أن يأتوه بلفظ واحد، لم يكن فيه على نصوص الكتاب والسنة، حتى في هذا الباب.

عدل شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الباب عن التشبيه مع أن التمثيل والتشبيه مترادفان في المعنى، وذلك إتباعًا للفظ القرآن ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾، كذلك في التحريف؛ فلا يُقال التأويل، لأن التأويل له معاني حسنة، تأويل له معاني حسنة.

لذلك كان من منصوص أهل العلم أنه لا يقولون في الأصل من غير تأويل. والتأويل قد يكون التفسير، كما عند الطبري تأويل قول الله تعالى، أي تفسير قول الله تعالى كذا وكذا.

وقد يؤول ما يؤول إليه الشيء ولكن أهل السنة حتى في كتاباتهم كتابات دقيقة؛ فقالوا من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكليف، والمؤولة الذين هم المحرفة يسيرون في تحريفاتهم عبر طريقين-واحفظوا هذا- إذا قلنا فرح قالوا: وفسروه بلازمه الذي هو الرضا، ومن لوازم الرضا إرادة الثواب، فهؤلاء المحرفة في تحريفاتهم يسيرون عبر طريقين:-

الطريق الأولى: تأويل الصفات التي ينفونها بصفة يثبتونها، نفوا صفة الفرح وأثبتوا صفة الرضا. قالوا: كتأويل الرضا بالإرادة، والإرادة يثبتونها حي عليم قدير والكلام له إرادة.

قال أهل العلم: تأويل الصفات التي ينفونها بصفة يثبتونها، كتأويل الرضا بالإرادة.

الطريق الثاني: تأويل الصفات التي ينفونها ببعض المخلوقات من النعم أو العقوبات. كما فسروا الرضا بالثواب، والثواب مخلوق أو بالجنة، والجنة مخلوقة. كما فسروا الغضب بالعقاب أو بالنار.

قال الشيخ عبد الرزاق عفيفي –رحمه الله-: والمؤولة ساروا في تأويلهم عبر طريقين، وأحفظ هذا وهذا يضبط لك كثير من تأويلات المؤولة، إذا رأيت فسروا الرضا بالإرادة؛ فهذا تفسير بصفة يثبتونها.

فإذا رأيت فسروا الرضا بالثواب؛ فهذا تفسير ببعض النعم، فإذا رأيت فسروا الغضب بالعقاب أو بالنار لها تفسير بالعقوبات، فقالوا –رحمهم الله-: الأول: تأويل الصفات التي ينفونها بصفة يثبتونها، كتأويل الرضا بالإرادة. والثاني: تأويل الصفات التي ينفونها ببعض المخلوقات من النعم أو العقوبات.

لكن أهل السنة يثبتون الصفات كما جاءت في كتب الله وكما جاء في سنة رسول الله ﷺ. فهم السعداء بالأخذ بكتاب الله وبسنة رسول الله ﷺ.

٥. الفائدة الخامسة:

لما قال الرجل لما جاءته الناقة ماذا قال؟ اللّهم أنت عبدي وأنا ربك. أخطأ من شدة الفرح. نأخذ فائدة هنا من باب التكفير وفي باب الألفاظ بصفة عامة عدم مؤاخذة العبد بما لم يقصده في اللفظ.

قالوا أهل العلم: وهذه فائدة قاعدة عظيمة، يترتب عليها مسائل كثيرة، وذلك هذا الأمر يدخل في قاعدة كبرى من القواعد الخمس وهي الأمور بمقاصدها.

لما العلماء جعلوا هذه القاعدة في أول القواعد؟ تقولوها فائدة تنبيهًا على الإخلاص، كما جاء في حديث ويجعل المحدثون إنما الأعمال بالنيات، قال العلماء -رحمهم الله- تنبيه على الإخلاص أن طالب العلم يخلص في القراءة وفي الإطلاع وفي طلب العلم.

كذلك قالوا هنا، قالوا: جعل من كتبة القواعد الفقهية أو القواعد والأمور بمقاصدها، قالوا: كذلك تنبيهًا على ماذا على الإخلاص.

قال أهل العلم: وهذه الفائدة قاعدة يُترتب عليها مسائل كثيرة منها: لو جرى لفظ الطلاق على لسانه بغير قصد، لم تُطلق امرأته، ولو طلق في حال غضب شديد، تُطلق أو لا؟ بإجماع العلماء ما تطلق.

لا طلاق في إغلاق، والطلاق على كم قسم؟ إلى ثلاثة أقسام: الطلاق في غضب؛ لأنه ما يطلق أحد وهو مستأنس يلعب معها، وهذا في الأصل؛ لأن بعض الناس يسأل يقول: طلقت وأنا غضبان. أقول له ما أحد يُطلق وهو فرحان. في العادة وفي الأصل أنه حصل بينك وبينها شيء من سوء التفاهم فصرحها إلى بيت أهلها.

فالطلاق بصفة عامة ثلاثة أقسام: كما قال ابن القيم -رحمه الله-:

القسم الأول: الغضب الشديد الذي لا يدري ما يخرج من رأسه.

وهذا بإجماع أهل العلم. لا يقع الطلاق وهو لم يقصده أصلًا، كما هو معنا هنا.

القسم الثاني: الغضب المتوسط شديد لكن ليس كالأول، وهذا موطن الخلاف عند أهل العلم.

القسم الثالث: الغضب اليسير وهذا يقع بالإجماع، إنما الكلام في الغضب المتوسط.

هل يُحلق بالغضب الشديد أو يُلحق بالغضب اليسير؟ فهذه المسألة كما ذكرنا لكم عدم مؤاخذة العبد بما لم يقصده في لفظه وهذه الفائدة كما ذكرنا قاعدة عظيمة يترتب عليها مسائل كثيرة، ومنها كما ذكرنا في كتاب الطلاق، لذلك قال: كفرًا في حال ذهول وفي حال فرح شديد.

كما قال هذا الرجل كفرًا، قال: اللَّهم أنت عبدي وأنا ربك. لكن هذه اللفظة لو كانت وقعت من العبد باختيار أو بعقله أو بتمام تكليفه أنها كلمة يُكفر بها؛ بلا شك، لكنه لم يكفر كما معنا في هذا الحديث والله أشد فرحًا بتوبة عبده من أحدكم. ثم قال اللَّهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح.

كذلك لو أُكره على كلمة الكفر، فقالها وقلبه مطئمن بالإيمان كذلك لا يكفر والإكراه المقصود عند العلماء الذي تُناط به أحكام الإكراه هو الإكراه الملجأ، فالإكراه ينقسم إلى قسمين: -

إكراه ملجأ وإكراه غير ملجأ. يعني: ذكروا شروطًا في الإكراه الملجأ، لو أن صغيرًا جاءني ومعه هذه القارورة، وقال لي: قل كلمة الكفر وإلا ضربتك بهذه القارورة، وإلا ضربتك بهذه القارورة.

فقال هذا الذي سمع هذا الكلام كلمة الكفر، ثم لما جاء عند الناس قال: والله أُكرهت، هذا إكراه، إنما الإكراه هو الإكراه الملجأ، وأُلفت مؤلفات في باب الإكراه وشروط الإكراه. لكن ليس هذا مبحث كلامنا في هذا الدرس.

فهذا مانع من موانع التكفير أن يقع ما يُوجب الكفر أو الفسق بغير إرادة منه، فلا يُكفر بذلك.

٦. الفائدة السادسة:

يدل هذا الحديث على فضل الله ورحمته، ذلك أن من تاب إلى الله ﷻ تاب الله عليه؛ بل أشد من ذلك وأبلغ أنه يفرح بتوبة عبده ويحب توبته.

٧. الفائدة السابعة:

في قوله سقط على بعيره، لما جاء في الحديث سقط على بعيره، هل هو سقط على بعيره من جهة ظاهر اللفظ؟ لا، المقصود سقط على بعيره أي: صادفه وعثر عليه، من غير قصد فظفر به، ومنه قولهم: هذا الخبير سقط يعني: صادفت وليس أنك ارتحت عليه تأخذ العامة ومنه قوله على الخبير سقطت.

٨. الفائدة الثامنة:

إثبات صفة التقرب والقرب لله ﷻ، وإثبات صفة الهرولة لله ﷻ، قد جاء في الحديث: «وأن تقرب إليّ شبرا تقربت إليه ذراعًا، وأن تقرب إليّ ذراعًا تقربت إليه باعًا، وأن آتاني يمشي أتيته هرولة»[1].

والمراد في التقرب قرب الله من عبده إذا تقرب إليه بالعبادة، وقرب الله من عباده المؤمنين ثابت بالكتاب والسنة، وإجماع أهل السنة ومن ذلك ما جاء من قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[البقرة:١٨٦].

وقال شيخ الإسلام –رحمه الله– في "**مجموع الفتاوى**" في معنى الحديث وهو سبحانه قد وصف نفسه في كتابه وفي سنة نبيه ﷺ، بقرب من الداعي وقربه من المتقرب إليه، كما قال: وأن تقرب إليّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا. وقربي من المتقرب إليه.

وقال ابن القيم –رحمه الله– كما جاء في قصر الصواعق كما بينا أنه سبحانه وتعالى أنه قريب من أهل الإحسان ومن أهل سؤاله وإجابته، ويوضح ذلك بإن الإحسان يقتضي قرب العبد من ربه فيقرب ربه منه سبحانه وتعالى كما جاء في الحديث الذي معنا، وهو مع قربه فوق عرشه سبحانه وتعالى.

---

(١) صحيح مسلم (٢٦٧٥).

قال ابن القيم: وهو مع قربه فوق سماواته؛ كما أنه ﷻ يقرب من عباده في آخر الليل وهو فوق عرشه ويدنو من أهل عرفة عشية عرفة، فإنه علوه ﷻ على سماواته من لوازم ذاته.

لذلك صفة العلو وصفة الاستواء، أن صفة العلو صفة ذاتية وصفة الاستواء صفة فعلية، فلا يكون قط إلا عاليًا ﷻ.

أهل البدع يثبتون العلو، العلو ثلاثة أقسام: علو ذات وعلو قدر وعلو قهر. فإذا قال: ورأيت في كتب الذين يخالفون في العلو، ثم يثبتون ليس المقصود في ذلك علو ذاته إنما المقصود في ذلك علو قهره وعلو قدره.

فالعلو كم قسم؟ ثلاثة أقسام: علو ذات وهذا العلو لا يثبته إلا من اتبع الكتاب والسنة، على فهم سلف الأمة. أما علو القهر وعلو الذات فإنهم يثبتونه باقي الطوائف.

لا يكون فوقه شيء البتة، كما قال أعلم الخلق: وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وهو -سبحانه- قريب في علوه، عالٍ في قربه -سبحانه وتعالى-.

الصفة الثانية: صفة الهرولة، قال أبو إسماعيل الهروي في كتاب الأربعون في دلائل التوحيد، -لماذا قلت الأربعون؟ مع أنه الأصل أن يقال كتاب الأربعين؟ من باب الحكاية-.

قال أبو إسماعيل الهروي في كتاب الأربعون في دلائل التوحيد، باب الهرولة لله عز وجل.

وقال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: وهذا الحديث كغيره من النصوص الدالة على قيام الأفعال الاختيارية لله تعالى، وأنه سبحانه فعّال لما يريد، كما ثبت ذلك في الكتاب والسنة، مثل قول الله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢].

كذلك ما جاء في قول الله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾[الأنعام:١٥٨] وهذا دليل ورد على من؟ على الذين يفسرون الإتيان بأمر الله، والمجيء بأمر الله، جاء أمر الله، لا الله يقول: أو يأتي بعض آيات ربك، ففارق بينهما.

وهذا من أقوى الأدلة في الرد على المحرفة أيضًا وقوله سبحانه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:٥]، فهذه كلها الأدلة تدل على أن هذه النصوص في قيام الأفعال الاختيارية.

وكما جاء عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (ينزل ربنا إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل) يعني الساعة كم؟ في الثلث الأخير من الليل، هل هذا الثلث يكون صباحًا؟ الجواب: لا.

بعض الناس تقول له: السلام عليكم، أنا سوف آتيك الساعة الواحدة صباحًا، يصح هذا؟ لا يصح هذا لا لغة، ولا شرعًا، إذ بعض الناس الآن، بعد

الساعة الثانية عشر يسمى الواحدة صباحًا، الثانية صباحًا، الثالثة صباحًا، الرابعة صباحًا، – يا مسكين – ما معنى الصباح لغة؟

كيف صباح والله لو أغلقنا هذه الأنوار الساعة الواحدة، والذي يقول صباحًا، هل سيرى أحد منا، فكيف يكون الصباح الذي فيه النور، الإصباح، كذلك يخالف الشرع، يقول نبينا ينزل ربنا في الثلث الأخير من الليل، وهذا المسكين يقول الواحدة صباحًا، الثانية صباحًا، الثالثة صباحًا.

أنا كنت أمشي. هذا إلى أن سمعت بعض إخواننا يقول هذا، فقلت يا أخي كيف؟ قال أنتظرك بإذن الله تعالى الساعة الثالثة صباحًا، ما يصلح، ينبغي أن يكون عندنا إتباع للغة، وإتباع قبل ذلك للشرع، الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، الساعة الثانية بعد منتصف الليل، الساعة الثالثة بعد منتصف الليل، كل هذا ليل.

والآن الآن أسمع في الإذاعة إذا جاءت الإذاعة الساعة الواحدة قالوا أصبح على المستمعين، وهو في الليل، يصبح على المستمعين، هذا كله غلط، لذلك ينبغي كذلك أن تكون لغة المسلمين موافقة للغة النصوص الشرعية.

فإثبات صفة الهرولة، كما جاء في قوله: «ينزل ربنا» إن ذلك كله من قيام الأفعال الاختيارية بالله –سبحانه وتعالى–.

كذلك قال الشيخ الألباني –رحمه الله–: الهرولة: كالمجيء والنزول، صفة ليس يوجد عندنا ما ينفيها إذا خصصناها بالله عز وجل، لأن هذه الصفات

ليست صفات نقص، كذلك جاء في فتاوى اللجنة الدائمة، لما سئلت هل لله صفة الهرولة؟ فأجابوا نعم، صفة الهرولة على نحو ما جاء في الحديث القدسي الشريف على ما يليق به، ثم ذكروا الحديث الذي معنا.

ولكن ذهب بعض أهل السنة، إلى أنهم قالوا في حديث أتيته هرولة، يراد به سرعة قبول الله -سبحانه وتعالى-، وإقباله على العبد المتقرّب إليه، المتوجه بقلبه وجوارحه إلى ربه.

لكن الصحيح والصواب، ما ذهب إليه من ذكرنا لكم من إثبات صفة الهرولة.

٩. الفائدة التاسعة:

أن التوبة كمال، لك ما يقوله بعض المخزولين، فلان تاب بعد أن خريج سجون أصبح تائبًا مستقيمًا، هذا رفعة له، فالتوبة كمال، لذلك يفرح الله -سبحانه وتعالى- بها، هذا ردّ على الذين يتكلمون في أهل الطاعة، إذا كانوا على انتكاسة إذا كانوا على أمور نقص عندهم قبل ذلك، ويقولون فلان كان كذا، وأصبح كذا. نقول لهم فإن التوبة كمال، لذا يفرح الله ﷻ بها.

١٠. الفائدة العاشرة:

أخذ بعض أهل العلم من هذا الحديث جواز سفر المسلم وحده، لأنه قالوا لا يضرب الشارع المثل إلا بما يجوز، ضرب هنا رجلًا كان في فلاة، ثم أضاع رحله، وأضاع ما كان عليها من طعام، فأخذ بعض أهل العلم من هذا الحديث

فائدة جواز أن يسافر المسلم وحده، وأن النهي في الحديث أنه لا يسافر الرجل وحده، وأن الراكب شيطان، وأن الراكبان شيطانان، إلى آخره، حملوا ذلك على الكراهة جمعًا بين الأدلة.

ولكن الحافظ ابن حجر ردّ هذا، وقال لما قال: لأنه لا يضرب الشارع المثل إلا بما يجوز، قال والحصر هذا مردود، قال بل هذه القصة تؤكد النهي بل يظهر من هذا الحديث حكمة النهي، فلما كان وحده ماذا؟ حصل له ما حصل من الهلكة، والإشراف على الموت، بخلاف لو كان معه صديق أو كان معه صديق ثالث، وكل معه مركوبه، وزاده، فإنه لا يحصل هذا، وهذا من الحافظ ابن حجر فقه دقيق، -رحمه الله-، قال لا يدل على هذا، قال -رحمه الله-: وهذه القصة تؤكد النهي، بل يظهر من هذا الحديث حكمة النهي.

١١. الفائدة الحادية عشر:

في الحديث بركة الاستسلام لأمر الله؛ لأن المذكور لما آيس من وجود راحلته، استسلم للموت، فمنّ الله عليه برد ضالته.

١٢. الفائدة الثانية عشر:

في الحديث ضرب المثل بما يصل إلى الأفهام من الأمور المحسوسة.

١٣. الفائدة الأخيرة:

هذا الحديث من الأحاديث القدسية، فلا بد أن نعرف الفرق بين الحديث القدسي والقرآن.

الحديث القدسي، والقرآن، والتوراة، والإنجيل، والزبور، وجميع الكتب المنزلة، كلها من كلام الله -سبحانه وتعالى-.

فالحديث القدسي: من كلام الله لفظًا ومعنى، وقد كرر ذلك على أسماعنا كثيرًا، شيخنا الشيخ محمد آمان في شرحه لنا في العقيدة الوسطية، وكان يقول -رحمه الله- والمقرر أحلى، وهذه من العبارات التي قد أخذناها كثيرًا من الشيخ -رحمه الله-، إذا كرر مسألة لنا وقد تكلم فيها سابقًا فكان يقول -رحمه الله-: والمكرر أحلى، فالفرق بين القرآن والحديث القدسي.

أولًا: نقول من جهة كلام الله: فإن الحديث القدسي والقرآن كل منهم هو كلام الله لفظًا ومعنى، ولكنّ الفرق بين الأحاديث القدسية وبين القرآن الكريم ما يلي:-

الفرق الأول: أن القرآن متعبد بتلاوته، فكل حرف عشر حسنات، كما جاء في الحديث الصحيح، لا أقول ألم حرف، إلى آخر الحديث، ولكن الأحاديث القدسية لا يُتعبد بتلاوتها، فلو تلوت الحديث القدسي كما تتلو القرآن فإنك لا تثاب على تلاوته كإثابتك على تلاوة القرآن.

الفرق الثاني: الأحاديث القدسية ليس متحد بها، وليست معجزة كالقرآن.

الفرق الثالث: الأحاديث القدسية يجوز روايتها بالمعنى، والقرآن لا يجوز روايته بالمعنى.

الفرق الرابع: القرآن لا تصح الصلاة إلا بها، والأحاديث القدسية لو قرأت بدل الفاتحة حديثًا من الأحاديث القدسية ما صحت صلاتك.

فهذه كما قال شيخنا الشيخ محمد آمان فهذه بعض الفروق التي ذكرها أهل العلم بعد أن أثبتوا بأن الأحاديث القدسية من عند الله لفظًا ومعنى، خلاف ما هو مقرر في بعض الكتب في بعض المدارس والمعاهد التي ألفها، من؟ يقول شيخنا -رحمه الله- وهو عالم بمذهب الأشاعرة.

قال -رحمه الله-: التي ألفها إما من لديه نزعة أشعرية، أو لُبسّ عليه، ولم ينتبه لأن المسألة فيها دسّ أشعرية؛ لأن الأشعرية تحاول أن تنفي عن الله تعالى الكلام اللفظي، ذلك الأشعرية يقولون في كلام الله هو كلام نفسي، وردّ شيخ الإسلام -رحمه الله- في التسعينية، على الذين يقولون أن كلام الله كلام نفسي، وسميت التسعينية؛ لأنه رد على أصحاب الكلام النفسي من تسعين وجهًا.

وألفها شيخ الإسلام -رحمه الله- وأخذ هذا التأليف في رسالة دكتوراه، فرحم الله هذا الإمام، قد يؤلف في وقت يسير رسالة وتؤخذ في أربع أو خمس سنوات يحقق الطالب هذه الرسالة، ف-رحمه الله- وأسكنه فسيح جناته.

قال: لذلك زعموا بأن الأحاديث القدسية ليست من عند الله بألفاظها، إلى آخر كلامه -رحمه الله-.

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين، اللّهم اغفر لنا ولشيخنا وللحاضرين والسامعين.

قال الإمام -رحمه الله- تعالى: "باب سقوط الذنوب بالاستغفار توبة".

■ قال: حدثنا قتيبة بن سعيد، قال حدثنا ليث، عن محمد بن قيس قاص عمر بن عبد العزيز، عن أبي صرمة، عن أبي أيوب، -رضي الله عنه- أنه قال حين حضرته الوفاة: "كنت كتمت عنكم شيئًا سمعته من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- – انتبهوا لهذه العبارة لأن فيها فوائد – سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «لولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقًا يذنبون يغفر لهم»[1].

■ قال: حدثنا هارون بن سعيد الليلي، قال حدثنا ابن وهب، قال حدثني عياض وهو ابن عبد الله الفهري، قال حدثني إبراهيم بن عبيد بن رفاعة، عن محمد بن كعب القرضي، عن أبي صرمة عن أبي أيوب الأنصاري -رضي الله عنه-، عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «لو أنكم لم تكن لكم ذنوب يغفرها لكم لجاء الله بقوم لهم ذنوب يغفرها لهم»[2].

■ قال: حدثني محمد بن رافع، قال حدثنا عبد الرزاق، قال أخبرنا معمر، عن

(١) صحيح مسلم (٢٧٤٨).

(٢) صحيح مسلم (٢٧٤٨).

جعفر الجزري عن يزيد بن الأصم، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «والذي نفسي بيده، لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم»[1].

الشرح

كذلك في قوله فيستغفرون الله فيغفر لهم.

فوائد هذه الأحاديث:-

١. الفائدة الأولى:

هذه الأحاديث فيها ترغيب، لأن الإنسان إذا أذنب فليستغفر الله -سبحانه وتعالى-، فإنه إذا استغفر الله عز وجل بنية صادقة وقلب موقن فإن الله تعالى يغفر له، ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيم﴾[الزمر:٥٣] لذلك قال فيستغرفونه، فيغفر له.

٢. الفائدة الثانية:

أن الإنسان يكون قانطًا من رحمة الله وعفوه، عدم القنوط من رحمة الله وعفوه، لأن رحمة الله واسعة، وأن عفو الله -سبحانه وتعالى- عظيم.

---

(١) صحيح مسلم (٢٧٤٩).

٣. الفائدة الثالثة:

هذا الحديث فيه بشارة عظيمة، وكرم عظيم، وكذلك حلم من الله –سبحانه وتعالى–، ورأفة ورحمة وامتنان منه –سبحانه وتعالى– على عباده.

وهذا الحديث كقوله صلى الله عليه وسلم كما جاء عند الترمذي من حديث أنس بن مالك –رضي الله عنه– قال سمعت النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول: «قال الله يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي»[1].

قال القرطبي –رحمه الله–: فيدل هذا الحديث على عظيم فائدة الاستغفار، وعلى عظيم فضل الله وسعة رحمته وحلمه وكرمه –سبحانه وتعالى–.

لو أنكم ما تذنبون لأتى الله بخلق يذنبون فيستغفرون الله، فيغفر الله لهم، هذا دليل على فائدة الاستغفار.

٤. الفائدة الرابعة:

الرد على من غلط في فهم هذا الحديث، قال الطيبي: ليس في هذا الحديث تسلية للمنهمكين في الذنوب، بعض الناس يقول هذه الأحاديث فيها تسلية وفيها سعة لأصحاب الذنوب، لا.

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٤٠).

قال الطيبي -رحمه الله-: ليس في هذا الحديث تسلية للمنهمكين في الذنوب كما يتوهمه أهل الغرة بالله تعالى، فإن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه، إنما بعثوا ليردعوا الناس عن غشيان الذنوب، بل في هذا الحديث بيان لعفو الله تعالى، وتجاوزه عن المذنبين لكي يرغبوا في التوبة.

بعض الناس يفهم بعض الأحاديث على غير ما فهمها السلف، مثال ذلك: أول من تسعّر بهم النار ثلاثة، وذكر منهم العالم، والجواد والقارئ، والمجاهد، في بعض الروايات، فبعض الناس يقول: إن أول من تسعر بهم النار من؟ هم طلاب العلم، والذين هم طلبوا العلم، ولكن لم يخلصوا لله -سبحانه وتعالى-.

فلما أعرض نفسي إلى الهلكة، كان الجواب أن هذا الحديث إنما جاء في الحثّ على الإخلاص، ولم يأتي في الحث على ترك العلم، هذا الحديث إنما جاء في الحث على الإخلاص لله -سبحانه وتعالى-.

كذلك لما قالت عائشة لعروة يا عروة أكل حديث قد سمعته قد عملت به، قال لا، فقالت يا عروة لا تكثّر حجج الله عليك، يأخذ بعض الناس أنه لا يتوسع في العلم، حتى لا يكثّر حجج الله عليه.

والمقصود بقول عائشة العمل بالعلم، وليس ترك العلم، المقصود من قول عائشة -رضي الله عنه-ا لا تكثر لا تترك لا، إنما المقصود أن تحثّ عروة على العمل، فهو حثّ على العمل بالعلم.

كذلك في مثل الأحاديث ليس المقصود أن يكون الناس يذنبون، لا، إنما المقصود أنهم يذنبون ويستغفرون فهذا فيه ترغيب في التوبة، وعدم تقنيط الناس، ذلك هذه الأغلاط في فهم الأحاديث كثيرة خاصة عند العوام.

٥. الفائدة الخامسة:

ذكر ابن الجوزي -رحمه الله- في مشكل ما جاء في الصحيحين في معنى الحديث للحديث الذي معنى لو أنكم لم تكونوا تذنبون لآتى الله -سبحانه وتعالى- بقوم يذنبون فيستغفرون الله، فيغفر لهم.

ذكر ابن الجوزي -رحمه الله- معنى دقيق قال وهذا لأن الذنب يوجب الذل والخشية والخوف، وصدق اللجوء إلى الله، وبذلك يبين ذل العبودية وانفراد عز الربوبية، هذا التائب الصادق، قال -رحمه الله- وهذا لأن الذنب يوجب الذل والخشية وصدق اللجوء إلى الله، وبذلك يبين أي يظهر ذل العبودية وانفراد الله -سبحانه وتعالى- بعز الربوبية.

ذلك قال ابن القيم -رحمه الله- أن بعض الناس من شدة إقباله على الله وقوة توبته وإعراضه عن السيئات والمعاصي بعد أن كان مذنبًا قال يكون حاله بعد الذنب أفضل من حاله قبل الذنب، يكون بعض الناس إذا أذنب وأحسّ بذنبه وتاب يحصل عنده حرقة من الذنب، يحصل عنده ندم شديد من الذنب، فيكون إقباله على الطاعة والعبادات والحسنات أشد من إقباله قبل الذنب.

يقول ابن القيم -رحمه الله-: **وحال بعض الناس بعد الذنب أفضل من حاله قبل الذنب.**

لذلك جاء في الحديث الصحيح الذي ذكر ذُل العبودية قال ابن الجوزي -رحمه الله- لما قال -رحمه الله- ذلك يبين ذل العبودية وانفراد عز الربوبية، قال: أقول وقد ثبت عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «لو لم تكونوا تذنبون لخفت عليكم ما هو أكبر من ذلك العُجب العُجب»[1].

فقد حسّنا الشيخ ناصر -رحمه الله- هذا الحديث في صحيح الجامع، من قبل ذلك المنذري قال إسناده جيد، وإن كان بعض أهل الحديث قد ضعّفه ولكن الأقرب أنه حديث حسن لغيره.

انظروا إلى كلام المناوي -رحمه الله- في فيض القدير على حديث العُجب العُجب، قال -رحمه الله- في قوله لو لم تكونوا تذنبون لخفت عليكم ما هو أكبر من ذلك لكن هناك بعض الناس إذا داوم على الطاعة دخل عليه الغرور، دخل عليه العُجب، دخل عليه الكبر على عباد الله -سبحانه وتعالى-.

وقد يدخل عليه السخرية وقد يدخل عليه الاحتقار لبعض الناس، ويكون عنده عُجب بعمله، قال المناوي -رحمه الله- في فيض القدير: لأن العاصي يعترف بنقصه، فترجى له التوبة، والمعجب بعمله مغرور بعمله فتوبته بعيدة مع

---

(١) رواه البيهقي (٧٢٥٥)، والقضاعي في مسند الشهاب (١٤٤٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢٦٩). وقال: رواه البزار وإسناده جيد.

أن العجب ذنب، فقال -رحمه الله-: والمعجب مغرور بعمله، فتوبته بعيدة، وهم يحسبون أنهم يحسبون صنعًا.

قال أيضًا: ولأن دوام الطاعة قد توقع في العجب عند الجاهل وقليل العلم، ولهذا قيل أنين المذنبين إلى الله أحب من زجل المسبحين، لأن زجلهم قد يشوبه الافتخار، قد يكون من المسبحين، لكن يأتيه شيء من العجب، فقال: وأنين أولئك المذنبين الذين يستغفرون ويحصل عندهم توبة ورجوع إلى الله -سبحانه وتعالى- إذا وقعوا في الذنب.

يقول: وأنين أولئك يشوبه الانكسار والافتقار والمؤمن حبيب الله، يصونه ويصرفه عما يفسده إلى ما يصلحه، والمؤمن حبيب الله يصونه ويصرفه عما يفسده إلى ما يصلحه، ثم قال: والعجب يصرف وجه العابد عن الله والذنب يصرف وجه العبد إلى الله، قال والعجب يقبل به على نفسه، والذنب يقبل به على ربه، يا حي يا قيوم بحرمتك استغيث أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين، هذا انكسار وافتقار بين يدي الله -سبحانه وتعالى-.

قال: ولأن العُجب ينتج الاستكبار، والذنب ينتج الاضطرار، ويؤدي إلى الافتقار، وخير أوصاف العبد افتقاره واضطراره إلى ربه، فتقدير الذنوب وإن كانت سترًا ليست لكونها مقصودة بنفسها، فإن الله لم يخلق شرًا محضًا، ليست مقصودة لذاتها، بل لغيرها، وهو السلامة من العجب الذي هو خير عظيم للعبد إذا كان مفتقرًا إلى الله -سبحانه وتعالى-. إلى آخر كلامه -رحمه الله-.

الذهبي في الميزان على حديث الذي ذكرناه لكم «لو لم تكونوا تذنبون لخفت عليكم ما هو أكبر من ذلك العُجب العُجب» قال الذهبي في الميزان: ما أحسنه من حديث لو صحّ، هو يضعّفه، قال: ما أحسنه من حديث لو صحّ، لما سمعتم من هذه المعاني.

لذلك بعض الناس ينشغل بالنوافل عن الفرائض، وبعضهم ينشغل بالفرائض عن النوافل، قال الحافظ: بعض الناس يقوم الليل، ويضيع صلاة الفجر، يقوم الليل، ويصبح وقد أعجب بعمله.

كما جاء عن بعض السلف أنا لن أنام طول ليلتي وأحب مفتقرًا إلى الله، أحب إليّ من أن أقوم طول ليلتي وأنا معجب بعملي، هذه كلها من أدواء وأمراض القلوب.

قال الحافظ ابن حجر: فمن اشتغل بالفرض عن النفل، قال من اشتغل بالفرض عن النفل فهو معذور، ومن اشتغل بالنفل عن الفرض فهو مغرور.

٦. الفائدة السادسة:

هذه الأحاديث التي ذكرها المصنف -رحمه الله- فيها دلالة عظيمة على أن العبد لا تبعده الخطيئة عن الله وإلا ما قال نبينا في هذا الحديث، وإنما العبد الذي هو مقبل على الله -سبحانه وتعالى- تقربه الخطيئة وذلك بالاستغفار، قال أهل العلم وفيه دلالة على أن العبد لا تعبده الخطيئة عن الله، وإنما يبعده الاستكبار

والإصرار والإعراض عن مولاه، بل قد يكون الذنب عند بعض المذنبين التائبين الصادقين سبب للوصلة بينه وبين ربه -سبحانه وتعالى-.

٧. الفائدة السابعة:

هذا الحديث يدل على أن لو أن رجلًا تمت الشروط في حقه المعروفة، يعني من جهة الندم، من جهة الإقلاع، من جهة عدم العزم، ومن جهة أنه قد تاب في زمن التوبة، ثم عاد إلى الذنب مرة أخرى، فلا تنتقص توبته الأولى، لأنه عزم على أن لا يعود ولكن سولت له نفسه فعاد، إنما يجب عليه أن يتوب مرة ثانية، وهذا كلما أذنب يتوب، وفضل الله -سبحانه وتعالى- واسع.

٨. الفائدة الثامنة:

ما ذكرناه لكم أن أبا أيوب -رضي الله تعالى عنه وأرضاه- أنه قال لما حضرته الوفاة: كنت كتمت عنكم شيئًا سمعته من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قال القاضي عياض: وفي كتمه ذلك مخافة الاتكال، كما قال معاذ، الحديث المشهور المعروف، مخافة الاتكال، هذا الحديث فيه رجاء، قال: مخافة الاتكال وغلبة الرجاء والأماني وتعطيل العمل. لذلك كتمه في أول الأمر حتى حضرته الوفاة.

قال: وكتمه مخافة الاتكال وغلبة الرجاء والأماني وتعطيل العمل، ثم خاف الحرج، كما قال معاذ: لما بث الحديث ثم قال: مخافة التأثم والإثم، ثم خاف الحرج

بكتمانه جملة قبل موته فأنبأ به ليزول عنه الحرج، كذلك لأمر آخر مع ما فيه لنفسه من الرجاء، فيها فائدتان:

٩. الفائدة التاسعة:

وكتمه مخافة الاتكال، وغلبة الرجاء عند الناس والأماني عند الناس وتعطيل العمل، ثم خاف الحرج بكتمانه فأنبأ به مع ما في هذا الحديث لنفسه من الرجاء عند حضور موته، نحن مطالبون عند حضور الموت بإحسان الظن بالله ﷻ، ففيه فائدتان في ذكر أبي أيوب ﵁ هذا الحديث عند حضور وفاته ما ذكرنا لكم من هاتين الفائدتين.

ذلك قال أهل العلم -رحمهم الله-: لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله كما ثبت ذلك عند مسلم من حديث جابر رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

وقال الشيخ ابن باز -رحمه الله-: فالواجب كما ذكر أهل العلم أن على المسلم إذا أحس بمرض الموت أن يحسن الظن بربه وأن يرجح جانب الرجاء في هذه الحالة.

وقال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: قال بعض العلماء يغلّب جانب الرجاء في حال المرض وجانب الخوف في حال الصحة، لأن المريض منكسر ضعيف النفس وعسى أن يكون قد اقترب أجله، وهو يحسن الظن بالله عز وجل، وأما في حالة الصحة يكون نشيطًا مؤملًا طول البقاء فيحمله ذلك على الأشر والبطر، فيغلب جانب الخوف ليسلم من ذلك.

وقيل يكون رجاءه وخوفه واحدًا سواء لئلا يحمله الرجاء على الأمن من مكر الله والخوف على اليأس من رحمة الله، فكلاهما قبيح مهلك لصاحبه، بعض العلماء يقول في طول حياته وحتى عند موته، ولكن الصحيح ما ذكره أهل العلم أنه في حال موته يغلب جانب الرجاء والإحسان والظن بالله.

أما في حال حياته وحال الصحة فطول البقاء فيغلب جانب الخوف ليسلم من الأشر والبطر.

١٠. الفائدة العاشرة:

قال حين حضرته الوفاة: كنت قد كتمت عنكم.

قال القاضي عياض: وهكذا يجب لمذكر الناس وواعظهم ألا يكثر عليهم من أحاديث الرجاء، كتم ذلك خشية الاتكال، وذلك الداعية طبيب، الداعية إلى الله -سبحانه وتعالى- طبيب فإذا وجد في الناس إدبار عن طاعة الله، وإقبال على المعاصي وجد في الناس تغليب جانب الرجاء، بل في بعضهم مذهب المرجئة، فإنه من الواجب عليه أن يكون كما كان السلف -رحمهم الله-.

قال القاضي عياض -رحمه الله-: وهكذا يجب لمذكر الناس وواعظهم ألا يكثر عليهم من أحاديث الرجاء لئلا ينهمكوا في المعاصي وتعطيل الأعمال مع الاتكال، ويكون وعظه أغلب عليه التخويف والتحذير ولكن على حد لا ييأس ولا يقنط من رحمة الله -سبحانه وتعالى-، والإمام في ذلك يعني القدوة في ذلك كتاب الله تعالى، ووعظه.

١١. **والفائدة الأخيرة:**

قال أيضًا القاضي عياض: ويستحب لمن حضر. حضور ميت وتلقينه أو من اشتد عليه المرض أن يكون الغالب على ذكر من يكون حينئذ عنده آيات الوعد والغفران، وأحاديث الرجاء كما كان هنا من أبي أيوب بتطيب نفس الميت بلقاء ربه وبلقائه على ما مات عليه من حسن ظنه برحمته -سبحانه وتعالى-.

أنبه على مسألتين: -

المسألة الأولى: في جعل الصبيان غير المميزين في الصف، وقد نصّ أهل العلم على أن ذلك قطعًا للصف، فبعض الفضلاء إذا جاء في الصف جعل ابنه عن يساره، أو عن يمينه. العلماء -رحمهم الله- ذكروا في الصبي أنه على حالتين:

- إما أن يكون الصبي مميزًا.
- وإما أن يكون الصبي غير مميز.

فإذا كان الصبي مميزًا، ويفقه الصلاة ويصلي مع المسلمين، فهذا حكمه حكم البالغ، وأما إذا كان لا يصلي ويجلس أو يقف ويلتفت يمنة ويسرة، فإن هذا يقطع الصف.

الصحيح من أقوال أهل العلم -رحمهم الله- وهو مذهب البخاري، مذهب كثير من أهل العلم أن وصل الصفوف واجب، كذلك يدل على ذلك من وصل صفًا وصله الله، ومن قطع صفًا قطعه الله، فليتنبه الطالب أو من يصلي إلى مثل

هذه المسألة إما أن يحمل الطفل كما فعل النبي -صلى الله عليه وسلم- في صلاته، قد كان إمامًا، وهذه الحركة حتى وإن كانت فيها شيء من الكثرة، لكنها للحاجة.

المسألة الثانية: وضع الكتب بين يدي المصلي، أن يضع الطالب كتابه بين يديه، فإن ذلك يشغلهن مثل ما في هذه المذكرة فإن جعلتها على الغلاف، ففيها الكتابة، وإن جعلتها على ما كان خلف الكتاب ففيها كذلك كتابة.

وأذكر قبل خمس وعشرين سنة في درس الواسطية لشيخنا العلامة الشيخ محمد أمان الجامي -رحمه الله- وقد كنت صبيًا صغيرًا، الشيخ جزاه الله خيرًا قد كان مربيًا صليت عن يساره.

وقد كان معي كتاب العقيدة الوسطية، فكان الكتاب على الغلاف، يعني شيخ الإسلام ابن تيمية، وشرح كذا، وشرح كذا، فالشيخ -جزاه الله خيرًا- قال: يا بني اقلب الكتاب، فمن تلك الفترة أكثر من ربع قرن وأنا أتذكر الشيخ كلما وجدت طالبًا قد جعل كتابًا أمامًا، أو قد يحصل السهو مني فأقلب الكتاب.

وهذا من الشيخ -جزاه الله خيرًا- إتباع الأدلة الشرعية، فإن نبينا صلوات ربي وصلواته عليه، وهو من هو في خشوعه وإقباله على الله فإنه قد أشغل صلوات ربي وسلامه عليه ثم قال: اذهبوا بها قد أشغله إلى فلان فقد ألهتني عن صلاتي آنفًا.

فهذا التنبيه الذي ذكرته لكم تنبيه على قضية الصبيان الذين يقطعون الصفوف، كذلك ما يكون في الكتب لو جعل ورقة بيضاء على الكتاب وعلى الكلام حتى لا يُشغل في صلاته.

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللّهم اغفر لنا ولشيخنا والحاضرين والسامعين.

قال الإمام مسلم -رحمه الله- تعالى في صحيحه في كتاب التوبة.

"باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات والاشتغال بالدنيا".

الشرح

هل هذا قاله مسلم؟ وهل هذا قاله النووي، الكلام طويل، في مسألة من الذي بوّب؟ النووي بوّب بلا شك، كتبويبات لمسلم، تبويبات للقرطبي، تبويبات لأبي نعيم في المستخرج، المشهور تبويبات أنه قد بوب ما في الأحاديث مسلم، وقد ذكر هذا في المقدمة، يقول التبويب ليس من كلام مسلم -رحمه الله-.

قال: حدثنا يحيى بن يحيى التيمي وقطن بن نسير واللفظ ليحيى أخبرنا جعفر بن سليمان عن سعيد بن إياس الجريري.

يحيى بن يحيى التميمي، أو الليثي، المقصود به التميمي أو الليثي، الذي هو صاحب وطالب مالك، هذا التميمي؛ لأن يحيى بن يحيى الليثي ليس له رواية في

مسلم، لم يروِ عنه مسلم، أما يحيى بن يحيى صاحب الأندلس يروي عن مالك ويحيى بن يحيى هذا هو الذي يروي عنه مسلم -رحمهم الله- جميعًا.

ويحيى بن يحيى صاحب الأندلس سماه مالك بعاقل أهل الأندلس، في قصة الفيل، كان يقرأ على مالك أو في درس مالك ثم دخل الفيل المدينة، فانصرف الطلاب وبقي يحيى، فقال له: لم؛ لم تنصرف مع الطلاب، فقال: جئت لأخذ عن مالك أتعلم من مالك وأدرس على مالك، ولم آتي لأرى الفيل.

فقال **مالك: أخذ يلقبه بعاقل أهل الأندلس**، وكم عاقل من الطلاب عندنا؟ ، فالانشغال في الدرس بما ليس هو من الدرس، العلماء -رحمهم الله- نصوا أن ذلك من الأمور التي ينبغي على الطالب ألا يفعل ذلك.

■ قال: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى التَّيْمِيُّ وَقَطَنُ بْنُ نُسَيْرٍ وَاللَّفْظُ لِيَحْيَى أَخْبَرَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ إِيَاسٍ الْجُرَيْرِيِّ عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ عَنْ حَنْظَلَةَ الْأُسَيِّدِيِّ قَالَ: وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ: قُلْتُ نَافَقَ حَنْظَلَةُ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ مَا تَقُولُ قَالَ قُلْتُ نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ فَنَسِينَا كَثِيرًا.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَا ذَاكَ؟». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ[1].

■ قال: حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ حَدَّثَنَا سَعِيدٌ الْجُرَيْرِيُّ عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ عَنْ حَنْظَلَةَ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَعَظَنَا فَذَكَّرَ النَّارَ قَالَ ثُمَّ جِئْتُ إِلَى الْبَيْتِ فَضَاحَكْتُ الصِّبْيَانَ وَلَاعَبْتُ الْمَرْأَةَ. قَالَ: فَخَرَجْتُ فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ وَأَنَا قَدْ فَعَلْتُ مِثْلَ مَا تَذْكُرُ.

فَلَقِينَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ نَافَقَ حَنْظَلَةُ فَقَالَ: «مَهْ» فَحَدَّثْتُهُ بِالْحَدِيثِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَأَنَا قَدْ فَعَلْتُ مِثْلَ مَا فَعَلَ فَقَالَ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً وَلَوْ كَانَتْ تَكُونُ قُلُوبُكُمْ كَمَا تَكُونُ عِنْدَ الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمْ الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُسَلِّمَ عَلَيْكُمْ فِي الطُّرُقِ[2].

(١) صحيح مسلم (٢٧٥٠).

(٢) صحيح مسلم (٢٧٥٠).

■ قال: حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ سَعِيدٍ الْجُرَيْرِيِّ عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ عَنْ حَنْظَلَةَ التَّمِيمِيِّ الْأُسَيِّدِيِّ الْكَاتِبِ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَّرَنَا الْجَنَّةَ وَالنَّارَ فَذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِهِمَا(١).

الشرح

ذكر الإمام مسلم -رحمه الله- حديث حنظلة الأسيدي -رضي الله تعالى عنه- وأرضاه وهو أبي ربعي حنظلة بن الربيع الأسيدي الكاتب هو أحد كُتّاب رسول الله ﷺ ومعروف بحنظلة الكاتب، وهو غير حنظلة بن أبي عامر، الذي هو غسيل الملائكة، وهو قد اشتهر وسمي بالكاتب قال الواقدي في الطبقات: كتب للنبي ﷺ مرة كتابًا فسمي بذلك، يعني الكاتب.

وكانت الكتابة في العربي قليلة، وقال الصنعاني -رحمه الله- في التحبير، يقال له الكاتب؛ لأنه كتب الوحي لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-، والصواب في اسمه الأسيدي، وبعضهم كعبد الغني -رحمه الله- وابن أكولة -رحمه الله- قال الأسدي لكن الصواب الأسيدي، كما قال ذلك ونبه عليه القاضي عياض -رحمه الله-، في إكمال المعلم، قال من رواه الأسدي فقد اخطأ، وكان مما ذكر في ترجمته -رحمه الله- أنه خرج من الكوفة وانتقل وقال لا نقيم في بلد يشتم فيها عثمان بن عفان.

---

(١) صحيح مسلم (٢٧٥٠).

هذا الأثر قد ذكره البخاري -رحمه الله- مسندًا في التاريخ، ونأخذ فائدة من هذا الأثر مفارقة مواطن البدع والأهواء، مواطن الشبهات، وهذا هو الأصل في المسلم، وهذا أصل من أصول أهل السنة، التي هي مفارقة ومجانبة أهل البدع والأهواء.

فهذا الصحابي الجليل قال: لا نقيم في بلد يشتم فيها عثمان بن عفان، فكيف بمن يحضر دروس أهل البدع والأهواء ويحضر دروس التحريف والتضليل والتدليس.

والأصل في المسلم أن يجانب مجالس أهل البدع والأهواء، ذلك من يحضر عند أهل البدع ويحضر عند أهل الأهواء خالف هذا الأصل، الأصل عند أهل السنة مجانبة مجالس أهل البدع والأهواء، الذي يحضر عند أهل البدع والأهواء في مجالسهم ودروسهم.

هل هذا جانب أهل البدعة أو أوى إلى أهل البدع والأهواء، فالدراسة على أهل البدع عند أهل العلم لها أحكام ولها قيود شديدة ولها ضوابط أما أن تأخذ عن كل من هبّ ودبّ فإن ذلك يؤثر فيك بلا شك.

وكان شيخنا الشيخ محمد أمان وهذا مما أخذته عنه -رحمه الله- في الدراسة على السلف والدراسة على الخلف، قال لو درست على سلفي كتابًا فيه شيء من الهنات، فسيصوب لك السلفي وسيوجهك السلفي العالم السلفي أو الشيخ السلفي إلى الطريقة الصحيحة، كتاب فيه شيء من الهنات إما في أصول الفقه.

إما في شيء من كتب المؤلفين، ودرسته على شيخ سلفي أو على عالم سلفي فإن العالم السلفي سيخرجك بفضل الله ومنته إلى طريقة أهل السنة، ويرد على هذه الهنات.

يقول الشيخ -رحمه الله-: وفي المقابل لو درست كتابًا سلفيًا على شخص خلفي فسيحرف لك الكتاب إلى عقيدته الخلفية، الكتاب سلفي، الواسطية التدمرية لن تدرس هذه الواسطية على من؟ هو على مذهب الخوارج، فإذا جاء إلى مسائل الأسماء والأحكام حرّف هذا الكتاب إلى مذهبه الباطل، مع أن الكتاب سلفي إذًا كان من المرجئة فإذا جاء إلى أبواب الإيمان حرف ذلك إلى مذهب الباطل، وعلى هذا فقس.

فكانت هذه الوصية من أوائل الوصايا التي أخذناها في دراستنا على شيخنا الشيخ محمد أمان -رحمه الله- في الكتاب السلفي والكتاب الذي فيه هنات، وفي العالم السلفي ندرس الكتب وهو على عقيدة مخالفة، وهذا الأمر يجعله الطالب بين عينيه، لكي يصفو فإن الصفاء في زماننا عزيز.

١. **فالفائدة الأولى:** فيما يتعلق بحنظلة -رضي الله تعالى عنه- وأرضاه.

٢. **الفائدة الثانية:** في قول هذا الصحابي الجليل، نافق حنظلة؛ أي: صار منافقًا، والمنافق من يظهر الإسلام وفي قلبه شيء آخر، وذلك أنه إذا كان عند النبي -صلى الله عليه وسلم- أخلص وزهد في الدنيا وإذا خرج عنه ترك ما كان

عليه كفعل المنافقين، ذلك خشي على نفسه ماذا؟ النفاق -رضي الله تعالى عنه- وأرضاه، فهذا معنى قول حنظلة: نافق حنظلة، وهذا يجرنا إلى الفائدة الثالثة.

٣. **الفائدة الثالثة**: فضل الصحابة -رضي الله تعالى عنهم- وأرضاهم.

وقد قال الصنعاني -رحمه الله- في :التحبير": يؤاخذون أنفسهم بأقل الأشياء، الآن بعض الناس يقع في الموبقات، ويقع في المهلكات، وقد لا يؤاخذ نفسه، بل يرى نفسه أنه من أحسن خلق الله -سبحانه وتعالى-.

لذا هذا فضل السلف على الخلف، والمنبقي علينا أن نقتدي بالسلف في عقيدتهم، وفي منهاجهم، وفي طريقتهم فيما يتعلق بباب القلوب، هذا هو المنبغي علينا، وقراءة مثل هذه الكتب في التوبة وقراءة كتب الرقائق، إن لم تنتج عملًا فما الفائدة المرجوة العظيمة والثمرة من قراءة مثل هذه الأبواب.

إن كان الإنسان يقرأ في التوبة ولا يتوب، ويقرأ في كتاب الرقائق ولا يرق قلبه، ويسمع أحاديث رسول الله ﷺ وما جاء من الآيات في الوعد والوعيد، ولا يقبل على الله ولا ما عند الله ﷻ، فما هي الثمرة المرجوة.

فإن العلم يهدف بالعمل، فإن أجابه ولى ارتحل، إن كان قد جاء هذا عن علي بن أبي طالب، فهو لا يثبت عن علي -رضي الله تعالى عنه وأرضاه-، لكن معنى هذا الأثر صحيح، يهتف العلم بالعمل فإن أجابه ولى ارتحل.

فإذا كانت هذه الكتب وهذه الرقائق، وهذه الآيات من كتاب الله، ومن سنة رسول الله ﷺ وأحاديث رسول الله ﷺ، إذا كان الإنسان يقرأها قراءة ولا يعمل

بما ثبت عن رسول الله ولا يعمل بما جاء في كتاب الله قبل ذلك؛ وكذلك ما جاء في حديث رسول الله فإنه على خطر عظيم، ولذلك كما ذكرنا في سورة العصر- فيها العلم والعمل والدعوة إلى الحق الواجب والحق المستحب، مع الصبر على ذلك.

فهذا هو حال الصحابة -رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم- يؤاخذون أنفسهم، كما قال أنس -رضي الله عنه- إنكم تعملون أعمالًا هي في أعينكم أدق من الشعر، وكنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات، ينظر الإنسان في نفسه في نظرته في لحظه في عبادته في طاعته، في تقصيره، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن كما روي عن عمر ﷺ وأرضاه، من منا من يحاسب نفسه كما يحاسب التاجر عماله، هذا ماذا، وهذا كيف دخل، وهذا كيف خرج، فحنظلة قال نافق حنظلة؛ لأنه رأى في قلبه تغير من مجلس رسول الله ﷺ، وما يكون في بيته، فقال نافق حنظلة.

٤. الفائدة الرابعة:

في خوف السلف من النفاق، روى الفريابي في صفة النفاق وذم المنافقين هو كتاب مهم أن يقرأه طالب العلم هو مطبوع في مجلد لطيف، الفريابي وينقل عنه كثيرًا الحافظ بن حجر -رحمه الله- في الفتح، وينقل عنه كذلك الذهبي -رحمه الله- في السير، هو مهم أن يقرأ هذا الكتاب طالب العلم وقد خرج قديمًا في طبعة محققة.

قال: أقول: وقد روي الفريابي -رحمه الله-، في صفة النفاق في ذم المنافقين عن المعلى بن زياد، قال سمعت الحسن يحلف في هذا المسجد بالله الذي لا إله إلا هو ما مضى مؤمن قط ولا بقي إلا هو من النفاق مشفق، وما مضى منافق قط ولا بقي إلا هو من النفاق آمن، فزن أمرك يا عبد الله على قول الحسن.

قال: وكان يقول: من لم يخف النفاق فهو منافق، وجاء عن أيوب قال: سمعت الحسن يقول: والله ما أصبح ولا أمسى مؤمن إلا وهو يخاف النفاق على نفسه.

هل تفكرنا في أنفسنا في هذا الباب، هذا عمر -رضي الله تعالى عنه- وأرضاه، وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم- أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وعدّ باقي العشرة.

يسأل حذيفة -رضي الله تعالى عنه- وأرضاه، أسألك بالله يا حذيفة هل عدني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من المنافقين أم لا، يسأله ويناشده بالله، وكثير منا لا يسأل نفسه هل نافق؟ هل وقع في كذا؟ هل فعل كذا؟ ينام عن الصلوات، يترك الفرائض ينظر إلى المحرمات يستمع إلى الموسيقى والأغاني.

وقد ينظر إلى ما هو أسوأ من ذلك، وقد يتكلم مع غير المحارم بكلام فاحش، كلام ساقط، وقد ينظر إلى امرأة لا تحل له، ويعد نفسه أنه من أكمل الإنسان إيمانًا، وهنا عمر -رضي الله تعالى عنه- وأرضاه يسأل حذيفة ويناشده

بالله، هل عدني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من المنافقين، وكما قال الحسن لا يأمنه إلا منافق، ولا يخاف النفاق إلا مؤمن.

ذلك هذه الدقائق وهذه الأمور ينبغي علينا أن نلحظ فيها قلوبنا، لا نكون نعيش في هذه الدنيا سبهللة، لا نلحظ قلوبنا ولا نلحظ أمورنا، ولا نحاسب أنفسنا، هذه الدنيا إنما هي معبر للدار الآخرة، فإذا أنزلت في قبرك فإن منازل الآخرة القبر.

ثبت في البخاري -رحمه الله- من حديث عثمان -رضي الله تعالى عنه وأرضاه- أنه كان يبكي عند ذكر القبر فسئل عن ذلك -رضي الله تعالى عنه وأرضاه- قال سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول:«إن أول منازل الآخرة القبر»[1].

كان بعض الأشياخ في المدينة في مجلس من المجالس، وقد حضرت هذا المجلس، إذ ناقشونا في أشراط الساعة، وهل الساعة انتهت أشراطها الصغرى، أو بقي شيء من أشراطها، وهل الساعة أشراطها الكبرى، ثم القيامة قد قربت أو لم تقرب.

فقال أحد المشايخ جزاه الله خيرًا، قال: يا أساتذة أو يا مشايخ، من مات فقد قامت قيامته، وهذا جاء عن بعض السلف عن المغيرة أظن قد بحثته سابقًا.

---

(١) المستدرك على الصحيحين (١٤١٣)، الترمذي (٢٣٠٨) وابن ماجه (٤٢٦٧).

الآن بعض الناس ينظر إلى أشراط الساعة، والموت أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، فقد يغمض الإنسان عينه، ويرى ويقوم وقد وسد في قبره، قد يغمض بعضنا عينه، وبين الملكين منكر ونكير، ذلك الواجب علينا يا إخواني أن نقبل على الله ﷻ وأن نحاسب أنفسنا كما كان سلفنا -رحمهم الله-، يحاسبون أنفسهم.

بل جاء عن عمرو بن الأسود، أنه كان إذا خرج من المسجد قبض بيمينه على شماله، باب النفاق، ذكر ذلك الفريابي -رحمه الله-، ذكر ذلك مسندًا عن عمرو بن الأسود أنه كان إذا خرج من المسجد قبض بيمينه على شماله، فيسأل عن ذلك انظروا إلى دقة السلف، وفضل السلف، وعلو قدر السلف.

لا يقولون قائل هم رجال ونحن رجال، وأذكر كذلك شيخنا الشيخ محمد أمان لما نبتت نابتة في الطعن في الحافظ بن حجر، في الطعن في بعض أئمة الإسلام كأبي حنيفة، فكان يقول لنا في الدرس هم رجال، لما يقولون نحن رجال وهم رجال، قال نعم في الرجولة وأما في الفضل والإمام فلا.

كان يقول لنا: وكأني أرى الشيخ يقولها لنا، لما نبتت تلك النابتة، قال نعم في الذكورة نعم، وأما في الفضل والإمامة، فهم رجال ولهم الفضل -رحمهم الله-.

فكان إذا خرج من المسجد قبض بيمينه على شماله فيُسأل عن ذلك فقال مخافة أن تنافق يدي، علق الذهبي -رحمه الله- في السير قلت يمسكها خوفًا من أن يختر بيده في مشيته، فإن ذلك من الخيلاء.

كتاب الفريابي كتب بعض العلماء كتابًا في العلم وذكر ما ذكره الذهبي -رحمه الله- في السير، والكتاب قرأته قديمًا، لكن الآن الكتاب طبع فيرجع إلى كتاب الفريابي المطبوع.

قال الذهبي -رحمه الله-: يمسكها يعني عمرو خوفًا من أن يختر بيده في مشيته، بعض الناس إذا طلع يختر في مشيته، حتى في المشية كان السلف يلحظون ذلك، فكيف بالقلب، فكيف بالنظر، فكيف باللسان، والسمع من باب أولى أن يلحظ الإنسان نفسه.

٥. الفائدة الخامسة:

جاء في الحديث في قول حنظلة عافسنا، أي: خالطنا ولاعبنا وعالجنا ولهونا معهم ونسينا ما كنا عليه عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، يوضح ذلك الرواية الأخرى التي ذكرها مسلم هنا قال: فضاحتك الصبيان ولاعبت المرأة، والضيعات المعائش والأراضي والبساتين، وإلى هذا الزمان تسمى الضيعة في بعض البلدان تسمى البستان بالضيعة.

٦. الفائدة السادسة:

حتى كأنا نرى ذلك رأي العين، يعني كأنا نرى الجنة والنار رأي عين، من قوة اليقين؛ لأن من الذي يخبرهم بذلك؟ النبي ﷺ فقال حتى كأنا نرى ذلك رأي العين، يعني كأنا نرى الجنة والنار رأي العين من قوة اليقين، حيث يخبرهم بذلك

النبي ﷺ وما أخبر به النبي ﷺ فهو كالمشاهد، بل قد يكون أعظم؛ لأنه خبر من أصدق الخلق -صلى الله عليه وسلم-، وأعلم الخلق بالله ﷻ.

٧. الفائدة السابعة:

فنسينا كثيرًا، في قوله فنسينا كثيرًا أي نسينا كثيرًا وإلى هنا بيان من حنظلة لما يتوهمه من نفسه من النفاق، ثم النبي -صلى الله عليه وسلم- لما قال له كما جاء في الحديث الذي معنا، قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل ذلك.

٨. الفائدة الثامنة:

جاء في رواية ففزع أبو بكر، وهذا دليل على فضل أبي بكر -رضي الله تعالى عنه-، وتقواه وخشية أبي بكر -رضي الله تعالى عنه- وأرضاه، فزع وقال هنا فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر -رضي الله عنه- حتى دخلنا على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قلت نافق حنظلة يا رسول الله، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وما ذاك، قلت يا رسول الله نكون عندك فتذكرنا بالنار والجنة، كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرًا.

٩. الفائدة التاسعة:

فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والذي نفسي بيده، وهنا النبي -صلى الله عليه وسلم- أقسم من غير أن يحلف صلوات ربي وسلامه عليه، لعظيم

ما سيذكره -صلى الله عليه وسلم- وهي الفائدة التاسعة، أن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي الطرقات.

١٠. الفائدة العاشرة:

وجاء في رواية أن هذه المصافحة بالأجنحة، على حقيقتها وليس كما يتوهمه بعض الناس أن ذلك إنما المقصود به القرب أو المقصود به شيء من ذلك هذه المصافحة على حقيقتها، لأن الأصل في النصوص أن تحمل على الحقيقة.

لماذا قال النبي ﷺ على فرشكم وفي الطرقات، قال أهل العلم؛ لأن ذلك موطن الغفلات، فالرجل على فراشه مع أهله أو في الطرقات مع الناس هو موطن غفلة، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة، أي تكون ساعة في الحضور، فتؤدون حقوق ربكم وساعة في الغيبة والفتور، فتؤدون حقوق أنفسكم.

وفي قوله لما قال يا حنظلة ساعة وساعة، يعني كما قال أهل العلم، ساعة للرب عز وجل، وساعة مع الأهل والأولاد وساعة للنفس، حتى يعطي الإنسان لنفسه راحتها ويعطي ذوي الحقوق حقوقهم، وهذا من عدل الشريعة الإسلامية، هذا من عدل الشريعة الإسلامية وكمالها أن الله ﷻ له حق فيعطى حقه ﷻ.

وكذلك للنفس حق فتعطى حقها، وللأهل حق فيعطون حقوقهم، وللزوار وللضيوف حق فيعطون حقوقهم، حتى يقوم الإنسان بجميع الحقوق التي عليه على وجه الراحة، فيتعبد لله عز وجل براحة، لأن الإنسان إذا أثقل على نفسه وشدد عليه ملّ وتعب، وهذا من كمال الشريعة.

وإذا شدد على نفسه وأثقل على نفسه فإنه يمل ويتعب، وقد يضيع حقوقًا كثيرًا، ففي العبادة يقوم بحقها، وفي حقوق النفس كذلك والأهل والضيف يقوم أيضًا بحقوقها.

كذلك نبه العلماء أيضًا في طلب العلم، نبه أهل العلم -رحمهم الله- في طلب العلم فقالوا فإذا رأى طالب العلم من نفسه مللًا كما نبه على ذلك شيخنا الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- فإن رأى طالب العلم من نفسه مللًا في مراجعة كتاب ما قال -رحمه الله- فلينتقل إلى كتاب آخر.

وإذا رأى من نفسه مللًا من دراسة فن معين، فإنه ينتقل إلى دراسة فن آخر، وهكذا يريح نفسه، ويحصل علمًا كثيرًا، أما إذا أكره نفسه على الشيخ حصل له من الملل والتعب ما يجعله يسأم وينصرف إلا ما شاء الله.

فإن بعض الناس يكره نفسه على المراجعة والمطالعة والبحث مع التعب، ثم يأخذ على ذلك ويكون أمر دائم له ويكون ديدن له، حتى إذا فقد هذا الشيخ ضاق صدره، والله يؤتي فضله من يشاء.

فبعض الناس حتى وإن وجد من نفسه تعبًا ومللًا فإنه يجاهد نفسه، وهذا ليس الناس على هذا الحال قال الشيخ -رحمه الله- لما قال: إلا ما شاء الله فإن بعض الناس يكره نفسه على المراجعة والمطالعة والبحث مع التعب ثم يأخذ على ذلك، ويكون هذا أمر دائم له، ويكون ديدن له، حتى أنه إذا فقد هذا الشيء ضاق صدره، وهذا من فضل الله ﷻ عليه.

وأعـرف بعـض طـلاب العلـم إذا مـا التحـق بالـدروس أو التحـق بمدارس العلـم صـدره يضـيق، فهـذا أصبح هـذا الأمر ديدن لـه، وإن غـاب عـن درس أو درسين فإنه يجد في نفسه الضيق، حتى في أيام الاختبارات والامتحانات حيث يكون بها شغل عن دروس العلم، وعن مطالعة كتب العلم، وعـن حضـور مجالس العلم، يضيق صدره.

يقـول: كـأني أصبحت عاميًا، هـذا من فضـل الله تعالى عليـه، لكـن كثيرًا من الناس يحصل لهم الملل والتعب، كما قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- ينتقل إلى فن آخر.

فالإنسـان فقيه نفسه، في بعـض المسـائل هناك أصـول عامة في بعض المسـائل تسأل هـل أنتقل إلى فن آخر، الأصل أن تبقى على الفن، لكـن في بعـض الأحيان طالب العلم فقيه نفسه، فلو استمر على هذا الفن فإنه لـن يحصل هـذا الفن لمللـه، فمثل هذا الباب نقول له انتقل إلى فن آخر، حتى تنشط.

لـذلك أهـل العلـم -رحمهـم الله- ذكـروا في تقسـيم كتـب الفقـه إلى كتـاب الطهارة، وتحت كتاب الطهارة كتاب المياه، كتاب الآنية، كتاب كذا، ثم ذكـروا كتاب الصلاة، ولمـا ذكروا كتاب الصلاة من الأبواب قالوا ذكروا فوائد قد ذكرت ذلك في درس الفقه، من تلكم الفوائد حتى ينشط طالب العلـم، ذلك قسموا لـه مثل هذه التقاسيم.

لذلك هذا الحديث حديث عظيم وفيه أن الإنسان يروح عن نفسه فكما قال نبينا ﷺ يا حنظلة ساعة وساعة، وجاء في حديث رواه أبو داود في مراسيله لكنه متكلم في إسناده: «روحوا القلوب ساعة وساعة»[1]. قال الصنعاني -رحمه الله- أي أريحوها بعض البعض، من مكابدة العبادات بمباح لا عقاب فيه ولا فوات.

بعض الناس يفهم وهذا غلط في الفهم مثل هذه الأحاديث أنه ساعة لله وساعة للمعاصي والذنوب، وساعة لسماع الموسيقى، وساعة لحضور السينما، إنما ساعة وساعة، ساعة لله ﷻ في الإقبال على الله، والإقبال على ما عند الله ﷻوساعة كما قال العلماء -رحمهم الله- في مباح لا عقاب فيه، ولا ثواب ذلك كما جاء عند الفسوي في المعرفة والتاريخ.

وذكر ذلك مسندًا عن ابن جابر عن عمير بن هانئ أنه كان يضحك، فقالوا له: يا أبا الوليد ما هذا؟، فكان يقول قال: بلغني أن أبا الدرداء إني أستجم ببعض الباطل ليكون أنشط لي في الحق، المقصود بالباطل هنا ليس المقصود بالباطل المعاصي والذنوب المقصود الذي هو المباحات التي هي خلاف ما يكون من الطاعات والعبادات والحق، قال إني استجم ببعض الباطل ليكون أنشط لي في الحق.

---

(١) السلسلة الضعيفة (٣٦٤٩).

كذلك روى ابن أبي الدنيا في كتاب العقل وفضله ما جاء عن علي -رضي الله تعالى عنه- وأرضاه، قال: "**إن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان، فالتمسوا له من الحكمة طرفًا**".

لذلك كان الزهري -رحمه الله- كما ذكر ذلك ابن عبد البر -رحمه الله- في جامع بيان العلم وفضله، كان إذا انتهى من الدرس قال أين أهل الأخبار؟، أين أهل الأشعار؟، قال أهل العلم: فإن العلم على قسمين عقد ومُلح، فمن العلم ما هو عُقد يحتاج إلى صبر ومجاهدة ومكابدة وقوة، قراءة في كتب قوية.

لكن الإنسان كذلك يذهب إلى مُلح العلم لينشط على عقد العلم، ذلك ابن عبد البر -رحمه الله- نفسه له كتاب التمهيد، يقول فيه -رحمه الله- سمير فؤادي منذ ثلاثين حجة، يعني سنة وله كتاب ماذا بهجة المجالس، بهجة المجالس في الأشعار، وفي الآداب، وفي الملح.

وهذا هو طالب العلم، حتى وإن كان عنده عقد يدرس كتب قد يكون فيها شيء من التركيز كذلك ينشط بملح العلم، فيكون أمره في العلم وإلى العلم، وإن ذهب إلى البساتين فلا بأس.

لذلك كان **الشافعي -رحمه الله-** كما جاء عنه كان إذا خرج إلى البستان حصل منه أنه قد يحصل منه شيء فيه من اللهو والمزاح الذي ليس فيه مخالفة للشريعة فيسأل عن ذلك قال ليس من الوقار الورع في البستان، فإن الورع يكون

في مجالس غير هذه المجالس مجالس البساتين، مجالس الاستراحات فإن فيها شيء من الانبساط، الانبساط مع الأطفال، الانبساط مع الخلان، مع الزملاء.

أما أن يكون في درس علم قال ليس من الوقار، وتذكرون قصة ولم أخذه بإسناد لذلك لن أذكر هذا العالم، لكن معناها صحيح، من كبار مشايخنا في بلادنا في بلاد السعودية، من كبار العلماء، أنه خرج مع بعض طلابه في نزهة، وكان شديد في درسه وطريقته، وحازم لكنه توسع في هذه النزهة فلما انتهى من النزهة حفر حفرة بيده صغيرة.

وقال لطلابه ما رأيتموه في هذه النزهة يدفن هنا، ودفن الحفرة، لأن بعض الطلاب عنده شيء من عدم الفقه فلما تبسط له الشيخ في بستان أو في نزهة أو استراحة، أو في مواطن التوسع يظن أن ذلك كذلك يكون في الدرس فيجرؤ عليه، الطالب الفطن يكون يعرف ما يكون في البيت وما يكون في مواطن النزهة، وما يكون في مواطن الدرس هذا هو طالب العلم، يلحظ شيخه ويلحظ الأدب مع شيخه، ويلحظ الوقار لشيخه.

فإن كان حصل شيء من التوسع في مواطن فإنه يرد ذلك إلى ما ذكرناه لكم، ذلك ذكر ابن مفلح في الآداب الشرعية أن العاقل إذا اختلى بأهل بيته كان كالطفل، قد جاء ذلك عن بعض الصحابة – يلاعبهم ويمازحهم، ذلك جاء أن ابني هذا ارتحلني لما كان يراه في البيت فظن أن هذه الهيئة هيئة ما يكون من

ممازحة في البيت، هذا العاقل، أما أن يدخل البيت وهو عبوس ويخرج وهو عبوس، ونحن كذا، وينبغي على طالب العلم.

كما قال الصحابي هنا عافسنا النساء، ولاعبنا النساء وضاحكنا الصبيان، هذا هو حال الصحابة، وهذا هو حال فضلاء الصحابة، وقال أبو بكر وأنا كذلك فننهج نهج السلف في طريقتهم وفي منهاجهم وفيما كان عليه السلف -رحمهم الله- وأسكنهم فسيح جناته.

وفي قوله: «ساعة وساعة»، قال أهل العلم: تدل على أنه لا يكون الرجل منافقًا كأن يكون في وقت على غاية الحضور وصفاء القلب مع الذكر وفي وقت لا يكون بهذه الصفة لا يكون منافقًا بعض الناس يقولون هذا انفصام لكن هذه من طبيعة البشرية، وليس كما يقال انفصام في الشخصية فهنا يقول نبينا -صلوات ربي وسلامه عليه-: «يا حنظلة ساعة وساعة».

بل قال أهل العلم -رحمهم الله- وأدركوا الفائدة هذه قالوا: في قوله: «ساعة وساعة»، تدل على أنه لا يكون الرجل منافقًا بأن يكون في وقت على غاية الحضور والصفاء في القلب وفي الذكر وفي وقت لا يكون بهذه الصفات، بل لا بأس في وقت بأن يكون ساعة في الذكر وساعة في الاستراحة والنوم والزراعة ومعاشرة النساء والأولاد وغير ذلك من المباحات.

في قول نبينا -صلوات ربي وسلامه عليه- كما جاء في الرواية أنه قال ذلك ثلاث مرات، قال: «يا حنظلة ساعة وساعة، يا حنظلة ساعة وساعة»، كما جاء

ذلك في ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات، أعاد -صلى الله عليه وسلم- ذلك ثلاثًا للتأكيد، وإزالة ما اتهم به نفسه وبيان أنهم لا يقدرون على دوام الحضور، حضور القلب، كذلك وبيان أنهم لا يقدرون على ذلك على دوام الحضور.

١١ .الفائدة الحادية عشر:

ذكرنا أن المقصود بساعة وساعة يعني بين الحق والمباحات، لا كما يتوهمه بعض العصاة في أن المقصود بذلك ساعة للطاعة وساعة للمعصية، فإن ذلك ليس بفهم السلف، ولا الصحابة -رضي الله عنه-م وأرضاهم.

لذلك جاء عن الأوزاعي قال سمعت بلال بن سعد، بعض الناس يقول :ساعة وساعة، ساعة لطاعة الرحمن وساعة للبيت والخلوة مع الشيطان.

قال: جاء عن الأوزاعي كما روى ذلك الفريابي في كتاب صفة النفاق وذم المنافقين، قال: سمعت بلال بن سعد يقول لا تكن وليًا لله ﷻ في العلانية، وعدوه في السر، لا تكن وليًا لله ﷻ في العلانية، وعدوه في السر، لذلك قال بعض أهل العلم لا تكن بين الناس قديسًا، وإذا اختليت بمحارم الله إبليسًا.

بعض الناس يكون بين الناس قديسًا يشار له بالبنان وعلى ذكر الطاعة، وإذا اختلى بنفسه كان إبليسًا تتبع المحرمات ونظر في المحرمات وتكلم بالمحرمات، واستلذ عياذً بالله بالمخالفات.

١٢ .الفائدة الأخيرة:

في الموازنة في هذا الباب، قال ابن الجوزي في كشف المشكل في قوله ساعة وساعة قال: معناه ساعة لقوة اليقظة، حضور القلب الإقبال على الله وساعة للمباح، طيب هذا المباح قد يوجب غفلة قال وساعة للمباح وإن أوجبت بعض الغفلة.

وهذا لأن الإنسان لو حقق مع نفسه ما بقي فلا بد للمتيقظ من التعرض لأسباب الغفلة، ليعدل ما عنده، ومن أين يقدر على الأكل والشرب والجماع من يرى الأمر كأنه معاين.

يقول حنظلة: فكأنا نرى الجنة والنار فكيف يجامع أهله من كان يرى الجنة والنار وكيف يأكل من يرى الجنة والنار، وكيف يعاشر أصدقائه وأصحابه من يرى الجنة والنار كيف يكون هذا، فبعض الغفلات.

قال بعض أهل العلم: قد تكون نعمة حتى تستطيع أن تعيش في الحياة، بعض الغفلات المقصود بالغفلات ليس عياذاً بالله المحرمات والسيئات والمعاصي، ذلك قال ومن أين يقدر على الأكل والشرب والجماع من يرى الأمر كأنه معاين يرى الجنة ويرى النار، كأنها معاينة.

قال يقول ابن الجوزي -رحمه الله-: وهذا ما ذكرته لكم وإن من الغفلة لنعمة عظيمة، لو أن الإنسان ذكر النار على باله دائمًا، هل سيجامع أهله، هل سيلاعب أطفاله، هل سيبتسم؟

قال -رحمه الله- وإن من الغفلة لنعمة عظيمة إلا أنها شوف العلماء، باب الموازنة إلا أنها إذا زادت أفسدت، العلماء -رحمهم الله- لا يحرمون ولا يكرهون فعل المباحات ولكنهم يكرهون الاستغراق في المباحات.

فالاستغراق في المباحات يؤدي إلى فعل المكروهات، والإكثار من المكروهات قد يؤدي إلى فعل المحرمات، ذلك من دقة العلماء، لا يذكرون المباحات بإطلاق، يحثون الناس على الخير، إنما ينهون الناس على أن يكون المسلم مستغرقًا وقته في المباحات، قال -رحمه الله- إلا أنها إذا زادت أفسدت إنما ينبغي أن تكون بمقدار ما يعدل، يكون عنده عدل.

وأختم شرح هذا الحديث، بنقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-، وهو مفيد، في هذا الباب، وسأنقله بطوله؛ لأن فيه فائدة في مثل هذه الأبواب.

قال شيخ الإسلام: وقد روى أبو حاتم يعني ابن حبان في صحيحه حديث أبي ذر -رضي الله عنه- الطويل عن النبي -صلى الله عليه وسلم- الذي فيه من أنواع العلم والحكمة وفيه أنه كان في حكمة آل داود عليه السلام حق على العاقل أن تكون له أربع ساعات، ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يخلو فيها بأصحابه الذين يخبرونه بعيوبه، ويحدثونه عن ذات نفسه، وساعة يخلوا فيها بلذته فيما يحل ويجمل، فإن في هذه الساعة الأخيرة عونًا على تلك الساعات.

قال شيخ الإسلام: فبين أنه لا بد هذا من المحققين في العلم العلماء المسلمين بل من أئمة المسلمين، قال شيخ الإسلام معلقًا على ما جاء في هذا الحديث فبين أنه لا بد من الملذات المباحة الجميلة فإنها تعين على تلك الأمور، ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يخلو فيها بأصحابه الذين يخبرونه بعيوبه ويحدثونه عن ذات نفسه. وساعة يخلو فيها بلذته فيما يحل ويشمل.

قال شيخ الإسلام: فبين أنه لابد من اللذات المباحة الجميلة، فإنها تعين على تلك الأمور. ولهذا ذكر الفقهاء أن العدالة هي الصلاح في الدين والمروءة؛ باستعمال ما يجمله ويزينه وتجنب ما يدنسه ويشينه.

وكان أبو الدرداء ﵁ الذي ذكرناه لكم: أني لاستجم نفسي بالشيء من الباطل، لاستعين به على الحق.

يقول شيخ الإسلام: والله ﷻ إنما خلق اللذات والشهوات في الأصل لتمام مصلحة الخلق؛ فإنهم بذلك يجتنبون ما ينفعهم كما خلق الغضب ليدفعوا به ما يضرهم، وحرم من الشهوات ما يضر تناوله، وذم من اقتصر عليها.

فأما من استعان بالمباح الجميل عدا الحق؛ فهذا من الأعمال الصالحة. فأما استعينوا بنومتي على قومتي. من يقول هذا؟ معاذ في الصحيح. استعين بقومتي على نومتي.

بعض الناس يقول: أنام العصر؛ حتى أنشط لدرس المغرب أو بعد العشاء. هذا فيها استعانة لمباح لماذا؟ قال: احتسب نومتي لقومتي. فهي نشاط.

جاء في أحاديث لكن فيها ضعف بلا شك؛ قال: «نية المؤمن خير من عمله»[1]. لكن ظاهره ليس المقصود فيه ترك العمل، لكنه حديث ضعيف، لكن علماء القواعد الفقهية ذكروا شرحه، المقصود به أن بعض النيات تكون توصل العبد لدرجات عالية. وقد لا يكون عمله لكن نيته الصالحة ماذا؟ أوصلته لهذه الدرجة العالية.

قال شيخ الإسلام: فأما من استعان بالمباح الجليل على الحق -ذكر ذلك السيوطي -رحمه الله- في الأشباه والنظائر في قضية نية المؤمن خير من عمله- راجعوه. وهو حديث ضعيف بلا شك، بعض أهل العلم يعني رد حتى في معناه، لكن له معنى صحيح.

قال: فأما من استعان بالمباح الجليل على الحق؛ فهذا من الأعمال الصالحة، ولهذا جاء في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: «في بضع أحدكم صدقة». قالوا: يا رسول الله؛ أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «أرأيتم لو وضعها في

---

(١) الطبراني (٦-١٨٥)، وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٣-٢٥٥)، ضعفه الألباني في ضعيف الجامع برقم (٥٩٧٧).

حرام؟ أما يكون عليه وزر؟ » قالوا: بلى. قال: «فلما تحتسبون بالحرام ولا تحتسبون بالحلال»[1].

وفي الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص ﵁ أن النبي ﷺ قال: « إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا اللقمة تضعها في فيّ امرأتك»[2].

أنبه على فائدة: بعض الناس مثل بعض الشيبان عندنا، يعني: جزاه الله خيرًا، نوى في أول عمره النية الصالحة مع زوجته أنه لما يأتي بالأغراض ويأتي بالنفقة، نوى ما جاء في هذا الحديث. القربة إلى الله ﷻ. ومر على كحالنا أكثر من عشرون سنة متزوج.

هذه العشرون سنة استحضار النية قد يغفل الإنسان عنها، والضابط في هذا الباب، قال أهل العلم: ليس من شرط ذلك الأمر استحضار النية، ولكن من شرط ذلك عدم قطع النية.

انتبه وهذه المسألة يذكرونها تحت قاعدة: الأمور بمقاصدها. فالأمور بمقاصدها وبحال ذلك أنت في الصلاة نويت أن تصلي صلاة الظهر ودخلت في الصلاة، هل أنت مستحضر للنية في كل صلاتك؟ الاستحضار أمره مستحب، لكن لو حصل في ثنايا ذلك غفلة عن الاستحضار لكن الشرط في ماذا عدم

---

(١) صحيح مسلم (١٠٠٦).

(٢) صحيح البخاري (٥٨)، صحيح مسلم (١٦٢٨).

قطعها، كما قال الفقهاء -رحمهم الله-: من نوى الفطر أفطر. من نوى ماذا؟ قطعها.

إنسان يصوم من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، قد لا يستحضر النية، يشتغل في عمله ويشتغل في دوامه، قد لا يكون مستحضرًا طول وقته نية الصيام؛ لذلك قد يأكل ناسيًا.

فهل هذا عدم الاستحضار فيه أنه يكون بعدم استحضاره أن عبادته يُنصح له؟ استحضار باب والقطع باب آخر، وهذا من فضل الشريعة.

يعني إنسان من يعيش مع امرأته عشرين أو خمس وعشرين أو ثلاثين أو أربعين سنة، قد لا يستحضر في كل نفقة مثل هذه الأحاديث، لكنه مأجور عليها؛ لأنه لم ينوِ قطعها. وإنما نواها ذلك النية الصالحة مطلوبة وينوي ذلك إذا تزوج أو أنه ما يجعله في فيّ امرأته ما يأتي به من أغراض أو أرزاق من كذا ينوي به ما ذكر في مثل هذه الأحاديث.

قال شيخ الإسلام: بالمؤمن إذا كانت له نية أتت على عامة أفعاله، وكانت المباحات من صالح أعماله، لصلاح قلبه ونيته. الفرق بين المؤمن والمنافق؟ قال: فالمؤمن إذا كانت له نية أتت على عامة أفعاله، وكانت المباحات من صالح أعماله، لصلاح قلبه ونيته.

قــم قــال: والمنــافق لفســاد قلبــه ونيتــه، يُعاقــب عــلى مــا يظهــره مــن العبادات، وهذا يصلي مع أنه ماذا؟ لفساد نيته، وذاك المؤمن حتى في المباحات بنيته الحسنة قد جُعلت من قبيل الصالحات، ففضل الإيمان وذم النفاق.

فقال: والمنافق لفساد قلبه ونيته يُعاقب على ما يظهره من العبادات رياءً، فإن في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ»[(١)].

قال: وكما أن العقوبات شُرعت داعية إلى فعل الواجبات، وترك المحرمات فقد شُرع أيضًا كل ما يعين على ذلك، فينبغي تيسير طرق الخيل والطاعة والإعانة عليه، والترغيب فيه بكل ممكن. مثل أن يبذل لولده وأهله أو رعيته ما يرغبهم في العمل الصالح من مالٍ أو ثناء أو غيره.

ولهـذا شُرعـت المسـابقة بالخيـل والإبـل والمفاضـلة في السـهام وأخـذ الجعـل عليها لـما فيها من الترغيب في إعداد القوة ورباط الخيال للجهاد في سبيل الله؛ حتـى كـان النبـي ﷺ يسـابق بـين الخيـل هـو وخلفـاؤه الراشـدون ويخرجـون مـن الأسباق من بيت المال وكذلك عطاء المؤلفة قلوبهم. وقد رُوي أن الرجل يسلم أول النهـار رغبـة في الـدنيا، فـلا يجـيء إلا والإسـلام أحـب إليـه ممـا طلعـت عليـه الشمس.

---

(١)صحيح البخاري (٥٢) صحيح مسلم (١٥٩٩).

بعض الأبناء والأولاد والبنات قد ترغبهم بالطاعة، وفي طلب العلم بجائزة وثناء وهذا لا يخالف ماذا؟ كما جاء في قول شيخ الإسلام هنا: فينبغي تيسير طرق الخيل والطاعة والإعانة عليه، والترغيب فيه بكل ممكن؛ مثل أن يبذل لولده أو رعيته ما يراقبهم في العمل الصالح. أحفظ هذا المتن وأعطيك جائزة من مال وثناء إلى غيره إلى آخر كلامه رحمه الله.

"بَاب فِي سِعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَنَّهَا سَبَقَتْ غَضَبَهُ"

■ حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ يَعْنِي الْحِزَامِيَّ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنْ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي»[1].

■ قال: حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنْ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي»[2].

■ قال: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ يَعْنِي الْحِزَامِيَّ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنْ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي»[3].

---

(١) صحيح مسلم (٢٧٥١).

(٢) صحيح مسلم (٢٧٥١).

(٣) صحيح مسلم (٢٧٥١).

الشرح

هذه الأحاديث التي ذكرها الإمام مسلم –رحمه الله– لما خلق الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي، كما ذكر مسلم: باب في سعة رحمة الله. وأنها سبقت غضبه.

وهذا الحديث فيه فوائد: –

١. الفائدة الأولى: قال أهل العلم ولكتابته –تبارك وتعالى– لهذا الكتاب حكم كما قال: لما خلق الله الخلق كتب في كتابه على نفسه.

قال أهل العلم: ولكتابته هذا الكتاب حكم، قد يظهر لنا منها شيء، وقد لا يظهر، مما ذكره أهل العلم من حكم في ذلك تعظيم هذا الأمر، كتب لنفسه، قال نبينا ﷺ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي».

قال أهل العلم: من الحكم تعظيم هذا الأمر. ومزيد العناية به. ونحن نؤمن بهذا الكتاب كما أخبر النبي ﷺ؛ سواء علمنا الحكمة من هذا الكتاب أو لم نعملها. لما خلق الله الخلق فهو عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب عضبي. فيها تعظيم لهذا الأمر ومزيد عناية به.

٢. الفائدة الثانية: إثبات العرش وإنه ﷻ مستوٍ على عرشه، فهو عنده فوق العرش.

٣.الفائدة الثالثة: التصريح بفوقيته تعالى. فإن النبي ﷺ قال هنا: «فهو عنده فوق العرش». كما قال الله ﷻ: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨]، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠]. التصريح بالفوقية فيها إثبات علو الله ﷻ.

٤.الفائدة الرابعة: لما خلق الله الخلق كتب في كتابه فهو عند العرش، إن رحمتي. إثبات صفة الرحمة، وهي صفة ثابتة لله ﷻ في الكتاب والسنة، ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧].

وفي قول الله ﷻ كذلك في سورة الأحزاب: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، كما جاء كذلك في سورة الأنعام ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ١٢].

٥.الفائدة الخامسة: إثبات صفة الغضب. فهنا قال هنا: إن رحمتي تغلب غضبي. صفة الغضب ثابتة في الكتاب والسنة، ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣] كما جاء في سورة النساء.

وكما جاء في حديث أبي قتادة رضي الله عنه عند مسلم وفيه غضب رسول الله فلما رأى عمر رضي الله عنه غضب قال: رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًا، ونعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله.

ففهم الصحابة كذلك أن الله يغضب، كذلك ما جاء في حديث عائشة -رضي الله عنها- عند البخاري وفيه أن اليهود أتوا النبي ﷺ فقالوا: السام عليك. قال: «وعليكم». فقالت عائشة: السام عليكم ولعنكم وغضب عليكم[1].

كذلك فهم الصحابة أن الله يغضب؛ وقد بين النبي ﷺ صفات لمن؟ للصحابة.

في ذم الكلام للهروي، قال: مستدلًا بحديث سلمان الذي هو علمنا حتى الخراءة. قال الهروي: فإذا كان النبي ﷺ علمهم آداب قضاء الحاجة. فبلا شك أنه علمهم باب الأسماء والصفات.

وجاء ذلك عن مالك كما ذكر ذلك الهروي في ذم الكلام. الصحابة كما علمهم رسول الله ﷺ الأحكام العملية، علمهم الأحكام ماذا؟ العقدية والعقائدية.

وأجمع سلف الأمة على ثبوت الغضب لله، وغضب الله حقيقي يليق به ﷻ، وأهل التعطيل فسروه بماذا؟ بالانتقام. والرد عليهم في قول الله ﷻ: ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[الزخرف: ٥٥].

دل على أن هناك فرق بين الغضب الانتقام. فجعل الانتقام نتيجة للغضب، فدل على أن الانتقام غير الغضب. ذلك الآية للرد على الذين زعموا أن المقصود بالغضب ماذا؟ انتقام.

---

(١) صحيح البخاري (٦٢٥٦)، صحيح مسلم (٢١٦٥).

فإن الله ﷻ: ﴿ فَلَمَّآ آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[الزخرف: ٥٥] أي: أغضبونا انتقمنا منهم.

٦. الفائدة السادسة: في قوله: إن رحمتي تغلب غضبي. أي: إن الرحمة أشمل وأوسع من الغضب. فرحمة الله ﷻ وسعت كل شيء، كما جاء في سورة غافر. وآثار رحمته في عباده لا تُعد ولا تحصى، وأما غضبه ﷻ فقد خُص بمن عصاه.

٧. الفائدة السابعة: أن هذا الحديث دليلًا على التفاضل بين صفات الله – تبارك وتعالى–، بين صفة الرحمة وصفة الغضب. كما أن هناك تفاضل بين كلام الله تعالى، وكلام الله من صفاته، فكلامه متفاضل، فآية الكرسي أفضل آية في القرآن، وسورة الفاتحة أفضل سورة في القرآن، وسورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن. وهذا كله من كلام الله ﷻ. فالصفات تتفاضل وكلام الله من صفاته فكذلك الفائدة تتفاضل.

٨. الفائدة الثامنة: قال الله ﷻ: سبقت رحمتي غضبي. إثبات القول لله ﷻ وهذا كثير في القرآن الكريم كما هو معلوم وهو دليل على مذهب أهل السنة من أن كلام الله يكون بصوت، إذا لا يُطلق القول إلا على المسموع، قال الله ﷻ دليل على مذهب أهل السنة أن كلام الله يكون بصوت.

فإن قال قائل: أليس الله ﷻ قد قال: ويقولون في أنفسهم، وهذا قول مع أن جاء في الآية، ويقولون في أنفسهم وفي قلوبهم، الجواب: بلى. لكن هذا القول مقيد.

يقول: ويقولون في أنفسهم، أما إذا أُطلق القول فالمراد به المسموع، ذلك المحرفة لما قالوا الكلام النفسي.أخذوا ذلك من مثل هذه النصوص؛ لكن أخذهم بالنصوص لا يسوغ له ولا ينتج إلا إذا كان على فهم السلف «ما أنا عليه وأصحابي»[(١)].

فبعض المحرفة من أهل البدع من يستدل بالقرآن والسنة، ومن الطرائف في باب المقالات، أهل البدع وهو باب كبير يُسمى باب المقالات مقالة كذا ومقالة كذا ومقالة كذا.

في باب المقالات منهم من يستدل على مقالته بالكتاب والسنة، ومنهم من لا يستدل بالكتاب والسنة، فنقول لمن استدل بالكتاب والسنة؟ عليك بفهم السلف، ونقول: بالذي استدل بعقله أو بذوقه أو بوجنه، أو بكشفه؛ لأن مصادر التلقي تختلف؛ لأن مصادر التلقي عند أهل السنة الكتاب والسنة والإجماع "ما أجمع عليه السلف".

ومصادر التلقي عن غير أهل السنة كالصوفية: الوجد والذوق والكشف. فهذه ثلاثة مصادر هي مصادر التلقي عند الصوفية. وهناك كتاب في مجلدين مصادر التلقي عند الصوفية، فهذه هي مصادر التلقي عند الصوفية.

---

(١)حديث أبي هريرة أخرجه أبو داود (٤٥٩٦)، والترمذي (٢٦٤٠)، وابن ماجه (٤٧٩)، وابن حبان (٦٢٤٧).

ومصادر التلقي عند بعض المحرفة: العقل. ويقدمون العقل على النقل، لكن أهل السنة مصادر التلقي عندهم ماذا؟ ما جاء في كتاب الله وما جاء في سنة رسول الله ﷺ، وما أجمع عليه السلف الصالح.

ذلك لما يقول قائل: ليس هناك خلاف بين كذا وكذا، وليس هناك خلاف بين كذا وكذا. الخلاف مع أهل البدع حتى في مصادر التلقي، حتى في مصادر التلقي، فالمحرفة يقدمون العقل على النقل، وأهل السنة يقدمون النقل على العقل.

الباقي مثل المتصوفة الوجد والذوق والكشف، وذلك عبارة دائرة عند بعضنا. السلام عليكم وعليكم السلام مثلًا. أين أنت؟ يعني: نتواعد مع بعض الأخوة، تقول له: أين أنت؟ يقول: أنا متواجد في المكان الفلاني. هذه لا تصح لغة وكذلك تخالف من جهة العقيدة، وأن كان هو لا يقصدها.

يقول الشيخ ابن عثيمين –رحمه الله-: التواجد من الوجد؛ فكأنه الوجد عند الصوفية حالة. كأنه يقول: أنا متواجد يعني: من الوجد وليس من الوجود، وهذه كثيرة حتى في بعض كتابتنا، وإذا كان مثلًا في كتابات رسمية أو كتابات إدارية، يقول: وعليكم التواجد في الوقت الفلاني. كأنه يقول: عليكم التواجد من الوجد مثل الصوفية الذي يحصل كشفًا.

لا، ذلك حتى هذه العبارات نبه عليها العلماء -رحمهم الله- وأن تكون عبارات الإنسان غير مخالفة لما كان عليه السلف وما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

■ **في قوله: «لما قضى الله الخلق كتب في كتابه كتب على نفسه»**. فيه دليل على أن الله يوجب على نفسه ما شاء. كما جاء في قول الله ﷻ: ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾. وكتب الله عنده «أن رحمتي سبقت غضبي».

كذلك كما أنه يوجب على نفسه ما يشاء، فكذلك يُحرم على نفسه ما شاء؛ لأن الحكم إلى من؟ إليه ﷻ. فنحن لا نستطيع أن نحرم على الله ﷻ، لكن الله يحرم على نفسه ما شاء. كما جاء في الحديث: «حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا».

لكن التحريم والإيجاب من العبد لا. ليس من عقائد أهل السنة، إنما الله يحرم على نفسه ما يشاء ويجب على نفسه ما يشاء. بالك لو سأل سائل: هل يحرم على الله شيء ويجب على الله شيء؟ فالجواب: أما إذا كان هو الذي أوجب على نفسه، أو حرم فنعم بالأدلة الشرعية؛ لأنه له أن يحكم بما شاء.

وأما أن نحرم بعقولنا على الله كذا وكذا، أو نوجب بعقولنا على الله كذا وكذا فلا. فالعقل لا يوجب ولا يُحرم؛ إنما التحريم والإيجاب من الله ﷻ.

"بَاب فِي عظم رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى "

■ قال: حَدَّثَنَا حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى التُّجِيبِيُّ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ تَتَرَاحَمُ الْخَلَائِقُ حَتَّى تَرْفَعَ الدَّابَّةُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ»[1].

الشرح

ما معنى جعل؟ سنأخذها بإذن الله تعالى.

في قوله: «وأنزل في الأرض». دليل على علوه ﷻ.

وهذا فيه دليل على أن الدواب فيها ترحم، ليس فيه الرحمة خاصة بما كان عنده عقل لا، حتى البهائم. لما قال: «حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه». هذا فيه دليل على أن الدواب والعجماوات فيها هذه الصفة، وهي صفة الرحمة.

والعجب أن ذلك في الدواب والعجماوات، ويُفقد ذلك فيمن؟ عنده العقل ولا يرحم عياذًا بالله.

---

(١) صحيح مسلم (٢٧٥٢).

■ قال: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ وَقُتَيْبَةُ وَابْنُ حُجْرٍ قَالُوا حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ يَعْنُونَ ابْنَ جَعْفَرٍ عَنْ الْعَلَاءِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خَلَقَ اللَّهُ مِائَةَ رَحْمَةٍ فَوَضَعَ وَاحِدَةً بَيْنَ خَلْقِهِ وَخَبَأَ عِنْدَهُ مِائَةً إِلَّا وَاحِدَةً»[1].

الشرح

هذا معنى جعل الله أي: خلق الله مائة رحمة. وراجعوا الكشاف والزمخشري معتزلي في المقدمة: جعل الله القرآن أو خلق الله القرآن، والمعتزلة يقولون: بخلق القرآن، ذلك الكشاف تُخرج منه الاعتزاليات بالمناقيش؛ هو يريد أن الجعل هنا بمعنى الخلق؛ كما جاء في بسم الله الرحمن الرحيم.

أهل اللغة يقولون: الباء بالاستعانة أو المصاحبة بسم الله أي: استعين بالله، يقول القارئ: بسم الله، أي: استعين بالله على القراءة، شرب الماء والأكل والكتابة إلى آخره.

الزمخشري قال: إن الباء للمصاحبة، لما؟ أراد أن يقرر عقيدة الاعتزال أن العبد يخلق فعل نفسه، وليس لله فعل، فكذلك ما جاء في قول الله ﷻ: ﴿ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾[آل عمران: ١٨٥]، ذكر الزمخشري أنه لا فوز أعظم من هذا الفوز.

---

(١) صحيح مسلم (٢٧٥٢).

قال أهل العلم: أراد أن ينفي رؤية الله ﷻ؛ لأن أهل الاعتزال يرون أن الله لا يُرى، وذلك قال أهل العلم: تُخرج الاعتزاليات من كتاب الكشاف بالمناقش، وكان هو يفتخر بكونه معتزل، كان يطرق الباب على من يريد أن يزوره، يكون يطرق الباب فتقول الباب من في الباب، فيقول: في الباب أبو القاسم المعتزلي.

بعض المساكين يقول: يا أخي لا تقول: معتزلي. يا أخي أقول له: يا مسكين، هو يفخر بذلك بأنه معتزلي، كما يفخر بكونه إخوانجي، وأنه ينتمي إلى فرقة الإخوان المفلسين، ويفخر بذلك ويشيع ذلك ويأتي بعض السذج، يقول: لا تغتاب الناس، وتقول فيه إخوان، بل هو يزعم أنه فيه من الإخوانجية ماذا؟ رفعة؛ فهذه الأمور ينبغي أن يتنبه لها حتى ولو كان يظن أن ذلك تنقص فيه إذا كان على عقيدة فاسدة؛ فهو الذي تلبس بهذه العقيدة.

والواجب عليه أن يترك هذه العقيدة، وليس الواجب عليه أن لا نعزز من عقيدته، فبعض الناس يهجم على أهل السنة يقول: لا تقول: إخواني وواجب عليه ماذا؟ أن يترك هذه الاعتقاد، وليس أن تأيني أنا الذي أبين عقيدة السلف الصالح وأحذر من أهل البدع والأهواء، وتقول لي: اترك تصنيف الناس. أقول: لا، هو يترك ماذا ما كان عليه من هذه الجماعات وهذه الفرق.

فإذا كانت عندك نصيحة فالواجب عليك أن تذهب له أو لي؟ تذهب له، ليس لي أنا.

■ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ عَنْ عَطَاءٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا وَأَخَّرَ اللَّهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1].

الشرح

وذلك فيه فائدة: أن البهائم يتعاطفون ويتراحمون؛ كما جاء في الحديث، حتى الأمور المتوحشة تعطف على ولدها.

بعض الناس حتى لم يوافق حتى الوحوش في هذا الباب؛ تجده عنده ماذا؟ ليس عنده عطف ولا رحمة. قال في الحديث: « وبها تعطف الوحش على ولدها » بهذه الرحمة. فبعض الناس لم يوافق حتى البهائم الأنسية ولا الوحوش البرية في العطف ولا في الرحمة ولا في اللين.

---

(١) صحيح مسلم (٢٧٥٢).

"باب منه في كثرة رحمة الله سبحانه وتعالى"

■ قال: حَدَّثَنِي الْحَكَمُ بْنُ مُوسَى حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ مُعَاذٍ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو عُثْمَانَ النَّهْدِيُّ عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ فَمِنْهَا رَحْمَةٌ بِهَا يَتَرَاحَمُ الْخَلْقُ بَيْنَهُمْ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ». وَحَدَّثَنَاه مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ عَنْ أَبِيهِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ[1].

■ قال: حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ عَنْ أَبِي عُثْمَانَ عَنْ سَلْمَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِائَةَ رَحْمَةٍ كُلُّ رَحْمَةٍ طِبَاقَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَجَعَلَ مِنْهَا فِي الْأَرْضِ رَحْمَةً فَبِهَا تَعْطِفُ الْوَالِدَةُ عَلَى وَلَدِهَا وَالْوَحْشُ وَالطَّيْرُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَكْمَلَهَا بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ»[2].

الشرح

ذكر –رحمه الله أسكنه فسيح جناته– ما بوب عليه مسلم: **"باب ما في عظم رحمة الله ﷻ"**. خلق الله مائة رحمة.

لذلك قال أهل العلم: الرحمة رحمتان:-

القسم الأول: صفة له ﷻ، وصفاته غير مخلوقة.

---

(١) صحيح مسلم (٤٩٥١).

(٢) صحيح مسلم (٢٧٥٣).

القسم الثاني: الرحمة التي يرحم عباده بها. وهي مائة قسم ومائة جزء، وهذه الرحمة مخلوقة.

والدليل على أن هذه التي بين الخلق، قال: « خلق الله مائة رحمة». ورحمته التي هي صفته غير مخلوقة، والمائة رحمة هذه مخلوقة. للقائل ابن هبيرة في الإفصاح.

في هذا الحديث من الفقه أن هذه الرحمة مخلوقة، وهي ظاهر في قول رسول الله ﷺ: «خلق الله مائة رحمة». فأما رحمة الله التي هي صفة من صفاته غير مخلوقة.

فكل ما يتراحم به أهل الدنيا؛ حتى البهائم في رفعها أظافرها عن أولادها؛ لئلا تؤذي أولادها؛ فإنه عن جزء مثبت في العالم في تلك الرحمة، وأن الله ﷻ أعد تسع وتسعين رحمة ادخرها ليوم القيامة، ليظن هذه الرحمة الأخرى؛ ثم يثبت بها قلوب عباده ليرحم بعضهم بعضا.

فيكون كل ما تراحم به المتراحمون منذ قامت الدنيا ماذا؟ جزء من مائة جزء من الرحمة التي جاءت في هذا الحديث وحددها كما جاء في هذا الحديث، وأما ما تبقى يوم القيامة تسع وتسعون رحمة.

وهذا من فضل الله ﷻ، وفيها رجاء للعبد فقد أدخر الله ﷻ تسع وتسعين رحمة، هذا فيها رجاء؛ لذلك النووي –رحمه الله– هذه الأحاديث من أحاديث الرجاء والبشارة للمسلمين.

قال العلماء: لأنه إذا حصل للإنسان من رحمة واحدة في هذه الدار المبنية على الأقدار الإسلام والقرآن والصلاة والرحمة في قلبه وغير ذلك مما أنعم الله تعالى به؛ فكيف الظن بمائة رحمة في الدار الآخرة، وفيه رجاء لنا معاشر المسلمين.

إذا كان جزء واحد وهذه الرحمة موجودة يرحمك الله ﷻ ويخلق هذه الرحمة في قلوب العباد وينجيك وكثير من الأمور، ويقذف في قلوب العباد الرحمة عليك، فكيف بأن هذه الرحمة تنضم إلى تسع وتسعين رحمة يوم القيامة.

هذه فيها كما قال النووي –رحمه الله– هذه الأحاديث من أحاديث الرجاء والبشارة للمسلمين.

ثم ذكر –رحمه الله–: ما جاء في حديث عمر بن الخطاب ﷺ أنه قدم على رسول الله بسبي، قال أهل العلم: المقصود بالسبي هنا كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر –رحمه الله–: السبي هوزان. المقصود به كما قال الحافظ ابن حجر في الفتح.

وجاء في الحديث: «إذا وجدت صبيًا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته». وهذا دليل على رحمتها، أنها تبحث عن ابنها، فقال لنا رسول الله ﷺ: «أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟ ». قلنا: لا والله. وهي تقدر على ألا تطرحه. فقال رسول الله ﷺ: «الله أرحم بعباده من هذه بولدها»[1].

فمن مات على الإسلام والسنة يُرجى له الخير، والله ﷻ أرحم بعباده من هذه المرأة بولدها.

---

(١) صحيح البخاري (٥٩٩٩)، صحيح مسلم (٢٧٥٤).

وفي قوله: « الله أرحم بعباده» وفي رواية: «حبيبه». كما جاء ذلك عند أحمد الحاكم من حديث أنس، قال: «ولا الله بطارح حبيبه في النار». لما قال: «أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار» قلنا: لا والله. جاء في رواية قال: «ولا الله بطارحٍ حبيبه في النار».

التعبير هذا فيه فائدة، يخرج الكافر؛ فإن الكافر ليس بحبيب لله ﷻ، كذلك قال ابن أبي جمرة: حك على هذه اللفظة، «الله أرحم بعباده». قال –رحمه الله-: لفظ العباد عام، ومعناه خاص بالمؤمنين.

وجاء في الحديث الأخير: لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة، ما طمع بجنته أحد، وذلك لأن المؤمن يخاف ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة، ما قرب من جنته أحد؛ لأن الكافر يريد أن يتمسك بشيء.

وذلك قال بعض أهل العلم: حتى رُوي إن إبليس رأس الكفر يطمع بما يرى من رحمة الله. ولكن ﴿ إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[الأعراف: ٥٦] كما جاء ذلك في نصوص القرآن.

بعض الناس يكون بعيد ويكون ليس عنده إقبال وليس عنده إحسان، نحذره ونقول له: ﴿ إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾.

والله تعالى أعلى وأعلم وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد ﷺ.

- **"باب في خشية الله ﷻ وشدة الخوف من عقابه"**

■ قال الإمام مسلم -رحمه الله تعالى- في صحيحه من كتاب التوبة:

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَرْزُوقِ بْنِ بِنْتِ مَهْدِيِّ بْنِ مَيْمُونٍ، قال حَدَّثَنَا رَوْحٌ، قال حَدَّثَنَا مَالِكٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -، قَالَ: "قَالَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ حَسَنَةً قَطُّ، لِأَهْلِهِ: إِذَا مَاتَ فَحَرِّقُوهُ، ثُمَّ اذْرُوا نِصْفَهُ فِي الْبَرِّ وَنِصْفَهُ فِي الْبَحْرِ، فَوَ اللهِ لَئِنْ قَدَرَ اللهُ عَلَيْهِ لَيُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا لَا يُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، فَلَمَّا مَاتَ الرَّجُلُ فَعَلُوا مَا أَمَرَهُمْ، فَأَمَرَ اللهُ الْبَرَّ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، وَأَمَرَ الْبَحْرَ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: مِنْ خَشْيَتِكَ، يَا رَبِّ وَأَنْتَ أَعْلَمُ، فَغَفَرَ اللهُ لَهُ"(١).

■ قال حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ - قَالَ عَبْدٌ: أَخْبَرَنَا، وقَالَ ابْنُ رَافِعٍ وَاللَّفْظُ لَهُ حَدَّثَنَا - عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، قَالَ: قَالَ لِي الزُّهْرِيُّ: أَلَا أُحَدِّثُكَ بِحَدِيثَيْنِ عَجِيبَيْنِ؟ قَالَ الزُّهْرِيُّ: أَخْبَرَنِي حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ -، قَالَ: " أَسْرَفَ رَجُلٌ عَلَى نَفْسِهِ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَوْصَى بَنِيهِ فَقَالَ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اسْحَقُونِي، ثُمَّ اذْرُونِي فِي الرِّيحِ فِي الْبَحْرِ، فَوَ اللهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبُنِي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ بِهِ أَحَدًا، قَالَ فَفَعَلُوا ذَلِكَ بِهِ، فَقَالَ لِلْأَرْضِ: أَدِّي مَا أَخَذْتِ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَقَالَ لَهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ فَقَالَ: خَشْيَتُكَ، يَا رَبِّ - أَوْ قَالَ مَخَافَتُكَ - فَغَفَرَ لَهُ بِذَلِكَ"(٢).

---

(١) صحيح مسلم (٢٧٥٦).

(٢) صحيح مسلم (٢٧٥٦).

قَالَ الزُّهْرِيُّ: وحَدَّثَنِي حُمَيْدٌ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عن رَسُولَ اللهِ -، قَالَ : «دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا، فَلَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا، وَلَا هِيَ أَرْسَلَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ، حَتَّى مَاتَتْ»، قَالَ الزُّهْرِيُّ : "ذَلِكَ، لِئَلَّا يَتَّكِلَ رَجُلٌ، وَلَا يَيْأَسَ رَجُلٌ "[1].

■ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو الرَّبِيعِ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ، قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ حَدَّثَنِي الزُّبَيْدِيُّ، قَالَ الزُّهْرِيُّ: حَدَّثَنِي حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - أنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - يَقُولُ: «أَسْرَفَ عَبْدٌ عَلَى نَفْسِهِ بِنَحْوِ حَدِيثِ مَعْمَرٍ، إِلَى قَوْلِهِ فَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلَمْ يَذْكُرْ حَدِيثَ الْمَرْأَةِ فِي قِصَّةِ الْهِرَّةِ»، وَفِي حَدِيثِ الزُّبَيْدِيِّ قَالَ: «فَقَالَ اللَّهُ ﷻ لِكُلِّ شَيْءٍ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا: أَدِّ مَا أَخَذْتَ مِنْهُ»[2].

■ قال حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ، قَالَ حَدَّثَنَا أَبِي، قال حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، سَمِعَ عُقْبَةَ بْنَ عَبْدِ الْغَافِرِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ، يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ -، أَنَّ رَجُلًا فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، رَاشَهُ اللَّهُ مَالًا وَوَلَدًا، فَقَالَ لِوَلَدِهِ: لَتَفْعَلُنَّ مَا آمُرُكُمْ بِهِ أَوْ لَأُوَلِّيَنَّ مِيرَاثِي غَيْرَكُمْ ، إِذَا أَنَا مُتُّ ، فَأَحْرِقُونِي -وَأَكْثَرُ عِلْمِي أَنَّهُ قَالَ- ثُمَّ اسْحَقُونِي، وَاذْرُونِي فِي الرِّيحِ، فَإِنِّي لَمْ أَبْتَهِرْ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرًا، وَإِنَّ اللَّهَ يَقْدِرُ عَلَيَّ أَنْ

---

(١) صحيح مسلم (٢٦١٩).

(٢) صحيح مسلم (٢٧٥٦).

يُعَذِّبَنِي، قَالَ: فَأَخَذَ مِنْهُمْ مِيثَاقًا، فَفَعَلُوا ذَلِكَ بِهِ، وَرَبِّي، فَقَالَ اللَّهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ؟ فَقَالَ: مَخَافَتُكَ، قَالَ: فَمَا تَلَافَاهُ غَيْرُهَا[1].

■ قَال حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ الْحَارِثِيُّ، قال حَدَّثَنَا مُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، قَالَ: قَالَ أَبِي: حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، ؛ وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قال حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُوسَى، قال حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، ؛ وَقال حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، قال حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ، قال حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، كِلَاهُمَا عَنْ قَتَادَةَ ذَكَرُوا جَمِيعًا بِإِسْنَادِ شُعْبَةَ، نَحْوَ حَدِيثِهِ، وَفِي حَدِيثِ شَيْبَانَ وَأَبِي عَوَانَةَ، أَنَّ رَجُلًا مِنَ النَّاسِ رَغَسَهُ اللَّهُ مَالًا وَوَلَدًا، وَفِي حَدِيثِ التَّيْمِيِّ فَإِنَّهُ لَمْ يَبْتَئِرْ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرًا قَالَ: فَسَّرَهَا قَتَادَةُ: لَمْ يَدَّخِرْ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرًا، وَفِي حَدِيثِ شَيْبَانَ: فَإِنَّهُ، وَاللَّهِ مَا ابْتَأَرَ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرًا، وَفِي حَدِيثِ أَبِي عَوَانَةَ مَا امْتَأَرَ بِالْمِيمِ.[2]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده ونستعين به ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وصفيه وخليله. اللّهم صلِّ وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد؛

(١) صحيح مسلم (٢٧٥٧).

(٢) صحيح مسلم (٢٧٥٧).

فقد ذكر الإمام مسلم -رحمه الله- ما جاء في حديث أبي هريرة - أن رسول الله - قال: «قَالَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ حَسَنَةً قَطُّ، قال: لِأَهْلِهِ» ثم ذكر قصة ذاك الرجل الذي أمر أهله وولده أن يحرقوه ويسحقوه ثم يجعلوا نصفه في البر ونصفه في البحر إلى آخر الحديث، هذا الحديث فيه فوائد:-

١. الفائدة الأولى:

في قول رسول الله : «قَالَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ حَسَنَةً قَطُّ» قال ابن العربي المالكي -رحمه الله- في كتاب المسالك: "جاء عن أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه وأرضاه- يرفعه إلى رسول الله - أنه قال: -أي هذا الرجل- «قَالَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ حَسَنَةً قَطُّ إلا التوحيد» ، وهذه الرواية عند أحمد في المسند وهي رواية صحيحه.

قال ابن العربي: فهذه اللفظة ترفع الإشكال، «لَمْ يَعْمَلْ حَسَنَةً قَطُّ» في ظاهر الحديث حتى التوحيد، حتى العقيدة ولكن هذه اللفظة التي جاءت عند أحمد في المسند وهي لفظة صحيحة، «قَالَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ حَسَنَةً قَطُّ، إلا التوحيد» قال ابن العربي المالكي -رحمه الله- فهذه اللفظة ترفع الإشكال في إيمان هذا الرجل، فهذا الرجل لم يكن كافرًا، فقد يأتي إشكال كيف يغفر له وهو كافر؟ لكن الجواب ما جاء في رواية أحمد في مسنده.

ذلك قال كما ذكرنا ابن العربي، فهذه اللفظة ترفع الإشكال في إيمان هذا الرجل والأصول كلها تعضدها، تعضد هذه اللفظة وتؤيدها؛ لأنه محال أن يغفر الله للذين يموتون وهم كفار بإجماع المسلمين. انتهى كلامه -رحمه الله-.

وهذا التقرير الذي ذكره ابن العربي -رحمه الله- لعله قد أخذ من أبي عمر بن عبد البر حافظ المغرب، فإنه قد ذكر ذلك في التمهيدي والاستذكار، وابن عبد البر متقدم على ابن العربي.

قال -رحمه الله- في التمهيد: روي من حديث أبي رافع عن أبي هريرة في هذا الحديث أنه قال: «رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ خيرًا قَطّ إلا التوحِيد»، وهذه اللفظة إن صحّت رفعت الإشكال في إيمان هذا الرجل، وذكرنا أن اللفظة ماذا؟ صحيحة.

قال: وإن لم تصح؟ يعني على احتمال إذا صحّت فهي رافعة للإشكال بلا شك ثم قال: وإن لم تصح من جهة النقلِ فهي صحيحة من جهة المعنى، والأصول كلها تعضدها، والنظر يوجبها؛ لأنه محالٌ غير جائز أن يغفر للذين يموتون وهم كفار؛ لأن الله ﷻ أخبر أنه لا يغفر أن يشرك به لمن مات كافرًا وهذا لا مدفع له ولا خلاف فيه بين أهل القبلة.

عبارات التي ذكرها ابن عبد البر قد ذكر نحوها ابن العربي -رحمه الله- فيغلب على الظن أن ابن العربي -رحمه الله- أخذ ذلك من فقيه المغرب الذي هو أبو عُمر -رحمه الله-، قال وفي هذا الأصل ما يدلك على أن قوله في هذا الحديث «لَمْ يَعْمَلْ حَسَنَةً قَطُّ» أو «لَمْ يَعْمَلْ خيرًا قَطّ» لم يعذبه إلا ما عدا التوحيد من الحسنات والخير وهذا صائغ في لسان العرب جائز في لغتها، أن يؤتى بلفظ الكل والمراد به البعض.

كذلك الدليل على أنه مؤمن، أن هذا الرجل حين قيل له «لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ فقَالَ: مِنْ خَشْيَتِكَ» والخشية لا تكون إلا لمؤمن مصدق بل ما تكاد تكون إلا لمؤمن عالم كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:٢٨]. فالمقصود بقول الرجل «لَمْ يَعْمَلْ حَسَنَةً قَطُّ»؟

الأول: ما يفسره في حديث أبي هريرة عند؟ أجيبوا؟ عند أحمد «لَمْ يَعْمَلْ خيرًا قَطّ؛ إلا التوحيد».

ثانيا: الذي يدل على أن هذا الرجل من أهل الإيمان في آخر الحديث لما قال: «لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ فقَالَ: مِنْ خَشْيَتِكَ يا رب»، والخشية لا تكون إلا لمؤمن مصدق.

ولو قال قائل: إن هذا الحديث فيه العموم، نقول: إن هذا الكل يراد به البعض، وهذا أمرٌ في نصوص الوحيين مشهورٌ معروف. وليس كلامنا في قضية عمل الجوارح «لم يعمل خيرا قط إلا التوحيد» وهل من لم يعمل من الجوارح.

أو لم يعمل بجوارحه شيء هل هو مؤمن وليس بمؤمن؟ ليس الكلام في هذا، إنما الكلام عندنا في قضية أن هذا الرجل لم يكن كافرًا، وأما مبحث عمل الجوارح فلعله في درس آخر نذكر شيء من ذلك.

٢. الفائدة الثانية:

هذا الرجل شك في ماذا؟ قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-كما في مجموع الفتاوى: فهذا رجلٌ شك في قدرة الله وفي إعادته إذا ذري بل أعتقد إنه لا يعاد وهذا كفر باتفاق المسلمين، الشك في قدرة الله كفر باتفاق المسلمين.

وقال شيخنا ابن عثيمين -رحمه الله-: هذا الرجل شاك في قدرة الله ولم يفعل شرك وإنما الذي وقع فيه من مسائل التي يكفر بها؟ الشك في قدرة الله، قال الشيخ: وهذا الرجل شاكٌ في قدرة الله فليس هناك إشراك إنما فيه تنقص لله، ظن أنهم إذا فعلوا به هكذا لم يقدر الله عليه، فهو شَاكٌ في القدرة ولم ينكرها صراحة، لكن ظن أن الله لا يقدر عليه.

كذلك قال في موطأ آخر: كان شاكً في قدرة الله، يظن أن الله لا يقدر أن يعيده. والشك في قدرة الله ﷻ كما ذكرنا ماذا؟ كفر، باتفاق المسلمين، ولما لم يكفر هذا الرجل فيكون من أصحاب النار الخالدين فيها؟ بل قد غفر الله له ﷻ.

٣. **وهذه الفائدة الثالثة**، لمَّا لم يكن كافرًا؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: لكن كان جاهلًا لا يعلم ذلك، وكان مؤمنا يخاف الله أن يعاقبه، فغفر الله له بذلك. من موانع التكفير، ماذا؟ الجهل، فقال بعض الشراح: بل كان جاهلاً.

كما ذكر ذلك القاضي ناصر الدين في "**تحفة الأبرار**" كذلك ذكر العراقي في "**طرح التثريب**" أنه يحتمل تأويل آخر، ألا وهو أن الرجل قد دهش من هول المطلعِ؛ فصار مبهوتًا مسلوب العقل مختل الكلام، فجرى ذلك على لسانه من غير عقيدة.

فقال العراقي -رحمه الله-: إن هذا الرجل قال هذا الكلام وهو غير ضابط لكلامه ولا قاصدا لحقيقة معناه ومعتقدا لها، بل قال ذلك في حالة غلب عليه فيه

الدهش والخوف والجزع الشديد بحيث ذهب تيقظه وتدبره ما يقوله فصار في معنى الغافل والناسي.

وهذا مثل من؟ اخطأ من شدة الفرح، وهذا اخطأ من شدة الخوف، وهذا اخطأ من شدة لما بُعث قال: خشيتك يا رب، في أول الأمر وهذا احتمال قد ذكره العلماء -رحمهم الله- لكن الاحتمال الذي هو مشهور عند أهل العلم الأول: أنه كان جاهلا، والذهول عندنا فيه حديث، وهو حديث من؟ اخطأ من شدة الفرح.

ولكن على الاحتمال الثاني كذلك هذا الدليل يصح أن يكون دليل ثاني لذهول العقل، فإذا أخذنا بالاحتمال الثاني أو أنه احتمالًا قد ذكره العلماء -رحمهم الله- فإنه كذلك يصلح أن يكون مضافًا إلى حديث الذي قد أضل راحلته، لكن المشهور عند أهل العلم أنه كان جاهلًا لا يعلم ذلك وكان مؤمن يخاف الله أن يعاقبه فغفر الله له بذلك.

فعندنا من موانع التكفير، ماذا؟ الجهل، الثاني: -يجيب واحد الفزعة في الجواب ما تصلح، الفزعة في عشا في غدا طيب لكن الفزعة في الجواب لا يضيع الجواب: عدم الإرادة.

فأخذنا فيما سبق وأشرنا إلى ذلك هنا، أخذنا الجهل وأخذنا كذلك عدم إرادة اللفظ الذي يقع منه خطأ، كذلك من موانع التكفير التأويل كذلك من موانع التكفير.

٤. الفائدة الرابعة:

إذا تقرر هذا وأن الرجل قد وقع في كفر بلا شك، فإنه كفرٌ باتفاق المسلمين، ووقع هذا الرجل في كفر متفق عليه بين ماذا؟ بين المسلمين، هذا يجرنا إلى الفائدة الرابعة، لما لم يكفّر؟ ولما غفر الله ﷻ له؟ وبهذا يُعلم وهي الفائدة الرابعة، الفرق بين القول والقائل.

نقول: الشك في قدرة الله، ماذا؟ كُفرٌ، والقائل قد يكفر إذا كان عالمًا مختارًا إلى آخر الشروط في توفّر الشروط وانتفاء ماذا؟ الموانع، وبين الفعل والفاعل فليس كل قول أو فعل يكون فسق أو كفرا يحكم على قائله أو فاعله بذلك، فهناك فرق بين التكفير المطلق والتكفير ماذا؟ المعين.

والأدلة على ذلك التي بين أيدينا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- كما في مجموع الفتاوى: وأصل ذلك أن المقالة التي هي كفرٌ بالكتاب والسنة والإجماع يقال هي كفرٌ قولا يُطلق، كما دل على ذلك الدلائل الشرعية، فإن الإيمان من الأحكام المتلقاة عن الله ورسوله، ليس ذلك مما يحكم فيه الناس بظنونهم وأهوائهم، ولا يجب أن يحكم في كل شخص قال ذلك بأنه كافر؛ حتى يثبت في حقه شروط التكفير وتنتفي موانعه.

مثل من قال: إن الخمر أو الربا حلال؛ لقرب عهده بالإسلام أو لكونه قد نشأ في بادية بعيدة أو سمع كلام أنكره، ولم يعتقد أنه من القرآن ولا أنه من أحاديث رسول الله -.

فهناك فرق بين التكفير المطلق والتكفير المعين، فشيخ الإسلام نبّه هنا قال: فإن الإيمان وعكسه الكفر، الإيمان لفظٌ شرعي مُتلقى من كتاب الله ومن سُنة رسول الله – فإذا كان هذا اللفظ قد تُلقي وأخذ من كتاب الله ومن سنة رسول الله، فالمرجع في ذلك إلى ماذا؟ إلى كتاب الله وإلى سُنة رسول الله – كما قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: ليس ذلك مما يحكم فيه الناس بظنونهم وأهوائهم.

فالتكفير حكم شرعي اللي هو عكس الإيمان، فالرجوع في ذلك إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله – على فهم سلف الأمة.

قال شيخنا ابن عثيمين -رحمه الله-: وبهذا عُلم أن المقالة أو الفعل إما قول أو فعل قد تكون كفرا أو فسقَ، كفر ماذا؟ مطلق، ولا يلزم من ذلك أن يكون القائم به كافرًا أو فاسقًا، أما لانتفاء شرط، إما لانتفاء شرط التكفير أو التفسيق أو وجود مانع شرعي يمنع من ذلك.

لكن من تبيّن له الحق فأصر على مخالفته تبعًا لاعتقاد كان يعتقده أو متبوع كان يعظمه أو دنيا كان يُأسرها، قال -رحمه الله-: فإنه يستحق ما تقتضيه تلك المخالفة من كفر أو فسق؛ فأهل السنة ليسوا مرجئة وليسوا خوارج.

أهل السنة وسط بين المقالتين وهم هدى بين ضلالتين وحق بين باطلين، فليس أهل السنة مرجئة، لو قال كفرا وأعتقد الكفر وقال بالكفر وأصر على

الكفر، لا. كذلك ليسوا خوارج لو نطق بالكفر لجهل أو لغلبة كما جاء في موانع التكفير أو حصل شيء من ذلك لغلبة أو لعدم إرادة أو ذهول إلى آخره كذلك.

لكن كما قال الشيخ -رحمه الله-: ومن تبيّن له الحق فأصر على مخالفته، أعرض عن الحق مع معرفته للحق، تبعا لاعتقاد كان يعتقده أو لمتبوع كان يعظمه أو دنيا كان يأسرها، فإنه يستحق ما تقتضيه تلك المخالفة من كفر أو فسق.

لذلك مما أخذناه عن أشياخنا في هذا الباب، من عرف التوحيد وتركه فإنه يكفر، ومن عرف الشرك وفعله فإنه يكفر، لذلك ابن القيم -رحمه الله- في هذا الباب في "العذر وعدم العذر" قال: "وأما من أعرض أو فرط".

كما قال شيخنا -رحمه الله- هنا: يصر على المخالفة، يصر على الفسق، يصر على الكفر ويعرض فإن، كما قال الشيخ: فإنه يستحق ما تقتضيه تلك المخالفة من كفر أو فسوق.

٥. الفائدة الخامسة:

وهي نصيحة، وأنقل هذه النصيحة من شيخنا الفقيه العلامة ابن عثيمين -رحمه الله- حيث قال: "فنصيحتي التي أدين الله بها" ديانة وليس تزلفًا يا إخواني وليس خوفا من أحد، وإنما هي ماذا؟ ديانة.

قال -رحمه الله-: "فنصيحتي التي أدين الله بها، وأرجوا بأبنائنا وشبابنا أن يعملوا بها" هذا رجاء من شيخ محقق سلفي، قال -رحمه الله-: "فنصيحتي التي أدين الله بها، وأرجوا بأبنائنا وشبابنا أن يعملوا بها ألا يكون أكبر همهم وشغلهم

هو هذا" مسائل التكفير؛ أي: ما تقول في الحاكم الفلاني والحاكم الفلاني كافر، وما أشبه ذلك؛ لأن هذا لا يغني شيئًا.

وذكر الشيخ مثالًا قد عاصرناه جميعًا، قال: "ولنا مثلٌ قريب" كما حصل في الجزائر مثلا، ما الذي حصل في الجزائر؟ حصل أنه قتل خمسون ألف في ثلاثة سنوات بغير حق؛ سواء من الحكومة تقتل هؤلاء أو منهم يقتل من هو معصوم الدم، كل هذا من الشر والبلاء.

وهذا الآن فيما يسمى بالثورات الحاصلة في زماننا، ليس الكلام الآن في خمسين ألف ولا الكلام في نصف مليون، الكلام في أكثر من ذلك؛ لأنهم هؤلاء الشباب وعلى رأسهم دعاة الفتنة ودعاة السوء، لم ينتهجوا نهج السلف الصالح.

لذلك انظروا إلى هذا العالم، ذلك من لزم غرس أهل العلم الكبار بإذن الله ﷻ سينجو من كثير من الفتن، من لزم غرس أهل العلم الكبار ربانيين، أهل التحقيق وأهل السنة السلفيين، والله وتالله وبالله سينجو بفضل الله ﷻ، لاعتصامهم بكتاب الله، وسنة رسول الله - على فهم سلف هذه الأمة، واستعان هذا الذي قد لزم غرسهم بالله ﷻ.

الفتن مرت علينا جميعًا من أفغانستان الأولى وهي تمر علينا، والله لولا الله ثم هؤلاء العلماء فلا ندري أين مكاننا الآن، من عام ١٤٠٠هـ عن نفس أحدث قبل ١٤١٠هـ، والله لولا الله ثم هؤلاء العلماء فلا ندري أين سنكون.

التزمنا غرسنا وطريقتهم شيخنا الشيخ عبد العزيز، شيخنا الشيخ ابن عثيمين، شيخنا الشيخ محمد أمان -رحمه الله-، شيخنا الشيخ ربيع ابن هادي، وسيرنا إلى هذه الأيام، لكن من التزم غرس الحزبيين كل يوم هو في رحلة، كل يوم والله هو في رحلة في الأهواء وفي البدع، في بعض الأيام تكفيري، وفي بعض الأيام أفجر وفي بعض الأيام مهرج، وفي بعض الأيام مميع، وفي بعض الأيام مخذّل.

ويسيرون مع هؤلاء الأشياخ حيثما صاروا، لكن من وفق بعالم سلفي فأرجوا له الخير كما قال السلف، والله من وفق لعالم سلفي فإنه يرجى له الخير العظيم وتستقر أموره فالبركة مع من؟ مع كبيركم، البركة ما هي؟ البركة أصلها من البروك؛ البروك من بروك البعير؛ أي استقراره أو من البركة التي هي بركة الماء الخير الكثير، فالبركة مع كبيركم، الاستقرار والثبات مع أكابر علماء أهل السُنة، والخير الكثير مع أكابر علماء أهل السُنة.

أما علماء أهل البدع وعلماء أهل الأهواء فإني كما ذكرت لكم كل يوم هو في رحلة مع الفتن والأهواء ولا يدري أين تصل به هذه الرحلة -عياذًا بالله- ولكن إذا استمر على ذلك فهو مُعرض لماذا؟

قال: «كلها في النار إلا واحدة»، فرحلة -عياذًا بالله- نهايتها إلى شر، وهو كذلك في شر، فالمسلم لا يبتعد فقط عن الشهوات ويحذر الشهوات، كذلك يحذر ماذا؟ الشُبهات، ويحذر الأهواء ويحذر البدع والضلالات والمخالفات.

فهذه الوصية من الشيخ -رحمه الله- قال: "فلذلك يجب أن يعرض الشباب وأهل الخير عن هذا إطلاقا"؛ لأنه لا يفيد أبدًا، وإنما يحدث الشر. والفتنة والفوضى، والحمد لله ما دمنا لا نستطيع أن نغير شيئا حتى "لو رأينا كفرًا بواحًا عندنا فيه من الله برهان" فما الفائدة؟

طب الحديث حتى تروا ماذا؟ كفرًا بواحًا، كيف الشيخ يقول هذا؟ أقول يا إخواني العبادات مبناها على الاستطاعة. الركن الثاني من أركان الإسلام، إن لم تستطع أن تصلي قائمًا تصلي ماذا؟ جالسًا، فإذا لم تكن عندك استطاعة.

لذلك شيخنا الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- يشترط في الخروج على من كان وليا كافرا، كم شرط؟ خمسة: الأول: لا؛ ليس في الكفر، ليست القيود في الكفر، كفر البواح "أن تروا كفرًا بواحًا عندكم فيه من الله برهان"، هذا كله ثبت خلاص.

إنما إذا ثبت الكفر بقيوده، جاءت في السُنة- القدرة على إزالته؛ يعني بعدم أن يكون ليس هناك مفسدة، لا، لا القدرة هي القدرة تدخل في هذا كله يعني القدرة على الخروج والاستطاعة بالخروج أن عندك قوة تمكنك من إزاحته دون مفاسد، هذا كله موجود في القدرة والاستطاعة.

كثير من أهل العلم يشترطون كم شرط؟ شرطين، يشترطوا أهل العلم شرطين، كثير منهم: أن يروا كفرًا بواحًا والقدرة والاستطاعة على إزاحة هذا الوالي الذي قد فعل الكفر أو قال بالكفر أو نشر الكفر.

الشيخ محمد -رحمه الله- كذلك يزيد شرطًا ثالثًا: ألا وهو عندك من يقوم مقامه، أزيل وأسقط وباقي الناس ماذا؟ يتعاركوا على هذا الكرسي، من يتولى هذا الكرسي؟.

فالشيخ -رحمه الله- قال: وهناك شرط ثالث ألا وهو أن يكون عندهم ماذا؟ من يتولى، حتى لا تذهب ماذا؟ الدماء، فهذه هي شروط أهل السُنة، ليست كشروط الخوارج من جهة الخروج مهما كلف -عياذًا بالله- الأمر، مهما قتل من بشر مهما دمرت من بلدان، فمنهج أهل السُنة هو منهج رحمة.

فقال الشيخ: " ثم علينا أن نفكر وننظر إلى كل البلاد التي حصلت فيها الثورة، ما ازدادت بعد الثورة إلا شرًا في دينها ودنياها"، هذا الشيخ يقولها بعد الثورات الأخيرة أو من قبل، من قبل؛ لكن العالم يمشي على عقيدة أهل السنة ومنهاج أهل السنة فإنه يقول مثل هذه الكلمات وهذه الكلمات تصلح لكل زمان، لكن نقرأ كلام شيخ الإسلام وننقله، نقرأ كلام ابن القيم وننقله في هذه الثورات وفي هذه المسيرات والاعتصامات.

٦. الفائدة السادسة:

لو أوصى أحد بنيه بأن يحرقوه، فهل تُنفّذ الوصية استدلالًا بهذا الحديث؟ لأن الحديث قد أخبر فيه النبي - بهذا الأمر، ولا يخبر نبينا - بأمر ماذا؟ محرم، ولو كان محرم لنبّه عليه.

التقرير هذا صحيح؟

من كلام ابن حجر -رحمه الله- قال: "هذا الحصر مردود".

فقال ابن هبيرة -رحمه الله-: "هذه الوصية بالتحريق، والطحن والتذرية مضاف إلى ما سبق من ذنوبه"؛ يعني هو عندما مات أمر بذنب.

لذلك قال ابن هبيرة: "هذه الوصية بالتحريق والطحن والتذرية، مضاف إلى ما سبق من ذنوبه" إذ ذلك بدعة وذنب عظيم، لا يحل أحد فعله في نفسه ولا يوصي به غيره فإن أوصى به والدٌ ولدا أو حميًا لم يحل الموصي أن ينفذ هذه الوصية".

٧. الفائدة السابعة:

من أحب لقاء الله، ماذا؟ أحب الله لقاءه، فهل هذا لما فعل هذا لم يكن محب للقاء الله؟

الجواب: قال العراقي -رحمه الله-: خوف العبد من ذنبه ليس كراهية للقاء الله ﷻ، فإن هذا الحديث يدل على أن خوف العبد من ذنبه ليس كراهية للقاء الله تعالى وهو استدلال واضح.

كما قال العراقي -رحمه الله-؛ لأن الخائف من ذنبه يطلب أن يكون مصيره إلى الدار الآخرة على وجه مرضي أو على وجه مخزي؟ على وجه مرضي، على وجه مرضي يقربه إلى الله تعالى فكره حالة نفسه التي هو عليها ولم يكره لقاء الله مطلقا؛ بل أحب لقاءه على غير تلك الحالة.

٨. الفائدة الثامنة:

أما قال عندما حضرته الوفاة كما جاء في بعض الألفاظ، قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- جواز تسمية الشيء بما قرب منه؛ لأنه قال: "حضره الموت" وإنما الذي حضره في تلك الحالة علامات الموت، وما قارب الشيء أخذ حكمه.

٩. الفائدة الأخيرة:

فيه عظم قدرة الله تعالى، فإن الله جمع جسد هذا المذكور، بعد أن تفرق ذلك التفريق الشديد.

* "بَابُ قَبُولِ التَّوْبَةِ مِنَ الذُّنُوبِ وَإِنْ تَكَرَّرَتِ الذُّنُوبُ وَالتَّوْبَةُ"

■ قال حدَّثَنِي عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ حَمَّادٍ، قال حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -، عَنِ النَّبِيِّ -، فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ:« أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، قَال: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ». قَالَ عَبْدُ الْأَعْلَى: لَا أَدْرِي أَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ: اعْمَلْ مَا شِئْتَ[1].

(١) صحيح مسلم (٢٧٥٨).

■ قَالَ أَبُو أَحْمَدَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ زَنْجُوَيْهِ الْقُرَشِيُّ الْقُشَيْرِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ حَمَّادٍ النَّرْسِيُّ بِهَذَا الْإِسْنَادِ[1].

■ قال: وحَدَّثَنِي عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، قال حَدَّثَنِي أَبُو الْوَلِيدِ، قال حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، قال حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، قَالَ: كَانَ بِالْمَدِينَةِ قَاصٌّ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي عَمْرَةَ، قَالَ: فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ - يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - يَقُولُ: «إِنَّ عَبْدًا أَذْنَبَ ذَنْبًا؛ بِمَعْنَى حَدِيثِ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ وَذَكَرَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، أَذْنَبَ ذَنْبًا، وَفِي الثَّالِثَةِ: قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ»[2].

هذا الحديث الذي ذكره المصنف -رحمه الله- الذي جاء من حديث أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه- فيما يحكي كما جاء عن رسول الله -صلوات ربي والسلام عليه- فيما يحكي عن ربه ﷻ قال: «أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، فقال: اللّهم اغْفِرْ لِي ذَنْبِي» إلى أخر الحديث، هذا الحديث فيه فوائد:

١. الفائدة الأولى:

كما بوب على ذلك مسلمٌ قال: باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب وكذلك تكررت، ماذا؟ التوبة. وقال أيضا -رحمه الله- في شرح مسلم: "إن الذنوب ولو تكررت مئة مرة بل ألفا وأكثر وتاب في كل مرة قبلت توبته، أو

---

(١) صحيح مسلم (٢٧٥٨).

(٢) صحيح مسلم (٢٧٥٨).

تاب عن الجميع توبة واحدة صحّت"، ماذا؟ توبته، هذا فيه سعة فضل الله ﷻ وأن العبد يرجوا ما عند الله ﷻ؛ ولكن ماذا؟ يتوب. «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»[1].

بعض الناس إذا ذكرت له ذنبا حصل منه أو جرمًا وقع فيه يقول لك: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ» أقول له أكمل الحديث «وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ» فبعضهم يأخذ أول الحديث ويترك آخره، وهذا حاصل في كثير من شبابنا أنه يحتج بأول الحديث لكي يواصل معاصيه، يقول «خَيْرُ الْخَطَّائِينَ» كذلك ماذا؟ كما قال نبينا -صلوات ربي وسلامه عليه-.

وكان بعض أهل العلم يضعّف هذا الحديث والشيخ الألباني -رحمه الله- يحسّنه، وقد روى أحمد -رحمه الله- في كتاب الزهد "قال سعيد الجريري: قلت للحسن يا أبا سعيد: الرجل يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب حتى متى؟ حتى متى؟ ماذا قال له -رحمه الله-؟ ولو ألفًا، قال الحسن: ما أعلم هذا إلا من أخلاق المؤمنين".

ليس من أخلاق المؤمنين أن يقع في الذنب، لا إنما من أخلاق المؤمنين أن يبادر إلى التوبة، فقال -رحمه الله-: ما أعلم هذا إلا من أخلاق المؤمنين.

وليس في هذه الأحاديث تسويغ الذنوب كما ذكرنا سابقًا، وإنما في هذه الأحاديث فتح باب الرجاء للعودة والرجوع إلى الله سبحانه وتعالى، وعن أبي

---

(١) الترمذي (٢٤٩٩)، ابن ماجه (٤٢٥١).

يحيي كذلك كما ذكر ذلك أحمد -رحمه الله- في كتاب الزهد مسندًا قال: "شكوت إلى مجاهدا الذنوب، قال: "أين أنت من الممحاة؟" يعني من الاستغفار، "أين أنت من الممحاة؟" تمحي، قال: يعني الاستغفار.

٢. الفائدة الثانية:

من قال استغفر الله ولكن بدون توبة، استغفر الله استغفر الله استغفر الله، ويقول: استغفر الله دائمًا ولكن بدون توبة، فهل هذا يستلزم المغفرة؟ بعض الناس قد يقول استغفر الله لكن بدون توبة، فهل هذا يستلزم المغفرة؟

قال شيخ الإسلام -وهذا كلامٌ مهم- قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: **فإن الاستغفار هو طلب المغفرة؛ لأن السين للطلب**، قال فإن الاستغفار هو طلب المغفرة، استغفر الله؛ يعني أطلب المغفرة، هل تاب؟ أجيبوا؟ لا، أطلب المغفرة.

يقول شيخ الإسلام: فإن الاستغفار هو طلب المغفرة وهو من جنس الدعاء والسؤال. يقول: اللّهم توب عليَّ وهو ما زال مصر على المعصية، هل هذا تاب؟ اللّهم اغفر لي وما زال، بعض الناس تلقاه في سوق تنصحه من سماع موسيقى أو من فعل محرم أو من قصة مخالفة لهدي المسلمين ويكون متشبه بالكافرين أو الفاسقين.

وباب التشبه يا إخوان ليس المقصود به التشبه بالكفار فقط ، باب التشبه ليس المنهي عنه التشبه بالكفار فقط كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه

الله- بل نحن قد نهينا عن التشبه بكل ناقص والأحاديث في هذا كثيرة. ألم ننهى في الصلاة عن بعض حركات كحركات الحيوانات لكونها ناقصة.

كما جاء في الحديث: «من يا رسول الله؟ فارس والروم، قال: فمن؟»(1) كذلك لكونهم أنقص من جنس العرب، «فمن تشبه بقوم فهو منهم»(2) تشبه بكل ناقص، تشبه بالكفار، تشبه بالفساق، تشبه الحيوانات، تشبه بكذا، التشبه بكل ناقص، فأنت مأمور بأن ماذا؟ ترتفع وليس أن تنزل، بأن ترتقي وليس أن تضع نفسك إلى هذه الدرجة.

وقد قرر ذلك شيخ الإسلام -رحمه الله- في كتاب "**الاقتضاء**" اللي بعض الناس يقول: والله أنا ما أتشبه بالكافر الفلاني أتشبه بالفاسق المسلم، الجواب: كذلك لا منهي عن ذلك، من تشبه بقوم فهو منهم.

وشيخ الإسلام -رحمه الله- إذا شبه بالكفار ظاهر الحديث وهذا الحديث قد جاء به شيخ الإسلام -رحمه الله- بإسنادٌ جيد، قال: ظاهر الحديث الكفر، من تشبه بقوم فهو منهم، لكنه مصروف للأحاديث الأخرى أن ذلك من قبيل المعاصي وليس من قبيل الكفر.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: فإن الاستغفار -عندك سؤال؟ تشبه الكلام الآن في تشبه الرجال بباقي الناس، أما تشبه النساء بالرجال والرجال بالنساء بابها

---

(1) البخاري (٧٣١٩).

(2) أبو داود (٤٠٣١).

آخر من جهة أنه تشبه بأحد الجنسية التي هو ليس ينتمي لها- قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: فإن الاستغفار هو طلب المغفرة وهو من جنس الدعاء والسؤال وهو مقرون بالتوبة، استغفر الله ولا أتوب لا، اللّهم توب عليَّ ولا أتوب لا.

فالغالب ومأمور به لكن قد يتوب الإنسان ولا يدعو، وقد يدعو ولا يتوب، قال: وفي الصحيحين عن أبي هريرة ثم ذكر حديث الذي هو معنا حديث أبي هريرة «أذنب عبدًا ذنبًا» إلى آخر الحديث.

قال: والتوبة تمحو جميع السيئات وليس شيء يغفر جميع الذنوب إلا التوبة، السيئات والكبائر، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء:٤٨]، وأما الاستغفار بدون التوبة فهذا لا يستلزم المغفرة، ولكن هو سبب من الأسباب. انتهى كلامه -رحمه الله- من المنهاج.

وقال ابن رجب -رحمه الله- في شرح الأربعين قال: "وقول القائل: استغفر الله، معناه: أطلب مغفرته، فهو كقوله: اللّهم اغفر لي، فالاستغفار التام الموجب للمغفرة: هو ما قارن عدم الإصرار، كما مدح الله أهله، ووعدهم بالمغفرة، قال بعض العارفين: من لم يكن ثمرة استغفاره تصحيح توبته، فهو كاذب في استغفاره".

لذلك يسمى بعض أهل العلم ذلك بتوبة الكذابين أيضا، الذي يقول: قد توبت وهو مصرٌّ على معاصيه، فقد سُمي ذلك أيضا توبة الكذابين، "وكان

بعضهم يقول: استغفارنا هذا يحتاج إلى استغفارٌ ماذا؟ كثير"، هذا إذا كان هذا الاستغفار مع إصرار على الذنب؛ لكن لو كان الاستغفار مع التوبة والاستغفار مع ترك المعاصي والذنوب فإنه استغفار بلا شك أنه كما جاءت به الشريعة.

قال: "فأفضل الاستغفار ما اقترن به ترك الإصرار، وحينئذ هو هذا الاستغفار توبة نصوحة، وإن قال بلسانه: أستغفر الله وهو غير مقلع بقلبه، فهو داع لله بالمغفرة، -كما قال من؟ قبل شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- كما يقول: اللّٰهم اغفر لي، وهو حسن وقد يرجى له الإجابة.

كما قال شيخ الإسلام قبل ذلك وذكرنا لكم أن هذا من جنس الدعاء والسؤال، "وأما من قال: "توبة الكذابين، فمراده أنه ليس بتوبة، كما يعتقده بعض الناس، وهذا حق، فإن التوبة لا تكون مع الإصرار".

٣. الفائدة الثالثة:

وهذا يجرنا إلى هذه الفائدة، "إن قال: أستغفر الله وأتوب إليه فهو على حالتين: -

الحالة الأولى: أن يكون مُصرًا بقلبه على المعصية، فهذا كاذب في قوله: "وأتوب إليه" ؛لأنه غير تائب، فلا يجوز له أن يخبر عن نفسه بأنه تائب وهو غير تائب.

الحالة الثانية: أن يكون مقلعًا عن المعصية بقلبه.

فكذلك هذا القول على قولين: كره ذلك طائفة من السلف، وهو **القول الأول**: هو قول أصحاب أبي حنيفة، وقال الربيع بن خثيم: يكون قوله: "وأتوب إليه" كذبًا وذنبًا، "وأتوب إليه" مع أنه مقلع، مُصر.أو مقلع؟ أجيبوا؟ مقلع، لماذا قالوا هذا؟ قال الربيع بن خثيم: يكون قوله: "وأتوب إليه" كذبًا وذنبًا، ولكن ليقل: اللَّهم تُب عليَّ، أو يقول: اللَّهم إني أستغفرك فتُب عليَّ.

وقد روي عن حذيفة أنه قال: بحسب المرء من الكذب أن يقول: أستغفر الله، ثم يعود. هذا معنى كلامه، وإن كان مقلعًا؛ لأنه يعود. فهذا قال: كذبًا وتوبة.

وسمع مطرف رجلًا يقول: أستغفر الله وأتوب إليه، فتغيظ عليه، وقال: لعلك لا تفعل. أي: تستقر، لعلك ترجع. وهذا ظاهره يدل على أنه إنما كره أن يقول: وأتوب إليه؛ لأن التوبة النصوح أن لا يعود إلى الذنب أبدًا، فمتى عاد إليه، كان كاذبا في قوله: "وأتوب إليه" هذا القول الأول، وذكرته؛ لأنه قد يشتهر عند الناس خاصة مع هذه الوسائل الموجودة؛ يعني يجتزأ أو يأخذ بعض إخواننا هذا الجزء ثم ينشره ثم يقع عند الناس التشويش.

كيف ما أقول وأتوب إليه؟ خشية ألا أعود، كيف ما أقول وأتوب إليه؟ خشية أن أرجع في الذنب، كيف كذا ويأتي عنده ثم ينشره على أنه من الأمور التي هي إجماع عند السلف؛ لهذا لا إنما هو قول بعض أصحاب أبي حنيفة وبعض السلف.

القول الثاني: هو قول جمهور العلماء وكذلك سئل محمد بن كعب القرظي عمن عاهد الله أن لا يعود إلى معصية أبدا ، فقال : من أعظم منه إثمًا ؟ يتأله على الله أن لا ينفذ فيه قضاؤه ، ورجح قوله في هذا أبو الفرج بن الجوزي وروي عن سفيان بن عيينة نحو ذلك.

وجمهور العلماء على جواز أن يقول التائب: "أتوب إليه"، وأن يعاهد العبد ربه على ألا يعود إلى المعصية، فإن العزم على ذلك واجب عليه، فهو مخبر لما قال: "وأتوب إليه" هو مخبر بما عزم عليه في الحال، لهذا قال: "ما أصر من استغفر، ولو عاد في اليوم سبعين مرة " هذا جاء في الحديث لكنه لا يصح.

وقال في المعاود للذنب: قد غفرت لعبدي فليعمل ما شاء. وفي حديث كفارة المجلس: "أستغفرك اللّٰهم وأتوب إليك" مع أنه مظنة ماذا؟ أن يرجع في بعض الأمور التي كانت في المجلس، وقطع النبي ﷺ سارقًا، ثم قال له: «استغفر الله وتب إليه» فقال: أستغفر الله وأتوب إليه، فقال: «اللّٰهم تب عليه».

هذه الأدلة الصحيحة تدل على أنه ذكره، لأنه قد جاء ذلك عن رسول الله – صلوات ربي وسلامه عليه– كما سمعنا هو قول جمهور العلماء.

٤. الفائدة الرابعة:

هذا الحديث الذي معنا قال: «أذنب عبدًا ذنبًا، قال: اللّٰهم اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبًا علم أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ثم أعاد فأذنب فقال: أي ربي ...» إلى آخر الحديث.

قال أهل العلم -رحمهم الله- أن العبد لابد أن يفعل ما قُدر عليه من الذنوب، كما قال النبي - «كتب على ابن آدم حظه من الزنا، فهو مدرك ذلك لا محالة»[1] نظر محرم، حصل شيء من هذه الأمور، «مدرك ذلك لا محالة» فهذا الحديث يفيد أن العبد لابد أن يفعل ما قُدر عليه من الذنوب.

وقال عُمر بن عبد العزيز -رحمه الله- في خطبته: "فإن عاد فليستغفر الله وليتب، فإن عاد فليستغفر الله وليتب، فإنما هي خطايا مطوقة في أعناق الرجال، وإن الهلاك كل الهلاك في الإصرار عليها" هي خطايا مطوقة، كما قال نبينا: «كتب على ابن آدم حظه من الزنا مدرك ذلك لا محالة»، "هي خطايا مطوقة" كما قال عُمر بن عبد العزيز.

لكن الخطايا المطوقة ذهابها بالإصرار أو ذهابها بالاستغفار؟ ذهابها بالاستغفار، وهذا فتح باب الرجاء وعدم اليأس مع روح الله ﷻ، كذلك عدم الإصرار على المعصية.

لذلك قال عُمر: "وإن الهلاك" لو أحتج محتج بهذه الأحاديث على أنه يعصي الله نقول: لا، جاء في الأحاديث يذنب قال: «علم أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب» يعاقب على الذنب فيستغفر الله ﷻ لكن الذي يصر على هذه الذنوب والمعاصي فإن ذلك الهلاك كما قال ذلك عُمر بن العزيز -رحمه الله- قال: "وإن الهلاك كل الهلاك فالإصرار عليها" يعني على المعاصي والسيئات.

---

(١) البخاري (٦٢٤٣) ، ومسلم (٢٦٥٧).

وقال أبو رجب -رحمه الله- في جامع العلوم والحكم: "**ولكن الله جعل للعبد مخرجًا مما وقع فيه من الذنوب**" أين المخرج، أين النجاة؟ قال: "بالتوبة والاستغفار، فإن فعل تاب واستغفر، فقد تخلص من شر الذنب، وإن أصر على الذنب" ماذا حصل له؟ "هلك" فليست هذه الأحاديث تسويغًا -عياذًا بالله- لا هذا هو فهم أهل العلم لهذه الأحاديث.

قال الإمام مسلم -رحمه الله تعالى- في صحيحه من كتاب التوبة:

" باب قبول التوبة من مسيء الليل والنهار إلى طلوع الشمس من مغربها "

■ قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قال: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عُبَيْدَةَ، يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي مُوسَى -رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنه قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا». قال: وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قال: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ، قال: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَهُ[1].

الشرح

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضّل له ومن يضّلل

---

(١) صحيح مسلم (٢٧٥٩).

فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وصفيهُ وخليله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، اللّهم صلي وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين؛ أما بعد؛

فقد ذكر المصنف –رحمه الله- أعني الإمام مسلم ما جاء من حديث أبي موسى –رضي الله تعالى عنه- عن النبي –صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ»، الحديث.

هذا الحديث فيه فوائد:

١. الفائدة الأولى:

قال الحافظ ابن رجب –رحمه الله- في شرح حديث: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ»[1] قال –رحمه الله-: التوبةُ والاستغفار تُقبل في جميع آناء الليل والنهار، كما هو معنا هنا (**إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ**)، فهذا فيه دليل على أن التوبة والاستغفار تقبل في جميع آناء الليل والنهار.

٢. الفائدة الثانية:

مع تقريرنا هذا التقرير من جهةٍ أن التوبة تقبلُ في جميع آناء الليل والنهار، لكن هل هناك أوقات أرجى، هل هناك أوقات أرجى لقبول التوبة؟

---

(١) صحيح البخاري (٥٤٩٠).

الجواب: نعم، فقد قال كذلك الحافظ ابن رجب -رحمه الله-، ولكنّ بعض الأوقات أرجى قبولًا، ولكن بعض الأوقات أرجى قبولًا، فإذا وقعت التوبةُ والاستغفار في مظان الإجابة كان أقرب إلى حصول المطلوب، إذا وقعت التوبة في مظان الإجابة في وقت إجابة الدعاء، في وقت إجابة وقبول الدعاء كان أقرب إلى حصول المطلوب؛ ولهذا مدح الله تعالى المستغفرين بالأسحار، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[الذاريات:١٨]

كذلك ما جاء في الصحيح في حديث النزول: وأن الله سبحانه وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل، ويقول سبحانه وتعالى: «فَيَقُولُ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فأغفر له، هَلْ مِنْ تَائِبٍ فأتوب عليه».

لذلك المنبغي على المسلمين أن في مثل هذه الأوقات أن لا يفوت العبد مثل هذه الأوقات الفاضلة، فإن أهل العلم -رحمهم الله- قد قالوا: **إن لم تكن قائمًا، فكن مستغفرًا**"، إن لم تكن قائمًا لله ﷺ في صلاة الليل في وقت السحر، ولكن إن لم تكن قائمًا فكن مستغفرًا، وذلك لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[الذاريات:١٨]

بعض الناس قد لا يحصل له القيام، قد لا يحصل له قيام الليل، ولكن والعلم عند الله أنه لا يعجز على أن يقول أستغفر الله وأتوب إليه، إن تقلب في فراشه يقول: أستغفر الله، إن احتاج إلى شيءٍ في وقت السحر يسأل الله سبحانه

وتعالى المغفرة، فإن الله سبحانه وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا نزولًا حقيقيًا، ويقول: « ربنا ﷻ فَيَقُولُ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فأغفر له، هَلْ مِنْ تَائِبٍ فأتوب عليه».

فهو وقتٍ فاضل لأهل الإسلام، ووقت فاضل لمن يرجو ما عند الله سبحانه وتعالى، فإن لم تكن يا عبد الله في هذا الوقت الفاضل قائمًا بين يدي الله سبحانه وتعالى في الصلاة مقبلًا على الله سبحانه وتعالى بالطاعة لا تعجز عن ﴿وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[الذاريات:١٨].

٣. الفائدة الثالثة:

أن هذا الحديث من كرمه ﷻ، أن هذا الحديث يدل على كرمه ﷻ أنه يقبل التوبة عن عباده؛ حتى وإن تأخرت، أنه يقبل التوبة عن عباده حتى وإن تأخرت.

وفي الحديث قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ»، فهذا من كرمه سبحانه وتعالى أنه يقبل توبة عباده؛ حتى وإن تأخرت هذه التوبة، فإذا أذنب الإنسان ذنبًا في النهار فإن الله سبحانه وتعالى يقبل توبته ولو تاب في الليل، وهذا من كرمه وفضله جلّ وعلا.

وإذا أذنب وتاب في النهار فإن الله تعالى يقبل توبته سبحانه وتعالى في الليل، أو أذنب في الليل فإن الله يقبل توبته في النهار.

ومن كرم الله على عباده ما جاء عند الطبراني في المعجم الكبير من حديث أَبِي أُمَامَةَ –رضي الله تعالى عنه وأرضاه–، عَنِ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «إِنَّ صَاحِبَ الشِّمَالِ».

وهذا من كرم الله على عباده، «إِنَّ صَاحِبَ الشِّمَالِ لَيَرْفَعُ الْقَلَمَ سِتَّ سَاعَاتٍ عَنِ الْعَبْدِ الْمُسْلِمِ الْمُخْطِئِ الْمُسِيءِ، فَإِنْ نَدِمَ وَاسْتَغْفَرَ الله مِنْهَا أَلْقَاهَا، وَإِلا كُتِبَتْ وَاحِدَةً»، «وَإِلا كُتِبَتْ وَاحِدَةً»[1].

وقد حسن الشيخ ناصر –رحمه الله– هذا الحديث الصحيحة، وهذا فيه المبادرة للتوبة، وأن العبد لا يؤخر التوبة، وأن الله سبحانه وتعالى أمهل المذنب؛ حتى يرجع إلى الله سبحانه وتعالى كما جاء في هذا الحديث.

قال: «إِنَّ صَاحِبَ الشِّمَالِ لَيَرْفَعُ الْقَلَمَ سِتَّ سَاعَاتٍ عَنِ الْعَبْدِ الْمُسْلِمِ الْمُخْطِئِ الْمُسِيءِ، فَإِنْ نَدِمَ وَاسْتَغْفَرَ الله مِنْهَا أَلْقَاهَا، وَإِلا كُتِبَتْ وَاحِدَةً» فالواجب يا معاشر الفضلاء: أن نبادر إلى التوبة فإن الله ﷻ أمهلنا وهذا من كرمه وفضله جلّ وعلا.

والمبادرة إلى التوبة فإنك لا تدري قد تفاجأ بالموت قبل أن تتوب، وقبل أن ترجع إلى الله سبحانه وتعالى، فالواجب علينا جميعًا من أذنب فليستغفر الله سبحانه وتعالى، من أساء فليتب إلى الله سبحانه وتعالى، ومن فعل معصيةً فليبادر إلى الإقبال على الله سبحانه وتعالى فإنه لا يدري لعله يفاجأ بالموت قبل أن يتوب.

٤. الفائدة الرابعة:

هذا الحديث يدل كذلك على محبة الله ﷻ للتوبة فإن «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ»، وهذا دليل على محبة الله لهذا العمل، دليل

---

(١) رواه الطبراني وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٠٩٧).

لمحبة الله سبحانه وتعالى لهذا العمل، وقد مرّ معنا في الحديث الذي أضل

راحلته وأن الله سبحانه وتعالى يفرح بتوبة عبده المؤمن.

٥. الفائدة الخامسة:

إثباتُ صفة اليد لله ﷻ، (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ)، وهذه الصفة صفة حقيقية ذاتية، وهي ثابتةٌ بالكتاب والسُنة كما جاء في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[ص:٧٥]

فلله عز وجل يدان حقيقتان تليقان بجلاله وكماله وعظمته ﷻ، ولا تشبهان أيدي المخلوقين، وهاتان اليدان التي هي لله سبحانه وتعالى موصوفتان كذلك في القبضِ والبسطِ والأخذِ والعطاءِ وطيب.

وهذه الصفات كلها قد جاءت في النصوص الشرعية؛ لأن باب الأسماء والصفات بابٌ توقيفي.

لذلك قال ابن القيم –رحمه الله تعالى–كما جاء في مختصر الصواعق: (ورد لفظ اليدِ في القرآن والسُنة وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من مائة موضع)، ورودًا متنوعًا متصرفًا فيه مقرونًا بما يدل على أنها يدٌ حقيقية.

وأما الخلف فقد حرفوا معنى هذه اليد، وقد قال شيخنا الشيخ محمد أمان–رحمه الله–: **(صفة اليد قد طاشت فيها سهام الخلف، عن إصابة الهدف)**.

كذلك كباقي الصفات التي حرفوها وأخذوا يفسرونها تفسيرًا يساير عقيدتهم وطريقتهم، ففسروا اليد مرةً بالقدرة، وفسروا اليد مرةً بالنعمتين، وهذا التفسير منهم فارين في زعمهم للتشبيه والتكسير.

وقد أجاب العلماء -رحمهم الله- عز وجل لما فسروا اليد بالنعمتين، وأن نعم الله لا تحصى ولا تعد، فكيف تحصر في نعمتين؟ ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم:٣٤].

كذلك لما جاء في تفسيرهم أن اليدين بالقدرة، كذلك أن يقول أهل العلم -رحمهم الله- ومنهم الشيخ محمد أمان -رحمه الله- أن لله قدرةٌ واحدةٌ باهرة ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[الروم:٥٠] وليس هناك دليل على تعدد ذلك، فهؤلاء قد خالفوا ما جاء في كتاب الله وفي سُنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

ابن حزم أثبت أن لله أيدي، ابن حزم أثبت أن لله أيدي، كما أنه أثبت أن لله أعين، ونظر ابن حزمٍ لما جاء في النصوص من جمع الأيدي وحملها على أن الله ليس، وإنما له أيد، لله عز وجل أيدي.

قال كما جاء في الفضيل: (**ونقر أن لله تعالى كما قال يدًا ويدين وأيدي، وعينًا وأعينًا**) وقوله هذا بلا شك أنه مخالف لما عليه السلف الصالح، فما جاء في ذكر الجمع في اليد قد أجاب على ذلك أهل العلم -رحمهم الله- كما هو معلومٌ مقرر.

٦. الفائدة الأخيرة:

دليلٌ على أن الشمس تطلع من مغربها وانتهى زمن التوبة، إن فيه دليل على أن الشمس إذا طلعت من مغربها انتهى زمن التوبة، من شروط التوبة أن تكون التوبة في زمانها، قبل أن تطلع الشمس من مغربها، فالواجب علينا كما ذكرنا المبادرة إلى التوبة، نعم.

"بَابُ غَيْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَحْرِيمِ الْفَوَاحِشِ"

■ قال: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ - قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا، وقَالَ عُثْمَانُ : حَدَّثَنَا - جَرِيرٌ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ –رضي الله عنه–، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللَّهِ تعالى، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنَ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ».(١)

■ قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ ، وَأَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَا : حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ، قال: وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ - وَاللَّفْظُ لَهُ – قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ ، وَأَبُو مُعَاوِيَةَ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ شَقِيقٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ –رضي الله عنه–،

(١) صحيح مسلم (٢٧٦٠).

أنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لَا أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنَ اللَّهِ ، وَلِذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ، وَلَا أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللَّهِ عز وجل»[1].

■ قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، وَابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَا : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قال: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا وَائِلٍ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ -رضي الله عنه-، يَقُولُ: - قُلْتُ لَهُ آنْتَ سَمِعْتَهُ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: نَعَمْ - وَرَفَعَهُ، أَنَّهُ قَالَ: لَا أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنَ اللَّهِ، وَلِذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَلَا أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللَّهِ وَلِذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ[2].

■ قال: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ - قَالَ إِسْحَاقُ : أَخْبَرَنَا ، وقَالَ الْآخَرَانِ : حَدَّثَنَا - جَرِيرٌ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ مَالِكِ بْنِ الْحَارِثِ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رضي الله عنه-، أنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :« لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنَ اللَّهِ ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللَّهِ ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَنْزَلَ الْكِتَابَ وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ».[3]

(١) صحيح مسلم (٢٧٦٠).

(٢) صحيح مسلم (٢٧٦٠).

(٣) صحيح مسلم (٢٧٦٠).

الشرح

وما ذكره –رحمه الله– من باقي الروايات كلها معناها واحد، هذا الحديث فيه فوائد:

١. الفائدة الأولى:

ونشرح هذا الحديث بما قاله ابن القيم –رحمه الله– في الصواعق المرسلة، مع أن مظان الشروح ما جاء في شروح الأحاديث، ولكن ابن القيم –رحمه الله– ذكر كلامًا مهمًا في هذا الباب، وكون توجد المسائل في غير مظانها فإن هذا يعني يجعل الطالب ينشط إلى مثل هذه المسائل.

مثل هذه المسائل: ما جاء في حلق الشعر في النسك، حلق الشعر في النسك، من كان في أذنه شعر، هل يجبُ عليه أن يحلق شعر أذنيه أم لا؟ الحديث: «الأُذُنَانِ مِنَ الرَّأْسِ»[1]

طبعا ذكرهًا من ذكر من أهل العلم، وكذلك ممن ذكر هذه المسألة الحافظ ابن حجر في النكت، نكت في علم مصطلح، فهذه كذلك مما هو ليس يعني من مظان هذه المسألة، وراجعوا كلام الحافظ ابن حجر، كلام الحافظ ابن حجر –رحمه الله– في هذه المسألة؛ لأنه تكلم عن حديث: «الأُذُنَانِ مِنَ الرَّأْسِ»، ثم بعد ذلك ذكر هذه المسألة، من كان عنده شعر في أذنيه والأذنان من الرأس، فهل يجب عليه أن يحلق شعر أذنيه أم لا؟

---

(١) سنن أبي داود (١٣٤)، وصححه الألباني.

فنشرح هذا الحديث بما قاله ابن القيم –رحمه الله–، والشيخ ابن عثيمين له كلام كذلك وقال هذه مسألة غريبة، الكلام فيها طويل ذكره كذا غير واحد من أهل العلم، لكن أرجعوا إلى كلام العلماء –رحمهم الله– في هذه المسألة، وما هو الجواب عن هذه المسألة؟

في هذا الحديث الذي معنا:

قال ابن القيم –رحمه الله– في الصواعق المرسلة، قال: "إن النبي –صلى الله عليه وسلم– جمع بين محبة الله عز وجل للمدح، ومحبته للعذر". كما جاء معنا في روايات هذا الحديث: «وَلَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللَّهِ»، من أجل ذلك بعث الرسل مبشرين ومنذرين، ولا «أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللَّهِ» من أجل ذلك وعد الجنة.

كذلك جاء هذا في حديث ابن مسعود أيضًا: "فهو سبحانه شديد المحبة؛ لأن يحمد وأن يعذر"، الله سبحانه وتعالى كما جاء في هذه الأحاديث، وذكرها مسلم في روايات متعددة "الله سبحانه وتعالى شديد المحبة؛ لأن يحمد وأن يعذر".

ومن محبته للعذر إرسال رسله وإنزال كتبه، من محبته للحمد ثناؤه على نفسه فهو يحب أن يعذرَ على عقاب المجرمين المخالفين لكتبه ورسله ولا يلام على ذلك، ولا يذم عليه عياذًا بالله، ولا يؤثم فيه إلى الجور وإلى الظلم، كما يحب أن يحمد على إحسانه وإنعامه، لأهل كرامته ولأوليائه، وحمده متضمن هذا، وهذا

فهو محمود على عدله وإحسانه إلى أوليائه كما قال الله سبحانه تعالى:

﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الزمر:٧٥].

فأخبر عن حمد الكون، أجمعه له عقب قضائه بالحق بين الخلائق، وإدخال هؤلاء إلى جنته وهؤلاء إلى ناره إلى آخر كلامه –رحمه الله– والله ﷻ شديد المحبة؛ لأن يحمد وأن يعذر ﷻ.

ونقل ابن القيم –رحمه الله– في الصواعق كلامًا طويلًا، لكن نترك هذا ما نقله لأجل الوقت.

٢. الفائدة الثانية:

إثبات صفة الغيرة لله عز وجل، كما جاء فغي الحديث: (**وَلَيْسَ أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنَ اللَّهِ**)، وأهل السُنة كما هو معلوم يثبتون هذه الصفة كما يثبتون غيرها مما جاء في الكتاب والسُنة على الوجه اللائق به، فهم يقولون إن الله يغار، لكن ليس كغيرة المخلوق، وإن الله يفرح لكن كذلك ليس كفرح المخلوق، فله سبحانه وتعالى الصفات الكاملة ولا تشبه صفاته صفات المخلوقين، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١].

٣. الفائدة الثالثة:

أن الغيرة على قسمين، وذلك في غيرة العبد:-

القسم الأول: غيرةٌ محبوبة وهي التي توافق غيرة الله عز وجل، وهذه الغيرة هي أن تنتهك محارم الله وأن تؤتى الفواحش الباطلة والظاهرة، فالعبد في هذه الغيرة فإن غيرته محمودة.

والغيرة المحمودة إما أن تكون غيرة واجبة هو أن يغار أن تنتهك محارم الله، وهذه الغيرة الواجبة تختلف هنا غيرة خاصة من العبد في أن عياذًا بالله يحصل أن يحصل شيء من الزنا في أهل بيته فهذه غيرته أشد من غيرته عند غيرهم، خاصةُ وعامة في المخلوق.

وهناك الغيرة المستحبة قال شيخ الإسلام –رحمه الله–: والغيرة المستحبة ما أوجبت المستحب من الصيانة، والغيرة المستحبة ما أوجبت المستحب من الصيانة، إذا رأيت الناس تركوا المستحب تغار، إذا رأيت الناس لم يقبلوا على المستحبات وعلى السُنن الرواتب وعلى قيام الليل تأتيك غيرة، فالغيرة على قسمين غير المحمودة غيرة واجبة، وغيرة مستحبة.

القسم الثاني: الغيرة المذمومة وهي الغيرة في غير ريبة، قال أهل العلم: وهي الغيرة في مباحٍ لا ريبة فيه، فهذه الغيرة مما لا يحبها الله، بل ينهى عنها إذا كان فيه ترك ما أمر الله، ولهذا قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: «لا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ»[1].

---

(١) رواه البخاري (٨٤٩)، ومسلم (٦٦٨) واللفظ متفق عليه.

قال ابن أحد أبناء ابن عمر: والله لأمنعهن، قال في صحيح مسلم فسبه سبًا شديدًا، فسبه سبًا لما ذكر ابن عمر هذا الحديث قال: والله لأمنعهن فسبه سبًا شديدًا، لما؟ فهذا الموطن ليس موطن غيرة، هذا الموطن ليس موطن غيرة خاصةً مع صلاح الناس، خاصة مع صلاح الناس.

غيرة النساء، غيرة النساء بعضهن من بعض، قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: (وأما غيرة النساء بعضهن من بعض، فتلك ليس مأمورًا بها، لكنها من أمور الطباع، لكنها من أمور الطباع).

فالنساء يغلب عليهن ماذا؟ الغيرة، خاصةً إذا كان أراد زوجها أن يتزوج عليها فيحصل منها الغيرة، أو تزوج زوجها عليها فيحصل في ذلك ما يحصل بين الضرائر، قال شيخ الإسلام: "**وأما غيرة النساء بعضهن من بعض فتلك ليس مأمورًا بها**".

لكنها من أمور الطباع كالحزن على المصائب، كالحزن على المصائب، هذا أمرٌ في الطباع أن يحزن الإنسان على المصيبة، لكن لو أدى هذا الحزن إلى الجزع فأنتقل من كونه أمرًا قد يكون فيه سعة إلى أمرٍ محرمٍ.

لو أدت الغيرة إلى الغيبة، إلى النميمة، إلى المحرمات أن تغتاب المرأة ضرائرها، يعني يوم وقد نبه على ذلك أهل العلم يجتمعون يوم عرس الزوج ويفتحون بابًا للغيبة، ويظنون أن هذا الباب إنما هو في قبيل المباحات، ولا

ويظنون أن هذا الباب قد ادخلوا أنفسهن في المحرمات، وقد وقعوا في كبيرة من كبائر الذنوب.

ثم ينصرفن هؤلاء النساء إلى بيوتهن وكأنهن لم يفعلن ذنبًا، ذلك هذه الوصية، بعض النساء يأتيها ظنٌ أنها إذا اغتابت زوجها أو ظلمت زوجها أن ذلك أمرٌ قد جاء في الشريعة فيه بالمسامحة، مادام أن مبناه على الغيرة، لا.

فكما قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: **قد تكون هناك أمور تزيد، لكن أن يكون الأمر إلى الغيبة، إلى النميمة، إلى الظلم، إلى البغي، فإن هذا إلى الاحتقار، إلى السخرية، إلى الاستهزاء بضرائرها، فإن هذا داخلٌ في ما حرم الله ﷻ.**

لذلك قال نبينا -صلوات ربي وسلامه عليه-: «أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ؟، قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا دِينَارَ».

قال أهل العلم: عرّف الصحابة -رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم- المفلس بالتعريف المتبادر إلى الذهن، ثم نقلهم نبينا -صلوات ربنا وسلامه عليه- إلى أمرٍ آخر، فقال: «المفلس من ضرب هذا، وسب هذا، وشتم هذا، وأخذ مال هذا»[(١)] الحديث.

فهؤلاء النسوة اللذين اجتمعوا في هذا المجلس السيئ، فإن هذا المجلس إن لم يتوبوا منه فإنهن تحت مشيئة الله سبحانه وتعالى إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم.

---

(١) صحيح مسلم (٢٥٨١).

لذلك يقول شيخ الإسلام –رحمه الله-: هو ضابطٌ رائع، قال: (وأما غيرة النساء بعضهن من بعض فتلك ليس مأمورًا بها، لكنها من أمور الطباع كالحزن عند المصائب)،كالحزن عند المصائب، كون المرأة تحزن، كون الرجل يحزن، لكنه لا يصل إلى الجزع، إلى الهلع، إلى النياحة فإنها قد دخل في باب المحرمات.

ثم قال شيخ الإسلام –رحمه الله- لما ذكر ما ذكر قال: غارت أمكم لما كسرت القصعة، وقالت عائشة: «أو لا يغار مثلي على مثلك»[1] هذا أمر طبيعي أن يحصل، وقد يكون فيها شيء من كسر شيء أو كذا بأن تصل إلى المحرمات ولا إلى البغي، إلى الظلم، إلى الغيبة، إلى النميمة هذا أمرٌ آخر.

وذكر شيخ الإسلام بعد ذلك ما جاء في الأحاديث، فيما جاء في قول عائشة أنها كانت تغار من خديجة، مع أن خديجة كانت يعني –رضي الله عنها- وأرضاها قد توفيت إلى آخر الأحاديث.

الغيرة كما يقول شيخ الإسلام: أنقسم بنو آدم أربعة أقسام، أنقسم بنو آدم أربعة أقسام في الغيرة على محارم الله، في الأول: أقسام الناس في الغيرة مطلقة، غيرة محمودة وغيرة مذمومة، والنساء أين هم في غيرتهن من بعضهن البعض؟ كما سمعتم من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-.

---

(١) صحيح مسلم (٢٨١٥).

في محارم الله: قال شيخ الإسلام: أنقسم بنو آدم أربعة أقسام:-

القسم الأول:

قومٌ لا يغارون على حرمات الله تعالى مثل: الديوث والقواد، قال شيخ الإسلام مثل الديوث والقواد، وغير ذلك والديوث كما ثبت من حديث عمار ابن ياسر -رضي الله عنه- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «ثَلاثَةٌ لا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ أَبَدًا: الدَّيُّوثُ، وَالرَّجُلَةُ مِنَ النِّسَاءِ، وَمُدْمِنُ الْخَمْرِ. فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَّا مُدْمِنُ الْخَمْرِ فَقَدْ عَرَفْنَاهُ، فَمَا الدَّيُّوثُ؟ قَالَ: "الَّذِي لا يُبَالِي مَنْ دَخَلَ عَلَى أَهْلِهِ»[1]. وقد صححه الشيخ ناصر -رحمه الله-، هذا الحديث كما في صحيح الترغيب والترهب قد رواه الطبراني.

تذهب زوجته إلى مكتبٍ من المكاتب ولا يبالي، أين ذهبت؟ وأين خرجت؟ وأين دخلت؟ يدخل عليها الرجال ولا يبالي، أين دخلت؟ اختلت مع من ذهبت مع من؟ قال نبينا -صلوات ربي وسلامه عليه-: «الدَّيُّوثُ، قال: الَّذِي لا يُبَالِي مَنْ دَخَلَ عَلَى أَهْلِهِ».

كذلك ثبت عن رسول الله -صلوات ربي وسلامه عليه- جاء في الحديث الأول: «ثَلاثَةٌ لا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ أَبَدًا»، وهذا من نصوص الوعيد، ونصوص الوعيد كان من منهج أحمد أن لا تفسر؛ حتى لا تذهب هيبتها.

---

(١) النسائي (٢٥٦٢).

وشيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب –رحمه الله– كما في الدرر مال إلى هذا القول، التخليد، عدم التخليد، نشر ذلك بين الناس، (لا) أحاديث الوعيد تذكر إلا إذا جاء مثلًا قول الخوارج، قول المرجأة، كذا يرد قولهم بها عند أهل السُنة، لكن الأصل أنها تذكر ولا تفسر إلا عند الحاجة.

كما جاء عن أحمد ومال إلى ذلك شيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب –رحمه الله–، ويميل إلى ذلك أيضًا شيخنا الشيخ ربيع ابن هادي؛ حتى تبقى هيبتها في الناس، تبقى هيبتها في الناس.

وإلا العلماء –رحمهم الله– ذكروا ما جاء في حديث تخليد وتحريم الجنة، ذكروا ما ذكروه في معاني هذه الأحاديث بالنظر إلى باقي الأحاديث، وهذه التي يبنى عليها معتقد أهل السُنة، لكن المسألة خطيرة، المسألة خطيرة قد جاء عن رسول الله –صلوات ربي وسلامه– كما جاء من حديث عبد الله ابن عمر مرفوعًا: «ثَلَاثَةٌ قَدْ حَرَّمَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِمْ الْجَنَّةَ: مُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَالْعَاقُّ، وَالدَّيُّوثُ الَّذِي يُقِرُّ فِي أَهْلِهِ الْخَبَثَ»[1].

وهذا عند أحمد واللفظ له والنسائي والبزار، وكذلك في الحديث قد حسنه أو صححه الشيخ ناصر –رحمه الله–، كذلك في قول رسول الله –صلوات ربي وسلامه عليه– أيضًا من حديث عبد الله ابن عمر يرفعه إلى رسول الله –صلوات ربي وسلامه عليه–: «ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْعَاقُّ

(١) السلسلة الصحيحة (٦٧٣ و ٦٧٤).

لِوَالِدَيْهِ، وَالْمُدْمِنُ عَلَى الْخَمْرِ، وَالْمَنَّانُ»، «ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ، وَالدَّيُّوثُ» إلى آخر الأحاديث.

فهذه الأحاديث أحاديث وعيد، قال شيخ الإسلام وهنا أنقسم بنو آدم أربعة أقسام في الغيرة.

«إِنَّ اللَّهَ يَغَارُ» وغيرته أن تنتهك محارمه، ورسولنا كما ثبت أيضًا يغار، والمؤمن كذلك يغارون، ويأتي هذا لا يغار أبدًا على محارم الله، وتحصل عنده غيرة على محارم الله سبحانه وتعالى.

قال شيخ الإسلام:

الأول: قومٌ لا يغارون على حرمات الله بحال، تنتهك حرمات الله، قال: مثل الديوث، والقواد وغير ذلك، ومثل أهل الإباحة، وفي عصرنا أهل الإباحة كثير؛ بل يتكلمون في أهل الفضائل والفضيلة، الذين لا يحرمون ما حرم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق، ومنهم من يجعل ذلك سلوكًا وطريقًا له.

كان شيخ الإسلام يحكي واقع معاصر، ثم استدل بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[الأعراف:٢٨] ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾[الأعراف:٢٩].

أصحاب الروايات الإباحية يقول: هذه من إيش؟ من الأدب، من الأدب والشريعة جاءت بإيش؟ بالأدب وهو عياذًا بالله من أسوأ ما يكتب عياذًا بالله.

فالله سبحانه وتعالى قد ردّ على هؤلاء ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا﴾[الأعراف:٢٨] احتجوا بماذا؟ بالناس، احتجوا بالعادات، احتجوا بالأعراف، قال: ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾[الأعراف:٢٨] فرد الله سبحانه وتعالى على أهل الإباحة وعلى الإباحيين، فقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[الأعراف:٢٨].

يأمر بماذا ﷻ؟ ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي﴾ بماذا؟ ﴿بِالْقِسْطِ﴾ ﴿أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ [الأعراف:٢٩] لا كما يزعم هؤلاء اللذين قد تركوا الكتاب والسُنة.

القسم الثاني: قومٌ يغارون على ما حرمه الله، وعلى ما أمر به مما هو من نوع الحب والكره، يجعلون ذلك غيرةً فيكره أحدهم من غيره أمورًا يحبها من؟ الله ورسوله، ومنهم من يجعل ذلك طريقًا ودينًا ويجعلون الحسد والصد عن سبيل الله وبغض ما أحبه الله ورسوله غيرة، يحسد الناس ويعدها غيره، يصد الناس عن سبيل الله ويعدها غيرة.

قال: **وقومٌ يغارون على ما حرمه الله وعلى ما أمر الله به**. يعني: القسم الأول لا يغارون، والقسم الثاني: يغارون على ما حرمه الله وعلى ما أمر الله به، مما هو من نوع الحب والكره يجعلون ذلك غيرةً فيكره أحدهم من غيره أمورًا يحبها الله ورسوله، ومنهم من جعل ذلك طريقًا ودينًا ويجعلون الحسد والصد عن سبيل الله وبغض ما أحبه الله ورسوله غيرة، هذا قسم كذلك مذموم.

القسم الثالث: وقومٌ يغارون على ما أمر الله به دون ما حرمه الله، فنراهم في الفواحش لا يبغضونها ولا يكرهونها، بل يبغضون الصلوات والعبادات، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[مريم:٥٩] ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾[مريم:٦٠]

القسم الرابع: وهو القسم الذي عليه أهل الإيمان، قال: وقومٌ يغارون مما كرهه الله، ويحبون ما يحبه الله، هؤلاء هم أهل الإيمان.

وهؤلاء هم أهل الإيمان وهذا هو الذي ينبغي على جميع المسلمين أن يكون على هذا النهج، وهذا هو الواجب على جميع أهل الإيمان ذكورًا وإناثًا أن يكونوا على القسم الرابع، ويتركون أمراض القلوب، ويتركون الأهواء، ويتركون ما يمليه عليهم الشيطان.

٤. الفائدة الرابعة:

الغيرة التي وصف الله بها نفسه هذا كم نوع؟ أجيبوا، الغيرة التي وصف الله بها نفسه على نوعين:

قال شيخ الإسلام "كتاب الاستقامة": **"الغيرة التي وصف الله بها نفسه إما خاصة وهو أن يأتي المؤمن ما حُرم عليه"**، وإما عامة وهي غيرته من الفواحش

ما ظهر منها وما بطن، كما جاء في الحديث: «وجعل غيرته أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أَوْ تَزْنِيَ أَمَتُهُ»[(١)]، هذه غيرة خاصة عبده أو أمته غيرة خاصة.

ومن غيرته أن **﴿حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾** غيرة عامة، كما ذكر ذلك شيخ الإسلام –رحمه الله– في كتاب الاستقامة.

٥. الفائدة الخامسة:

المعطلة، والمحرفة، والمكيفة لما عطلوا، أو حرفوا، أو مثلوا، أو كيفوا صفات الله عز وجل. كيفوا الصفات خالفوا هذا الحديث من أي وجهٍ؟ لا خالفوا الحديث من أي وجه؟

رُوي عن عمر: **"إِذَا تَكَلَّمَت فَأَسْمَعَ، وَإِذَا أطعمت فأشبع، وَإِذَا ضَرَبَت فَأَوْجَعَ"**. فأنت الآن أسمع لك أن تضرب أحد. أن الله ﷻ يجب المدح، فلما عطلوا ونفوا صفة العلو، وصفة العلو مدح، فهذا من شؤم البدع، هو يخالف هذا الحديث.

فنقول: الفائدة الخامسة والمعطلة والمحرفة والمكيفة لما عطلوا، أو حرفوا، أو مثلوا، أو كيفوا صفاته خالفوا هذا الحديث، وهذا من شؤم البدع والأهواء، فإنه قد جاء في الحديث «وَلَا شخص أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللَّهِ» فهو سبحان وصف نفسه مثلًا بالعلو، وصف نفسه بالصفات اللائقة به ﷻ، وهذه من صفات المدح له بذلك والتعظيم؛ لأن من صفات؛ لأنه من صفات الكمال.

---

(١) صحيح البخاري (٩٩٧).

فهذا كله من باب المدح، كما مدح نفسه بأنه العظيم، والعليم، والقدير، والعزيز، والحليم إلى غير ذلك، فلما عطلوا أو حرفوا أو كيفوا أو مثلوا خالفوا هذا الحديث، ولا شخص أحب إليه المدح من الله، فإنهم لم يصفوا الله ﷻ بما وصف به نفسه، سبحانه وتعالى هو من صفات المدح له والتعظيم.

٦. الفائدة السادسة:

أيهم أعظم: حمد العباد له، أو حمده لنفسه؟ أيهم أعظم؟ حمده لنفسه كما قال شيخ الإسلام –رحمه الله– في مجموع الرسائل والمسائل: (الله يحب حمد العباد له وحمده، الله يحب حمد العباد له، وحمده لنفسه أعظم من حمد العباد له) ويحب ثناءهم عليه وثناؤه على نفسه أعظم من ثنائهم عليه.

وكذلك حبه لنفسه وتعظيمه لنفسه فهو سبحانه أعلم بنفسه من كل أحد هو الموصوف بصفات الكمال التي لا تبلغها عقول الخلائق، فالمؤمنون وإن كانوا يحمدون ربهم ويثنون عليه فهم لا يحصون الثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، كما صح ذلك الحديث: «إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، بِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»[1] ولذلك صح الحديث.

إني حمدت ربي، كما جاء في حديث الأسود ابن صريح هو حديثٌ صحيح، وقد صححه الشيخ ناصر –رحمه الله– كان يميل أول إلى تضعيفه، ثم رجع إلى

---

(١) صحيح مسلم – الصلاة (٤٨٦).

تصحيحه، جاء في حديث الأسود بن صريح، «إني حمدت ربي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن ربك يحب المحامد»[١].

كما كذلك ذكر ابن القيم –رحمه الله– في الصواعق المرسلة قال: (من محبته سبحانه وتعالى الثناء عليه أنه صدق المثني عليه، بأوصاف كمالك كما جاء عند النسائي والترمذي وابن ماجة لحديث الأغر أبي مسلم أنه شهد على أبي هريرة، وأبي سعيد أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: «إِذَا قَالَ الْعَبْدُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ».

قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ تبارك وتعالى : لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَأَنَا أَكْبَرُ ، وَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شريك له، قَالَ : صَدَقَ عَبْدِي ، لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَلَا شَرِيكَ لِي ، وَإِذَا قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، قَالَ : صَدَقَ عَبْدِي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ، لِي الْمُلْكُ ، وَلِيَ الْحَمْدُ ، وَإِذَا قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، قَالَ : صَدَقَ عَبْدِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِي»[٢].

قال ابن القيم فمن محبته للثناء عليه صدق المثني عليه، ووافقه في ثنائه عليه إلى آخر كلام أهل العلم –رحمهم الله– عز وجل).

---

(١) النسائي (٧٧٤٥) ، وأحمد (١٥٠٣٣).

(٢) ابن ماجه (٣٧٩٤).

٧. الفائدة السابعة:

(ليس أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللَّهِ سبحانه وتعالى)، هذا فيه تنبيه على فضل الثناء عليه سبحانه وتعالى، وتسبيحه، وتهليله، وتحميده، وتكبيره، وسائر الأفكار.

٨. الفائدة الثامنة:

هذه الأحاديث العظيمة فيها الترهيب من فعل الفواحش وأن الله سبحانه وتعالى يغار، ولكن ما الذي جرأ الناس على المعاصي؟ ما الذي جرأ الناس على المعاصي؟

يقول الشيخ ابن باز –رحمه الله– في تعليقه على صحيح البخاري قال: (قلة العلم وكثرة الجهل، هو الذي جرأ الناس على معاصي الله).

لذلك قال الكوراني، الشافعي، ثم الحنفي في كتاب الكوثر الجاري، قال؛ لأن الخشية على قدر العلم، فالله يقول: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:٢٨]. كما قال ابن مسعود: **العلمُ الخشية، العلمُ الخشية.**

ذلك نبينا –صلوات ربي وسلامه عليه– وعظ الناس بمثل هذه الأحاديث، وذلك في خطبة الكسوف، ذلك في خطبة الكسوف أو الخسوف إن بعض أهل العلم يرى في خطبة الخسوف –صلى الله عليه وسلم– كما جاء في حديث عائشة أنها قالت: «خَسَفَتْ الشَّمْسُ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه

وسلم ، فصلى رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بالناس فأقام فَأَطَالَ الْقِيَامَ»، إلى آخر الحديث.

ثم قال رسول الله –صلوات ربي وسلامه عليه– «إِنَّ الشَّمْسَ والْقَمَرَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ»، لماذا قال؟ يخوف بها عباده، كذلك في الحديث أيضًا: «لَا يَنْخَسِفَانِ لِمَوتِ أَحدٍ ولَا لحياتِهِ، فإِذَا رأيتم ذلك وَادْعُوا اللَّهَ فَكَبِّرُوا وصَلُّوا وتَصَدَّقُوا، ثم قال: يا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ»[1].

لماذا قال نبينا في هذا الحديث: «يا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ»؟

قال: أهل العلم –رحمهم الله–؛ لأن فيه زيادة تقبيح لمخالفتهم، أنتم أمة محمد فالواجب على أمة هذا الرسول أن يكونوا على إيش؟ على الهدى، وعلى الخير، وعلى الطاعة.

قال أهل العلم لما قال: «يا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ» فيه زيادة تقبيح لمخالفتهم، أما يقول الخطيب "يا أمة القرآن" يعني ينادي الأمة التي تمسكت بإيش؟ فكيف تخالف القرآن، «يا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ» ينادي الأمة التي نبيها من؟ محمد الذي جاء بالهدى ودين الحق، "يا أمة الإسلام: الإسلام الذي هو بلا شك هو أفضل الأديان.

وليس أفضل هنا على بابها، فليس هناك بعد بعثة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– دين إلا دين الإسلام، لذلك لما أحمد –رحمه الله– وقد عذب، وقد

---

(١) صحيح مسلم (١٥١٠).

سجن، وقد ضرب، وحصل له ما حصل لما هو معروف في سيرته، هذا إمام اللي هو إمام أهل السُنة والجماعة صبر في يوم المحنة.

هذا الإمام مع هذه الفضائل، وهذه المناكب، وهذه الحسنات من صبره وثباته على عقيدة السلف في عصر. منهم من يعني روى، منهم من ترك وخالف، ومنهم من تابع، فثبت أحمد –رحمه الله-، قيل له: "جزآك الله عن الإسلام خيرًا، فقال أحمد: هو فقيه أهل السُنة جزى الله الإسلام عنا خيرًا، جزى الله الإسلام عنا خيرًا.

وهذا عمله من نصرته للدين، ولشرع الله سبحانه وتعالى، وثباته على دين الإسلام، وثباته على السُنة "يدعى له جزآك الله عن الإسلام خيرًا، قال جزى الله الإسلام عنا خيرًا ".

الإسلام رفع درجتك، الإسلام جعلك على عقيدة عظيمة وعقيدة رائعة رائقة راقية، الإسلام إذا تمسكت به جعلك في الجنان، الإسلام إذا دخلت الجنان ترى رب السموات والأرض سبحانه وتعالى، ولا فوز بعد هذا الفوز.

ذلك من كان في هذه الدنيا يهوديًا، أو نصرانيًا، ولا يدخل في الإسلام فإنهم لن يكونوا من أهل الجنان فهذا هو الدين، ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران:١٩].

قال قتادة: المجوسية بدعة، واليهودية بدعة، والنصرانية بدعة، لما؟ الذي جاء به الله هو الإسلام، ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾[آل عمران:١٩].

فالشاهد:

هذا هو حال أئمة الإسلام لو أن أحدنا دعا إلى الله، أو ألف كتابًا، أو ألقى محاضرةً منسقةً، أو أنه قام الليل ورآه من رأى من إخوانه، أو نصح لقيام الليل، وقيل له: "جزآك الله عن الإسلام خيرًا" والله لا يقول مثل أحمد هذا كان فقيه، قال "جزى الله الإسلام عنا خيرًا، "جزى الله الإسلام عنا خيرًا".

فهنا قال: «يا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ إنْ مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ، أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أو تَزْنِيَ أَمَتُهُ، يا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، واللَّهِ لو تَعْلَمُونَ ما أَعْلَمُ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، ولَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا»[1].

فالناس الآن قد يروا المحارم تنتهك، وقد عياذًا بالله بعض الناس يفعل الزنا، قال: «ما مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنْ اللَّهِ، أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أَو تَزْنِيَ أَمَتُهُ».

وهذا الباب مع كثرة ما يحصل عند الناس من البعد عن شريعة الإسلام أصبح باب خيانة الزوجة لزوجها موجود، وأصبح أن الزوج كذلك يفعل ما حرم الله موجود، هؤلاء فلم يحصل عندهم أن الله سبحانه وتعالى يراهم من فوق سبع سموات، وهو على هذه المعصية يقول نبينا لما رأى ما حصل من هذه الآية "آية الخسوف" وهي عبرة ونذر خطب في أمته –صلى الله عليه وسلم– وقال: «ما مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنْ اللَّهِ».

(١) صحيح البخاري (٩٩٧).

بعض الناس يقول: هناك فواحش وليس هناك عقوبات، هناك فواحش وليس هناك شيء، نقول: لأ، بعُدك عن الله هذه من عقوبة الله عليك، بعدك عن الله هذه من عقوبة الله عليك.

وقال ابن القيم -رحمه الله-: "**وهذا من أشد العقوبات، أنك تكون بعيد عن الله سبحانه وتعالى ثم ترى من نفسك لم ينزل الله علي عقوبة، لم ينزل الله علي بلاء أو ابتلاء**"، قال ابن القيم: وهذا من أشد العقوبات؛ لأنه إذا بقي على ذلك فإن بقاءه إلى مهلكة.

وليس عنده نذر في قلبه يرى الفواحش، يرى المنكرات، يرى كذا ولا يغار، ولا نحن لا نطلب أن تكون غيرته إلى التدمير، وإلى التفجير (لا) تكون غيرته الغيرة الشرعية، ذلك بعض الناس كما يقول الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: (**بعض الناس غيرته عواصف**).

لا كما ذكر في الغيرة التي محمودة والغيرة مذمومة، لكن الغيرة التي يعني تكون تقشعر منها الأبدان والإنسان، يعني يحصل عنده ارتجاف يخشى أن ينزل الله سبحانه وتعالى عليه من العقوبة، نبينا يحصل خسوف ويقول هذا الكلام في خطبته -صلى الله عليه وسلم-.

"بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى : إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ"

■ قال: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، وَأَبُو كَامِلٍ فُضَيْلُ بْنُ حُسَيْنٍ الْجَحْدَرِيُّ ، كِلَاهُمَا عَنْ يَزِيدَ بْنِ زُرَيْعٍ - وَاللَّفْظُ لِأَبِي كَامِلٍ – قال: حَدَّثَنَا يَزِيدُ ، حَدَّثَنَا التَّيْمِيُّ ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ –رضي الله عنه–، أَنَّ رَجُلًا أَصَابَ مِنِ امْرَأَةٍ قُبْلَةً ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ ، قَالَ فَنَزَلَتْ : ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ * إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾ قَالَ : فَقَالَ الرَّجُلُ : أَلِيَ هَذِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ :« لِمَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ أُمَّتِي »(١).

■ قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قال: حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ ، عَنْ أَبِيهِ ، قال: حَدَّثَنَا أَبُو عُثْمَانَ ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ –رضي الله عنه–، أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَذَكَرَ أَنَّهُ أَصَابَ مِنِ امْرَأَةٍ إِمَّا قُبْلَةً ، أَوْ مَسًّا بِيَدٍ ، أَوْ شَيْئًا ، كَأَنَّهُ يَسْأَلُ عَنْ كَفَّارَتِهَا ، قَالَ : فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، ثُمَّ ذَكَرَ بِمِثْلِ حَدِيثِ يَزِيدَ.(٢)

---

(١) صحيح مسلم (٢٧٦٣).

(٢) صحيح مسلم (٢٧٦٣).

■ قال: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، قال: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَنْ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ ، قَالَ : أَصَابَ رَجُلٌ مِنِ امْرَأَةٍ شَيْئًا دُونَ الْفَاحِشَةِ ، فَأَتَى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه فَعَظَّمَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَتَى أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه فَعَظَّمَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَذَكَرَ بِمِثْلِ حَدِيثِ يَزِيدَ وَالْمُعْتَمِرِ.[(١)]

■ قال: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى ، وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ - وَاللَّفْظُ لِيَحْيَى ، قَالَ يَحْيَى : أَخْبَرَنَا وقَالَ الْآخَرَانِ : حَدَّثَنَا - أَبُو الْأَحْوَصِ ، عَنْ سِمَاكٍ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ عَلْقَمَةَ ، وَالْأَسْوَدِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه ، أنه قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي عَالَجْتُ امْرَأَةً فِي أَقْصَى الْمَدِينَةِ ، وَإِنِّي أَصَبْتُ مِنْهَا مَا دُونَ أَنْ أَمَسَّهَا ، فَأَنَا هَذَا ، فَاقْضِ فِيَّ مَا شِئْتَ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ رضي الله عنه : لَقَدْ سَتَرَكَ اللَّهُ ، لَوْ سَتَرْتَ نَفْسَكَ ، قَالَ : فَلَمْ يَرُدَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا ، فَقَامَ الرَّجُلُ فَانْطَلَقَ ، فَأَتْبَعَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا دَعَاهُ ، وَتَلَا عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ * إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ هَذَا لَهُ خَاصَّةً ؟ قَالَ : «بَلْ لِلنَّاسِ كَافَّةً».[(٢)]

---

(١) صحيح مسلم (٢٧٦٣).

(٢) صحيح مسلم (٢٧٦٣).

"باب من أصاب ذنبًا، ثم صلى المكتوبة"

■ قال: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلْوَانِيُّ ، قال: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَاصِمٍ ، قال: حَدَّثَنَا هَمَّامٌ ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أنه قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ ، قَالَ : وَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَصَلَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا ، فَأَقِمْ فِيَّ كِتَابَ اللَّهِ ، قَالَ : «هَلْ حَضَرْتَ الصَّلَاةَ مَعَنَا؟» قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : «قَدْ غُفِرَ لَكَ».[1]

■ قال: حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ - وَاللَّفْظُ لِزُهَيْرٍ - قَالَا: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ يُونُسَ، قال: حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ بْنُ عَمَّارٍ، قال: حَدَّثَنَا شَدَّادٌ، قال: حَدَّثَنَا أَبُو أُمَامَةَ، قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ، وَنَحْنُ قُعُودٌ مَعَهُ، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا، فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، فَسَكَتَ عَنْهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ أَعَادَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا، فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، فَسَكَتَ عَنْهُ، وَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَلَمَّا انْصَرَفَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ: أَبُو أُمَامَةَ رضي الله عنه: فَاتَّبَعَ الرَّجُلُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ انْصَرَفَ، وَاتَّبَعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْظُرُ مَا يَرُدُّ عَلَى الرَّجُلِ، فَلَحِقَ الرَّجُلُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أَصَبْتُ

---

(١) صحيح مسلم (٢٧٦٤).

حدًّا، فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، فقَالَ أَبُو أُمَامَةَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَرَأَيْتَ حِينَ خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِكَ، أَلَيْسَ قَدْ تَوَضَّأْتَ فَأَحْسَنْتَ الْوُضُوءَ؟» قَالَ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «ثُمَّ شَهِدْتَ الصَّلَاةَ مَعَنَا» فَقَالَ: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « فَإِنَّ اللهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ حَدَّكَ »- أَوْ قَالَ: «ذَنْبَكَ»[1].

الشرح

هذه الأحاديث في ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾[هود:١١٤] أفادت فوائد:-

١. الفائدة الأولى:

إن الحسنات يذهبن السيئات، وهذا الذي أفاده هذا الحديث، أيضًا المستفاد من أحاديثٍ أخرى كقول النبي –صلوات ربي وسلامه عليه- لمعاذ ابن جبل يوصيه: «يا معاذ اتَّقِ الله حيثُمَا كُنْتَ، وأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمحُهَا»[2] الحديث.

كذلك ما جاء: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا»، كذلك: «الصَّلَوَاتِ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ»، الحديث كل ذلك يدل على ما أفاده هذا الحديث: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾[هود:١١٤].

٢. الفائدة الثانية:

(١) صحيح مسلم (٢٧٦٥).

(٢) سنن الترمذي (١٩٨٧).

ما هي الحسنة التي تمحو السيئات؟

قال أهل العلم هي الحسنة المقبولة، فالحسنة المقبولة هي التي تمحو السيئات، وقبول الحسنة والعمل الصالح لابد من شرطين: الإخلاص لله سبحانه وتعالى، والمتابعة لرسول الله –صلى الله عليه وسلم-.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- في منهاج السُنة: (العمل الذي يمحو الله به الخطايا ويكفر به السيئات هو العمل المقبول)، هو العملُ المقبول، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[المائدة:٢٧].

والناس في هذه الآية كما يقول شيخ الإسلام –رحمه الله- ثلاثة: طرفان، ووسط، طرف الخوارج وطرف المرجأة، وأما أهل السُنة فإنهم يقولون ما يتقبل الله ﷻ من العمل إلا إذا كان خالصًا صوابًا، كما جاء في قول الفضيل بن عياض.

فصاحب الكبائر إذا اتقى الله في عملٍ من الأعمال تقبل الله منه، ومن هو أفضل منه إذا لم يتقي الله في عملٍ لم يتقبله الله منه، وإن تقبل منه عملًا آخر.

يقول شيخ الإسلام –رحمه الله-: (فصاحب الكبائر إذا اتقى الله في عملٍ من الأعمال) فإن كبيرته لا تمنع قوبل الأعمال الأخرى، وهذا فيه ردٌ على من؟ الخوارج، ومن هو أفضل منه إذا لم يتقي الله في عمله لم يتقبله الله منه، حتى وإن كان أفضل من؟ حتى ولو كان من الطائعين في الظاهر، لكنه ما كان على ما جاء في شروط العمل ماذا؟ المقبول، وإن تقبل منه عملًا آخر.

٣. الفائدة الثالثة:

هذه الأحاديث تفيد أن من أساء فليحسن، أن من أساء فليحسن، كما جاء في هذا الحديث، كما جاء في حديث أبي ذر ومعاذ: «وأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمحُهَا»، فلما كان العبد مأمورًا بالتقوى في السر والعلانية، مع أنه لابد أن يقع منه أحيانًا إيش؟ تفريط في، أنت مأمور بأن تكون متقيًا، «اتَّقِ الله حَيثُمَا كُنْتَ، وأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمحُهَا».

فأنت وإن كنت من الذين يتقون الله حيثما كنت قد يقع منك تفريط، ذلك قال بعد ذلك: «وأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمحُهَا»، فقال أهل العلم: "فلما كان العبد مأمورًا بالتقوى، «اتَّقِ الله حَيثُمَا كُنْتَ»)، أنت مأمور بهذا مع أنه لابد أن يقع منه أحيانًا تفريط في التقوى.

ما العمل؟ الجواب في نفس الحديث، «وأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمحُهَا».

٤. الفائدة الرابعة:

وهذا دليل على أنه ليس من شرط المتقي العصمة، هذا دليل على أنه ليس من شرط المتقي العصمة فقد يقع المتقي في الذنب، ولكن لا يصر على الذنب فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ﴾[آل عمران:١٣٣] لمن؟ ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾[آل عمران:١٣٣]

قال: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾[آل عمران:١٣٤] هذه كلها صفات من؟﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾[آل عمران:١٣٣] ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾[آل عمران:١٣٥]

من فعل الفاحشة؟ المتقي، لذلك قال أهل العلم: ليس من شرط المتقي ماذا؟ العصمة فقد أعد الله سبحانه وتعالى في هذه الآية صفات المتقين، قال عز وجل: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[آل عمران:١٣٣] ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[آل عمران:١٣٤] ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾[آل عمران:١٣٥].

ماذا يفعلون؟

﴿ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾[آل عمران:١٣٥] المتقي لا يصر، المتقي لا يصر فإن أصر أصبح فاسقًا، أما المتقي لا يصر ذلك قال: «اتَّقِ الله حَيثُمَا كُنْتَ»، من طبيعة البشر أنه قد يفرط في التقوى، فجاء الجواب: «وأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمحُهَا»، فإن فرطت في تقوى الله؛ حيثما كنت لا تيأس تقول: خلاص لم أكن من عباد الله المتقين. (لا) في نفس الحديث قالها: «وأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمحُهَا وخالِقِ الناسَ بخلُقٍ حسن»، فمخالقة الناس بخلق حسن مثال على الحسنات.

<u>مثال</u>: على الحسنات وما يقوله أهل العلم في هذا الحديث: بأنه قسم ما يكون حقٌ لله وحقٌ على نفسي وحق مع الناس معروفٌ مشهور.

لذلك عبد الله ابن مسعود يقول عن هذه الآية -رضي الله تعالى عنه- وأرضاه: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾[آل عمران:١٣٥].

قال ﷺ كما روى ذلك ابن المنذر قال: "لقد أعطانا الله آيةً هي أحب إلي من الدنيا وما فيها"، لقد أعطانا الله آية هي أحب من الدنيا وما فيها ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾[آل عمران:١٣٥].

وبعد ذلك ذكر المصنف –رحمه الله-: "**باب ما جاء في من أصاب ذنبًا ثم صلى المكتوبة**" وأن الإنسان هذا من إتباع السيئة الحسنة، وهذا كما قلنا أنه في باب الصغائر، وأن الكبائر لابد لها من توبة، لكن في الحديث قال: «أَصَبْتُ»، ماذا؟ «حَدًّا»، والحدود تكون على فعل شيءٍ من الكبائر.

فكيف تكون الصلاة المكتوبة تُذهب هذه تذهب هذا الحد؟

ابن الجوزي –رحمه الله- أجاب قال: وفي الحديث من الفقه ألا يكشف عن الحدود، فإن الحدود ماذا؟ تدرأ ما قال ما هو الحد؟ ماذا أقمت من حد؟ إذا قال وجاءه من جاءه مصرحًا بالزنا قال: لعلك قبلت، لعلك.

فكذلك من جاء لا تبحث وراءه، فالصحابي قال: فعلت أو أقمت أو كان مني حدا فكان من نبينا أن تدرأ الحدود بماذا ؟ فلم يستفصل (هذا الجواب الأول).

الجواب الثاني: أنه لعله أصاب صغيرةً فظنها حدًا، أنه لعله أصاب صغيرةً فظنها حدًا.

وقال الشوكاني -رحمه الله- في النيل: (**إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا**) قال في النهاية: أي أصبت ذنبًا أوجب علي حدًا أي عقوبة.

قال النووي -رحمه الله- في صحيح مسلم: هذا الحد معناه معصيةٌ من المعاصي الموجبة للتعذير وهي هنا من الصغائر؛ لأنها قرنها بالصلاة، ولو أنها كانت موجبة لحدٍ لم تسقط في الصلاة.

فقد أجمع العلماء على أن المعاصي الموجبة للحدود لا تسقط حدودها بالصلاة، وحكى القاضي عياض هو المعنى الثاني عن بعضهم: أن المراد الحد المعروف.

قال: وإنما لم يحدهُ؛ لأنه لم يفسر موجب الحديث، ولم يستفسر منه النبي -صلى الله عليه وسلم- إيثارًا للستر، بل أستحب تلقين الرجل صريحًا يلقنه حجته، لعله أنه يكون يعني فيها شيء من أنه تدرأ الحدود بالشبهات.

"باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله"

■ قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ - وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى - قَالَا: حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الصِّدِّيقِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ»[1].

الشرح

«كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» قد جاء في رواية الصحيح رواية البخاري أنه رجلٌ من بني إسرائيل، أنه رجلٌ من بني إسرائيل قتل تسعة وتسعين نفسًا، نعم.

«فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ».

فأتاه فيما يظهر للناس أنه أعلم أهل الأرض، فيما يظهر للناس أنه أعلم أهل الأرض، لذلك بعض الناس يغتر باللحية ويظن أن كل صاحب لحية ماذا؟ عالم، أن كل من درّس، أو ألقى موعظةً أنه يكون ماذا؟ عالما، أن كل من خطب أنه يكون عالم لا هذا الدليل يرد عليهم.

هذا الدليل ظهر للناس أنه أعلم أهل الأرض، كما يكون للدعاة في الأشرطة، أو في السيديهات، أو في المحاضرات، أو في كذا، ويكون هؤلاء الدعاة

(١) صحيح مسلم (٢٧٦٦).

ليس عندهم علم، فهذا الدليل يدل على أن ذلك عند الناس موجود، أنهم يغترون بالمظاهر، يغترون.

ألقى كلمة في المحراب، خطب جمعةً وقد يكون من أجهل خلق الله، قد يكون من أجهل خلق الله، لكن الناس أطال لحيته تكلم بكلمة، وعظ جعلوا الوعاظ ماذا؟ علماء، كما في هذا الحديث.

فكان في هذا الحديث أنه كمل به المائة، أنه أفتاه بغير علم، فهلك من؟ المفتي، وأهلك من؟ المستفتي؛ لأنه كمل به المائة، كمل به المائة.

قال أهل العلم: فهلك هو؛ لأن هذا ظن أنه عند الناس أنه عالم، وفي الحقيقة أنه ماذا؟ ليس بعالم فأفتاه بغير علم، قال بعض أهل العلم: أو أن هذا الراهب كان عنده علم، (هذه فائدة أخرى)، أن هذا الراهب كان عنده علم، ولكن كما أن في الإسلام اختلفوا في القاتل، هل عليه توبة أو ليس عليه توبة؟

فرجح الراهب أنه ليس عليه توبة، فأفتاه بما ترجح عنده، قالوا: كذلك أن في هذا دليل على عدم علمه؛ لأنه لم يراعي المصالح.

فالمسألة ليست، دائمًا أقول: الفتوى باب، وفقه الفتوى بابٌ آخر، الفتوى باب يستطيع الإنسان أن يقرأ وينظر ويفتي قد يستطيع، ولكن فقه الفتوى قد لا يستطيع أن يكون فقيهًا حتى في الفتوى.

يعني الإنسان جاء وقال: أخذت مصحفًا من المسجد الحرام؛ حتى أقرأ فيه في الفندق، ثم نسيته في الشنطة وذهبت به إلى المدينة، فكيف أرجع هذا

المصحف، هنا تأتي كذلك فقه الفتوى، قيل له: سل غيري فإن أمرك عظيم، سل غيري هذا أراد بها تربيته لا يتساهل في الأوقاف، لا يتساهل في الأوقاف.

كذلك من فقه الفتوى مثلًا، أعرف أحد الناس يطلق امرأته وهو قائم وهو قاعد، المكيف حار سكري المكيف بردت طالق، أفعلي طالق، أفعلي طالق فذكروا لي هم يعني من الأقارب، فذكروا لي ذلك فكان يذهب إلى أحد أئمة المساجد ويفتيه أن هذا وقت غضب، أن هذا وقت كذا، أن هذا وقت كذا إلى آخره.

وقد أوقعت كأنه الطلاق مرتين، فقلت لا أذكر لك شيئًا أذهب للمفتي العام، فقال: يعني أنت عندك شيء، قلت :أبدًا لا أذكر لك شيئًا، فجلس في المعاملة أكثر من شهر، لو أكثر من شهر وهو مبتعد عن زوجته أنه قد يكون طلاق بائن، ويخشى أنه يعني قد أصبحت حرام عليه، جاءت الفتوى بأن طلاقه ما يقع، وهذا في نفسي طلاقه ما يقع.

فقررت تربيته، الآن له خمس سنوات أظن اللفظ "طا" ما قالها، لفظ "طا" مو الطالق، لفظ "طا" لم يقله خمس سنوات وهم في راحة.

في مثل هذه المسائل لما تحال على الكبار، تحال على المفتي العام، فيها كذلك تربية للناس الذين تساهلوا في إطلاق مثل هذه الأمور، لا يتساهلوا في إطلاق مثل هذه الأمور.

فأقول: دائمًا هناك فرقٌ بين الفتوى، وفقه الفتوى، بين الفتوى وفقه الفتوى، فهنا هذا الراهب وكثيرٌ من أهل العلم رجحوا أنه كان جاهلًا، لذلك قالوا من الفوائد وهذا فيه فائدة فضل العلم على العبادة، فكما ذكرت لكم أن الناس اغتروا بماذا؟ فيما يظهر لهم أنه عنده شيء.

قال: «فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ»، الناس حتى عندنا الآن لو سألته عن طالب علم، عن عالم قد يرشدك إلى من؟ إلى من يلقي كلمة في محراب، من يلقي خطبةً وهو ليس عنده من العلم ماذا؟ كما فعله هؤلاء.

«فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ العلم، فهلك وأهلكه»، كما قال نبينا -صلى الله عليه وسلم-: «قَتَلَهُمْ اللَّهُ، فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ » السؤال، «ألا سَأَلُوا»، فقد يؤدي الجهل إلى القتل، وأن يقتل الإنسان نفسه.

هذا الحديث في أصله صحيح، بعض الروايات فيها ضعف، لكن هذا السياق صحيح، دعا النبي -صلى الله عليه وسلم- على هؤلاء، «قَتَلَهُمْ اللَّهُ»، وهذا الدعاء ليس على بابه، كما قال الشاعر:

أَلاَ تَـــــرَى لِلعَــــــرَبِ ... تَقُـــولُ عِنْـــدَ العَجَـــبِ

قَاتَلَــــــــــــهُ اللهُ وَلاَ ... تَقُـــولُ ذَاكَ عَـــنْ قِـــلَى

قاتلهم الله، طربت يداه رغم انف أمريء، إنما لم يريدوا ماذا؟ أصل المعنى.

أَلاَ تَــــرَى لِلعَـــرَبِ | تَقُــولُ عِنْــدَ العَجَــبِ
قَاتَلَـــــهُ اللهُ وَلاَ | تَقُــولُ ذَاكَ عَــنْ قِــلَى

يعني عن غضب.

فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ.

هلك وأهلك هذا المفتي، هلك هو ذهب، وأهلك هذا المستفتي؛ لأنه كمل به المائة، «فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً »، نعم.

فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ،

نعم حقيقةً عالم، حقيقةً ليس بالظاهر فقط.

فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ.

فكأنه أنه يكون من التائبين أن ينتقل، فلما قال ابن عيينة -رحمه الله- أن التوبة خاصة في أمة محمد، لا يكون هذا الحديث فيه اعتراض على هذا القول، وقال به القاضي عياض.

جاء عن السلف، وعن ابن مسعود، وعن غيره أنهم كانوا إذا جاءت فيها بعض الأحاديث والآثار، أنه كان يكتب على باب بيته أنه كذا وكذا، وأنه كذلك جاء أن توبته ماذا؟ أن يقتل كذلك هؤلاء أن ينتقلا، لكن من رحمة الله علينا، ماذا؟ أنه لو تاب، تاب الله عليه.

ولكن يستحب له أن ينتقل ويباعد ماذا؟ مواطن الريب، ما يكون مع جماعة بطالين، ويعني يكون في استراحات، أذهب إلى استراحة، والاستراحة هذه جماعة بطالين يشربون الخمور والمسكرات، ويقول: أنا تائب، ثم هو يتردد عليهم.

فإن ذلك سيدخلهم مرةً أخرى في المعصية، فأهل العلم يقول ماذا؟ أنتقل، أبتعد عن مثل هذه المواطن، وعن مثل هذه المجالس.

وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللهِ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: فإِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ.

فملائكة الرحمة عرفوا ذلك وأنه جاء تائبًا بقلبه، وملائكة العذاب لم يعرفوا ذلك فنظروا إلى العمل عمل الجوارح، فنعم.

فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ "، قَالَ قَتَادَةُ: فَقَالَ الْحَسَنُ ذُكِرَ لَنَا، أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ الْمَوْتُ نَأَى بِصَدْرِهِ.(١)

والعلماء كما تعرفون وهو قول الجماهير: أن توبة القاتل ماذا؟ توبة، وهنا في رواية عن أحمد: أن ليس له توبة وهو قول من؟ ثابت عن ابن عباس، هو قول ابن عباس –رضي الله تعالى عنه وأرضاه– لما جاء في من قول سعيد بن الجبير

---

(١) صحيح مسلم (٢٧٦٦).

قال: قلت لابن عباس: (هَل لِمَنْ قَتَل مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا مِنْ تَوْبَةٍ ؟ فَقَال: لاَ وقرأت عليه الآْيَةَ التي في الفرقان) الآية التي في الفرقان؟

التي فيها: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾[الفرقان:٦٨] إلى أن قال: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾[الفرقان:٧٠] وذكر فيها ﴿وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾[الفرقان:٦٨]

فهنا قال ابن عباس: هذه آية مكية نسختها آيةُ مدنية، هذه آية مكية نسختها آيةٌ مدنية في قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾[النساء:٩٣] فكان هذا مذهب ابن عباس، وقد رواه في صحيح البخاري، والنسائي، والسياق للنسائي.

لكن هل رجع ابن عباس؟ هذا مذهب آخر، هذه مسألة أخرى، والصحيح أن ابن عباس قد رجع، الصحيح أن ابن عباس قد رجع كما روى ذلك البخاري في هذا المفرد عن عطاء ابن عباس –رضي الله عنهما-: أَنَّهُ أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنِّي خَطَبْتُ امْرَأَةً، فَأَبَتْ أَنْ تَنْكِحَنِي، وَخَطَبَهَا غَيْرِي، فَأَحَبَّتْ أَنْ تَنْكِحَهُ، فَغِرْتُ عَلَيْهَا فَقَتَلْتُهَا، فَهَلْ لِي.

هذه الغيرة محمودة أو مذمومة؟ مذمومة، قال: فَقَتَلْتُهَا، فَهَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟

قَالَ: أُمُّكَ حَيَّةٌ؟ قال ابن عباس: أُمُّكَ حَيَّةٌ، قَالَ: لَا، قَالَ: تُبْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَقَرَّبْ إِلَيْهِ مَا اسْتَطَعْتَ. فَذَهَبْتُ فَسَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ: لِمَ سَأَلْتَهُ عَنْ حَيَاةِ أُمِّهِ؟ فَقَالَ: إِنِّي لَا أَعْلَمُ عَمَلًا أَقْرَبَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ بِرِّ الْوَالِدَةِ.

وقد جاء عن أحمد إن بر الوالدين يكفران الذنوب، إن بر الوالدين يكفران الذنوب.

فالصحيح: هذا ابن عباس قد رجع وقد ذهب إلى ذلك كثيرٌ من أهل العلم ومنهم الشيخ الألباني –رحمه الله– وبعض أهل العلم قال: "هذا ابن عباس كان يفتي من يظن أنه سيقتل بعذاب التوبة، ويفتي من قتل بالتوبة"، هذا من فقه الفتوى، قد ذكر ذلك الصنعاني –رحمه الله– في كتاب التنوير.

قيل: أنه كان يفتي من يظن أنه سيقتل بعدم التوبة، ويفتي من قتل بالتوبة لكن هذا يحتاج إلى إسناد.

ابن القيم –رحمه الله– له كلام في هذا الباب، لكن نخشى أن نطيل، قال: والتحقيق في هذه المسألة أن القتل يتعلق به ثلاثة حقوق:-

- **حقٌ لله.**
- **وحق للمقتول.**
- وحقٌ للولي.

فإذا سلم القاتل نفسه طوعًا واختيارًا، إذا الولي وندم على ما فعله وخوفه من الله عز وجل وتوبة نصوحة سقط حق الله بالتوبة، وحق الولي بالاستيفاء أو العفو، عندنا حق لمن؟ حقٌ لله، وحق للولي، وحقٌ للمقتول.

فإذا سلم نفسه وقد تاب، قد رجع إلى الله سقط حق الله بالتوبة، وسقط حق الولي بالاستيفاء أو إما بالقصاص أو العفو.

قال ابن القيم: **وبقي حق المقتول، قال يعوضه الله سبحانه يوم القيامة عن عبده التائب المحسن، ويصلح بينه وبين المقتول ولا يذهب ولا يبطل حق هذا ولا يذهب دمه هدر.**

كذلك قد ذكر شيئًا من هذا الحافظ ابن حجر –رحمه الله– أيضًا، لكن جاءنا حديث: «أبى الله أن يجعل لقاتل مؤمن توبة»[1] فما الجواب؟

الشيخ ناصر –رحمه الله– في الفتاوى الإماراتية سئل عن هذا الحديث، فقال –رحمه الله– الجواب: نصف العلم، لا أدري، قال –رحمه الله– الجواب على هذا، كيف؟ قال يعني من سئل –رحمه الله– ما هو التفسير؟ التفسير لهذا الحديث بما لا يتعارض مع المعلوم أن الله يتوب على الكافر إذا أسلم، فهل قتل المؤمن أشنع من الكفرِ؟

فقال الشيخ –رحمه الله– في الفتاوى الإماراتية: نصف العلم لا أدري، وهذا من فضله –رحمه الله–.

بحثت عن الجواب، عن جواب أهل العلم إن هذا الحديث هو من أحاديث الجامع حققه الشيخ ناصر في صحيح الجامع، قال المناوي –رحمه الله–: أي إن أستحل «أبى الله أن يجعل لقاتل مؤمن توبة» قال إن أستحل أو هو زجرٌ وتهويل، أو هو زجرُ وتهويل.

(١) في "السلسلة الصحيحة" (٢/٣٠٩).

"باب يجعل الله لكل مسلم فداء من النار من الكفار"

■ حدثنا محمد بن بشار حدثنا بن أبي عدي حدثنا شعبة عن قتادة بهذا الإسناد نحو حديث معاذ بن معاذ وزاد فيه فأوحى الله إلى هذه أن تباعدي وإلى هذه أن تقربي.

الشرح

وعدناكم ولا وعيد؟ وعيد أم وعيد، إذا وعد لا بد للإنسان يفي بوعده، وإذا وعيد، فإن الوعيد قد تخلف، لكني إلى الآن وعد.

■ قال حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال حدثنا عفان بن مسلم، قال حدثنا همام، قال حدثنا قتادة، أو عونًا وسعيد بن أبي بردة حدثاه أنهما شهدا أبا بردة يحدث عمر بن عبد العزيز عن أبيه عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله تعالى مكانه النار يهوديًا أو نصرانيا»[1].

الشرح

اذهب لآخر الحديث من الباب.

(١) صحيح مسلم (٢٧٦٧).

■ قال: حدثنا محمد بن عمرو بن عبّاد بن جبلة عن أبي رواد، قال حدثنا حرمي بن عمارة، قال حدثنا شداد أبو طلحة الراسبي عن غيلان بن جرير، عن أبي بردة، عن أبيه ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: «يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال فيغفرها الله لهم، ويضعها على اليهود والنصارى، فيما أحسب». قال أبو روح لا أدري ممن الشك، قال أبو بردة فحدثت به عمر بن عبد العزيز، فقال أبوك حدثك هذا عن النبي ﷺ؟ قلت: نعم.

الشرح

هذه الأحاديث فيها رجاء، فيها بشارة لأهل الإسلام، أنه إذا كان يوم القيامة دفع الله عز وجل إلى كل مسلم يهوديًا أو نصرانيًا، فيقول هذا فكاك من النار، يعني هذا فداؤك، هذا الخلاص والفداء.

ومعنى هذا الحديث ما جاء في حديث أبي هريرة، لكل أحد منزل في الجنة ومنزل في النار، فالمؤمن إذا دخل الجنة خلفه الكافر في النار لاستحقاقه ذلك بكفره، هذا واضح من الحديث، لكن آخر رواية لما قال: يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال فيغفرها الله لهم، ويضعها على اليهود والنصارى.

ما الجواب؟ ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ ذكر الله رحمهم الله احتمالات:-

الاحتمال الأول: معناه أن الله تعالى يغفر تلك الذنوب للمسلمين، ويسقطها عنهم، ويضع على اليهود والنصارى مثلها، بكفرهم وذنوبهم، فيدخلهم النار بأعمالهم أو بذنوب المسلمين؟ بأعمالهم.

قال أهل العلم لا بد من هذا التأويل لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾.

الاحتمال الثاني: أن يكون المراد آثامًا كان الكفار سببًا فيها، بأن سنوها، سنوا هذه الآثام فتسقط عن المسلمين، يعني سنّ كافرًا سنة سيئة، وتابعه فيها مسلم، قال الاحتمال الثاني أن يكون المراد آثامًا كان الكفار سببًا فيها بأن سنوها فتسقط عن المسلمين بعفو الله تعالى، وتوضع على الكفار مثلها لكونهم قد سنوا ذلك، ومن سنّ سنة سيئة كان عليه مثل وزر كل من يعمل بها، فليس هناك معارضة.

الاحتمال الثالث: قال بعض أهل العلم أن معنى ذلك أن الله يزيدهم عذابًا فوق العذاب بما كانوا يفسدون، ويخصهم بالعذاب على سوء أفعالهم دون المؤمنين.

هناك كافر، وهناك كافر يصد عن سبيل الله، هناك كافر، وهناك كافر يذبّح المسلمين، قال الله سبحانه وتعالى، لذلك قال أهل العلم: حتى الكفر العقوبات كذلك تكون على الكفر وعلى الكفر، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ

يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقا * إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرًا ﴾ .

قال القرطبي -رحمه الله-: لأنهم كفروا، ومع ذلك منعوا الناس عن الإسلام، فهذا هو أشد عقوبة.

وهذا الحديث قد قال فيه الشافعي -رحمه الله-: أرجى حديث للمسلمين، كذلك قال هذا عمر بن عبد العزيز، أرجى حديث للمسلمين كما جاء في هذا الحديث إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهوديًا أو نصرانيًا، قال هذا فكاكك من النار.

"باب في النجوى وتقرير العبد بذنوبه".

■ **قال حدثنا زهير بن حرب، قال حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن هشام الدستوائي، عن قتادة عن صفوان بن محرز، قال: قال: رجل لابن عمر رضي الله عنه.**

الشرح

هذا الحديث واضح، وفيه ستر الله سبحانه وتعالى على المذنبين، وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلاق، هؤلاء الذين كذبوا على الله، أما أهل الإيمان فمن رحمة الله بهم أن الله سترهم.

"باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه"

■ **قال حدثنا أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن سرح مولى بني أمية، قال أخبرني ابن وهب، قال أخبرني يونس عن ابن شهاب أنه قال: ثم غزا رسول الله ﷺ غزوة تبوك، وهو يريد الروم ونصارى العرب بالشام، قال ابن شهاب: فأخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك، أن عبد الله بن كعب وكان قائد كعب من بنيه حين عمي، قال سمعت كعب بن مالك رضي الله عنه يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، قال كعب بن مالك لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها قط إلا في غزوة تبوك، غير أني قد تخلفت في غزوة بدر**[1].

أي: في غزوة تبوك، وغزوة بدر، سبب تخلفه في غزوة بدر سوف يأتينا.

ولم يعاتب أحدًا تخلف عنه.

في غزوة بدر لما؟ السبب؟

قال إنما خرج رسول الله ﷺ والمسلمون يريدون عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد.

على غير ميعاد، ذلك كان تخلفه رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين توافقنا على الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهد بدر وإن كانت بدر أذكر في النار منها، وكان من خبري حين

(١) صحيح مسلم (٢٧٦٩).

تخلفت عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر. مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة.

لقد توفرت فيه الشروط أن مثله يكون مع رسول الله -صلوات ربي وسلامه عليه-.

وكان أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني.

والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتها في هذه الغزوة.

عنده كم راحلة؟

فغزاها رسول الله ﷺ في حر شديد واستقبل سفرًا بعيدًا.

يعني من المدينة إلى تبوك مسافة بعيدة وحر شديد، واستقبل عدوًا كثيرًا.

فجل للمسلمين أمرهم.

يعني: قال لهم السفر العادة نبينا يوري، كما ستأتي في الروايات التي بعد هذا، لكن هذا الأمر لبعد المسافة ولأن العدو الذي سيلقاهم عدوًا كثير العدد، جل لهم الأمر.

ليتأهبوا أهبة غزوهم، فأخبرهم بوجههم الذي يريد والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير، ولا يجمع كتاب حافظ يريد بذلك الديوان.

يعني لا يجمع أسمائهم.

قال كعب: فقل رجل يريد أن يتغيب يظن أن ذلك سيخفى لهم ما لم ينزل فيه وحي من الله ﷻ.

لعدم وجود الديوان، سينزل فيه وحي، المسلمون كثير، وليس هناك كتاب جمع، ديوان جمع أسمائهم، فلو حصل تخلف سينزل فيه وحي.

وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال، فأنا إليها أسعر، فتجهز رسول الله ﷺ والمسلمون معه، وطفقت أغدوا لكي أتجهز معهم.

يعني: كان عنده نية التجهز.

فأرجع ولم أقضي شيئًا، وأقول في نفسي أنا قدر على ذلك.

لذلك أخذ العلماء -رحمهم الله- أن الإنسان لا يسوف، فقد يفوته مع التسويف الخير الكثير، لذلك قال السلف: إياك والتسويف فإنه من خطوات الشيطان.

بعد قليل أقوم الصلاة، بعد شوي أقوم من النوم، بعد كذا أفعل، حتى يخرج الإمام من الصلاة، لم يدرك ركعة أو ركعتين، أو قد يكون عياذًا بالله عن الصلاة، لكن المسلم يكون حازمًا في أمره.

فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى استمر بالناس الجد، فأصبح رسول الله ﷺ غاديًا والمسلمون معه.

يعني: ذهب إلى الغزوة في طريقة، لم أقضٍ من جهازي شيئًا.

ثم غدوت فرجت ولم أقضي شيئًا، فلم يزل ذلك يتمادى بي، حتى أسرعوا وتفارط الغزو.

يعني تأخر وقته، تفارط الغزو، تأخر وقته، وفات على من أراده، فهممت حتى مع هذا.

فهممت أن أرتحل فأدركهم فيا ليتني فعلت.

لما؟ سوف نسمع من قصة كعب ومن معه في توبته وما حصل معه رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

ثم لم يقدر ذلك لي، فطفقت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ، يحزنني أني لا أرى لي أسوة.

يعني: لما خرج الناس وخرج الصحابة وخرج من خرج مع رسول الله ﷺ يحزني أمر في المدينة ما هو هذا الأمر.

إلا رجلًا مغموصًا عليه في النفاق.

هو الذي تخلف في المدينة.

أو رجلًا ممن عذر الله من الضعفاء.

هذا الذي أحزن كعب، رضي الله تعالى عنه وأرضاه، مع كان حريصًا رضي الله عنه وأرضاه، ثم لم يقدر ذلك لي، كما قال كعب رضي الله تعالى عنه وأرضاه. ولم يذكرني حتى بلغ تبوك. يعني نبينا ﷺ لم يذكر كعبًا حتى بلغ تبوك، طيب وهو جالس في القوم بتبوك ماذا قال.

فقال وهو جالس في القوم بتبوك ما فعل كعب بن مالك؟

ما فعل كعب بن مالك لما لم يأت معنا، لما تأخر؟ قال: من حرصه ﷺ على صحابته؛ لأنه يتتبع أخبارهم، لعله مريض، لعله كذا، وبعضنا يكون الجار الباب بالباب، ويغيب الأيام والشهور ولا يسأل عن جاره.

هذا ليس على هدي رسول الله ﷺ، وصل إلى تبوك ويسأل عن كعب. قال رجل من بني سلمة يا رسول الله حبسه برداه والنظر في عطفيه. أراد الكلام فيه، حبسه أنه ينظر في عطفيه ما يكون في رداه على منكبيه، أراد الحط من قدر كعب.

لكن هل تركه الصحابة، هو صحابي، هل تركه؟ لا. الذب عن الناس وهذا الأمر عند الناس قليل، يسمع أخوه، وحبيبه في ذات الله سبحانه وتعالى، ثم يحضر مجلس آخر يقول جبنت عن الكلام، سبحان ربي تصاحبني وتأكل معي وتشرب معي وتذهب معي وتروح معي، ثم تنتقل بعد ربع ساعة إلى مجلس يتكلمون في، ولا يتمعر أو ترد عن عرض أخيك، وأنت تعرف أن كلامهم ليس بصحيح، ماذا فعل معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

فقال لهم معاذ بن جبل ﷺ: بئس ما قلت. بئس ما قلت، ذبّ عن عرض أخيه الغائب، رضي الله تعالى عنهم أجمعين، وكل معذور، رضي الله تعالى عنهم أجمعين، والله يا رسول الله، حلف وأقسم.

وهذا المنبغي علينا يا إخواني مع إخواننا أن نكون أقوياء في الذب عن أعراضهم، أن تكلم في أحد بكلام ليس هو فيه أن يذب عن عرض أخيه، كذلك

من باب أولى أن يذب عن أعراض العلماء، وأعراض ولاة الأمور، ولا يترك الأمر عند الناس يتكلمون بما شاءوا.

قال: بئس ما قلت والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرًا.

والله يا رسول الله ما علمنا عليه خيرًا، فسكت رسول الله ﷺ، لم يجب رسول الله ﷺ، فسكت. فبينما هو على ذلك رأى رجل مبيض يزول به السراب، يعني يتحرك وينهض، السراب ما يرى، وليس هو في الحقيقة ماء.

فقال رسول الله ﷺ: «كن أبا خيثمة»، يعني أن صاحب هذا الأمر من هو؟ أبو خيثمة، فإذا هو أبو خيثمة الأنصاري، يعني أدرك رسول الله ﷺ في هذه الغزوة، وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لمزه المنافقون، وهذا هو حال المنافقين، اللمز، هذا قليل، هذا كثير، تصدق بصاع تمر فلمزه المنافقون، المنافقون أي هم، وهو مع رسول الله ﷺ يجاهد لإعلاء كلمة التوحيد.

فقال كعب بن مالك ﷺ: فلما بلغني أن رسول الله ﷺ قد توجه قافلًا من تبوك، حضرني بثي. حضرني بثي يعني أشد الحزن، بثي يعني أشد الحزن. فطفت أتذكر الكذب وأقول، بما أخرج من سخطي غدًا.

أتذكر الكذب يعني لو أني كذبت، حصل أني أكذب لأخرج من سخط رسول الله ﷺ وأستعين على ذلك كل ذي رأي من أهلي، يعني يطلب المشورة والرأي من أهله، من قراباته، من كذا، شوروا عليّ ماذا أقول، شوروا عليّ ماذا أفعل؟ ماذا يكون مني؟

فلما قيل إن رسول الله ﷺ قد أظل قادما زاح عني الباطل.

زاح عندي الباطل أني أكذب والصدق منجاة، قال لما قيل إن رسول الله ﷺ قد أظل قادمًا زاح عني الباطل الذي جاءني قبل قليل من الوساوس.

حتى عرفت أني لن أنجو منه بشيء أبدًا.

لأنه لو قال شيء سينزل فيه وحي، لن أنجو إلا بالصدق، والصدق منجاة.

فأجمعت صدقه، يعني قررت وأجمعت أمري أني أكون صادقًا، وصبّح رسول الله ﷺ قادمًا، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد.

وصبح أن السنة أن يدخل نهارًا، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين، وهذا فيه استحباب هاتين الركعتين، ثم جلس للناس.

ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون، فطفقوا.

يعني جاءه الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، فأخذوا يعتذرون ويحلفون له، وكانوا كم؟

وكانوا بضعة وثمانين رجلًا، فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم.

يعني قبل منهم ما تقدموا به وقبل منهم علانيتهم، وبايعهم واستغفر لهم، ووكل سرائهم إلى الله سبحانه وتعالى، وهذا هو الذي عليه العالم، وهذا يكفيه لنا فائدة أنك لك بظواهر الناس وتكل سرائرهم إلى من؟ إلى الله سبحانه وتعالى.

حتى جئت. حتى جاء كعب، ولكعب قصة. فقال فلما سلمت؟ على من؟ على رسول الله ﷺ.

فلما سلمت تَبَسمَ تبسمُ المغضب، لما لم تكن معنا يا كعب، لم يتكلم لكن كعب رضي الله تعالى عنه تغير الحال من حبيبه عرف أنه مغضبًا، كما تغير حال رسول الله ﷺ مع عائشة، سوف يأتينا هذا في قصة عائشة.

تبسم إليّ تبسم المغضب. ثم قال تعال، فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي ما خلفك ألم تكن قد ابتعت ظهرك.

يذكر له ألم تكن كذا، ما خلفك، ليس لك عذر، ما خلفك؟

قال: قلت يا رسول الله إني والله لو جلست.

صادق كعب، قال والله نعم، يحلف بالله.

والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر.

لكن عند رسول الله ﷺ لا، يأتيه الوحي، وهو صادق، ثم قال ولقد أعطيت جدلًا في المجادلة والجدال قد أنتصر، إن ترك ذلك لله سبحانه وتعالى لأن ما عند الله خير وأبقى، وهذا يا إخواني درس لنا جميعًا، قد تؤتى جدلًا، لكن تعرف من نفسك أنك صاحب باطل فتنجو ولكن قد تحاسب على هذا الأمر الذي قد فعلته، فالصدق منجاة.

ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك عليّ ولئن حدثتك حديث صدق.

يعني: يعلمك الله بالله، ولئن حدثتك حديث صدق تجدي عليّ فيه، لكن أنا صادق.

إني لأرجو فيه عقبى الله.

لأن العاقبة لمن اتقى.

والله ما كان لي عذر يا رسول الله، والله ما كنت قط.

والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك، قال رسول الله ﷺ أما هذا فقد صدق.

أما هذا فقد صدق، يعني الذين قد جاءوا أوكل إلى الله سرائرهم، قال أما هذا فقد صدق، انظر إلى هذه القصة العظيمة من كعب رضي الله عنه.

أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك، فقمت وسار رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي والله ما علمناك أذنبت ذنبًا قبل هذا لقد عجزت في أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ.

يعني جاءه ناس فقالوا له لو اعتذرت كما اعتذر الذين قبلك، بما اعتذر به إليه المخلفون، لو اعتذرت كما اعتذر المخلفون قبلك.

فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه.

لأن نبينا قال: وبايعهم واستغفر لهم، فكان يكفيك أن يستغفر لك، لكنك كعبًا رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

قال: فوالله ما زالوا يؤنبوني حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله ﷺ.

وهـذا يحصـل يـا إخـواني حتـى في زماننـا لـو قلـت كـذا نجـوت، يكلمـوك يكلموك، وهذا قد يكون فيه أن الإنسان لا يستمع إلى من يدله إلى غير مرضاة الله ﷻ، أو إلى أمر يجد أن ليس فيه فسحة أو سعة، قالوا ما زالوا حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله فأكذب نفسي.

قال ثم قلت لهم، ثم تفكر نجاه الله بأمر آخر، فقال ثم قلت لهم هل لقي هذا معي من أحد هذا الأمر، قالوا نعم، لقيه معك رجلان، قالا مثلما قلت، صدقًا، وقيل لهما مثل ما قيل لك.

قلـت مـن همـا، قـالوا مـرارة بـن ربيعـة العـامري، وهـلال بـن أميـة الـواقفي، فهؤلاء الثلاثة الذين خلفوا، قال: فذكروا لي رجلين صالحين، قد شهدا بدرًا فيهما أسوة، فتأسى بهما، ولا يتأسى بالآخرين، وهذا فيه فضل الأسوة الحسنة.

قـال: فمضـيت حـين ذكروهمـا لي، قـال: ونهـى رسـول الله ﷺ المسـلمين عـن كلامنا.

وهذا أصل في الهجر، هذا الحديث أصل في الهجر، قال ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا، وامتثل الصحابة ذلك، كما جاء في الرواية.

عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه، قال فاجتنبنا الناس، هذا امتثال منهم، من صحابة رسول الله -صلوات ربي وسلامه عليه-، سمعنا وأطعنا.

وقال: تغيروا لنا حتى نكرت لي في نفسي الأرض فما هي بالأرض التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، وهذا فيه دليل على أن الهجر يكون أكثر من ثلاثة أيام إذا كان من أهل الدين.

وقد أجمع على ذلك أهل العلم، وبعض الناس أصلحهم الله يقولون إن قصة كعب حادثة عين لا يقاس عليها، وليس لها مفهوم، نقول لا إنما حادثة كعب حادثة تشريع الأمة، بعض الناس من المعاصرين الذين ضلوا في هذا الباب، ممن قالوا حتى مع أهل البدع والأهواء لا هجران فوق ثلاث فلما اعترض عليهم بحديث قصة كعب قالوا قصة كعب حادثة عين، وهذا باطل؛ لأن أهل السنة أجمعوا على ذلك على أن أهل البدع يهجرون حتى يتوبون.

فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان.

يعني جلسا واستقرا في بيوتهما يبكيان، يرجون ما عند الله ويخافون عذابه مما حصل من هذا الهجر وهذا البعد عن الناس، وخشى كل منهما عقاب الله سبحانه وتعالى.

وأما أنا فقد أشب القوم، شباب قوي في نفسي.

وأما أنا فقد أشب القوم وأجلدهم، فكنت أخرج فأشهد الصلاة وأطوف في الأسواق، ولا يكلمني أحد، إتباعًا لرسول الله -صلوات ربي وسلامه عليه-، وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام أم لا.

أنه قد يكون هناك من رد السلام، أو رده الرسول ﷺ سرًا، ثم أصلي قريبًا منه وأسارقه النظر.

قال الفقهاء -رحمهم الله-: وفي هذا جواز الالتفات الخفيف بالنظر الصلاة، وأن ذلك غير مفسد لها، وأسارقه النظر، أنظر إليه، قال الفقهاء رحمهم الله وفي هذا جواز الالتفات الخفيف بالنظر في الصلاة وأن ذلك غير مفسد لها.

وإذا أقبلت على صلاتي نظر إليّ، وإذا التفت نحوه أعرض عني، حتى إذا طال ذلك علي من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت جدار حائط أبا قتادة، وهو ابن عمي وأحب الناس إليّ.

وتسور الحائط من كعب فيه جواز مثل ذلك لكن بشرط: أن يكون بينهما ألفة وكذلك ألا يكون هناك عورات، فتسور الحائط، لم يأتي الحائط من بابه، قال: تسورت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي، وأحب الناس إليّ، هذا دليل على أن بينهما ألفة، وبينهما رفع للكلفة، هذا الشرط الأول، والثاني أن لا تكون هناك عورات، فسلمت عليه.

فسلمت عليه، فوالله ما ردّ عليّ السلام، فقلت له يا أبا قتادة أنشدك بالله، هل تعلمني أني أحب الله ورسوله، قال فسكت، فقعدت فنشادته فسكت، فقعدت فنشادته، فقال الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناي، وتوليت.

تائب، كان تائبًا رضي الله تعالى عنه، فقال الله ورسوله أعلم يقول ذلك أبو قتادة، لعله لم يكن أراد إسماعه، فيكون مكلمًا لنفسه، لأن النبي ﷺ نهاهم عن

ذلك، قال الله ورسوله أعلم، فلم يرد إسماعه، لكن أراد أن يكون نفسه، قال كعب ففاضت عيناي.

وتوليت حتى تسورت الجدار فبينما أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من نبط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب بن مالك، قال فطفق الناس.

يعني: الذين هم على غير الإسلام، كحال الناس الآن يريد من كان أن يلحق بهم، فقال فطفق الناس يشيرون له إليّ حتى جاءني فدفع إلي كتابًا.

فدفع إليّ كتابًا من ملك غسان وكنت كاتبًا فقرأته، فإذا فيه، وأما بعد، فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك.

من صاحبه؟ رسول الله ﷺ قد جفاك، هؤلاء هم أعداء الإسلام يتحينون مثل هذه الفرص، ولكن فلنكن مثل ما كان كعب، رضي الله تعالى عنه وأرضاه، الناس انفضوا من حوله، لا أحد يكلمه لا أحد كذا، حتى نبينا -صلوات ربي وسلامه عليه-، قال له أما بعد فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك.

ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، يعني يزين له ما الحق بنا.

فالحق بنا نواسك قال فقلت حين قرأتها وهذا أيضًا من البلاء.

وهذا أيضًا من البلاء، يعني: كل هذا وكل هذا من البلاء، لكن صبر رضي الله تعالى عنه وأرضاه عن البلاء ابتغاء ما عند الله سبحانه وتعالى، بعض الناس يضيق عليه في رزقه بلاد المسلمين ينتقل إلى بلاد الكفار، ولا يصبر على البلاء،

ويذهب هناك من غير حاجة قد يشتغل في دورات المياه وقد يهينه الكفار، وقد يترك الصلوات، والله تأتينا الأسئلة، يريدون أن يصلوا العصر. والمغرب والعشاء مع بعض، بس السؤال عندهم هل أصليها اليوم أو أصليها العصر. مع العصر، المغرب مع المغرب، لما؟ قال من أجل العمل.

هؤلاء الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم يأتيه خطاب ملك ليست تأشيرة، ويعمل هناك مهانًا، قال لا نواسيك، فقال هذا أيضًا من البلاء، ماذا فعل؟

فتيممت بها التنور.

يعني: قصدت بها ورميتها في التنور، حتى يقطع كل العلائق ولا ينظر إليها مرة أخرى فيحصل عنده شيء من الضعف فيميل إلى مثل هذا الكتاب، جعله في التنور، لقوته وحزمه رضي الله تعالى عنه وأرضاه، وأخذ أهل العلم رحمهم الله من ذلك جواز حرق ما فيه ذكر الله سبحانه وتعالى، لأن في قوله ألم يجعلك الله بدار هوان، وهذا فيه ذكر الله، أخذوا العلم من ذلك في جواز حرق ما فيه شيء من ذكر الله، لذلك أحرق عثمان ﵁ باقي المصاحف.

فسجرت بها حتى إذا مضت أربعون من الخمسين واستلبث الوحي إلى رسول الله ﷺ يأتيني.

يعني بعد أربعين يومًا، واستلبث الوحي، استبطأ الوحي ما نزل شيء إذ رسول الله ﷺ يأتيني، أرسله رسول الله ﷺ.

فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك.

وهذا كذلك من البلاء، حتى في أهل بيته، أن تعتزل امرأتك، انظر إلى الإذعان لرسول الله -صلوات ربي وسلامه عليه-، قال ماذا؟ إيمان كالجبال عنهم ﷺ وأرضاه.

قال: فقلت أطلقها أم ماذا أفعل، أطلقها أم ماذا أفعل، ماذا يريد مني رسول الله -صلوات ربي وسلامه عليه-، وهو مذعن مستسلم لأوامر الشرع، ليس كحالنا، والله المسألة، ويمكن يكون والله أنا مضطر، أنا شاب قوي، فإذا تركت أهلي واعتزلت أهلي فقد أفعل كذا، ثم تأتي الأعذار لترك الشريعة، لكن لم يكن هكذا أصحاب رسول الله -صلوات ربي وسلامه عليه-.

قال لا بل اعتزلها، من غير طلاق، فلا تقربها، وهذا فيه أنه يستعار عن مسائل الجماع يكون فيها شيء من البعد، لذلك قال العلماء استحباب الكنايات في ألفاظ الاستمتاع بالنساء.

قال فأرسل إلى صاحبي بمثل ذلك.

كذلك أرسل إلى صاحبيه.

قال فقلت لامرأتي الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر.

خشي على نفسه، رضي الله تعالى عنه وأرضاه، أنه يخالف ويواقع أهله، قال الحقي بأهلك، كذلك هذا بعد عما يخشى الإنسان أن يقع فيه، ليس بعض الناس

يتوب ويبقي بعض المنكرات في بيته، فإن هذه مظنة الرجوع إليها، ماذا قال؟ قال الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر تسليم.

قال أهل العلم: وفي قوله ألحقي بأهلك فإن هذا اللفظ ليس طلاقًا، لأن الطلاق إما أن يكون ألفاظ صريحة أو يكون كنايات الطلاق، فإذا أراد ألحقي بأهلك طلاقًا؛ فإن هذا من ألفاظ الطلاق الصريحة أو الكنايات؟ الكنايات ويعرف أن هذا طلاقًا أو عدمًا بالنية، فهذا العلماء أخذوا من هذا اللفظ الحقي بأهلك أنه ليس من ألفاظ الطلاق الصريحة، وهي من ألفاظ الكنايات ولا بد أن يرجع فيها إلى نيته، الحقي بأهلك، أنت خلية، فإذا أراد بها الطلاق فهي تطلق، بل قال أهل العلم، فإن هذا يرجع فيه فأراد من ذلك أن تلحق بأهلها فهو معروف دون طلاق.

قال: فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ فقالت له يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ ضائع يعني ليس له خادم.

يعني كبير.

فهل تكره أن أخدمه.

وهذا فيه الترغيب في خدمة المرأة لزوجها، الصحيح أن ذلك راجع إلى العرف.

قال لا، ولكن لا يقربنك، فقالت إنه والله ما به حركة إلى شيء.

كذلك هذا استحباب للكنايات في ألفاظ الاستمتاع بالجماع، شيخ كبير.

والله ما زال يبكي.

والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا، فكل فهؤلاء الصحابة الثلاثة على هذا الحال.

قال: فقال لي بعض أهلي.

قال لي بعض أهلي قالوا لكعب لو استأذنت.

لو استأذنت رسول الله ﷺ في امرأتك.

أن تبقى معك كما بقيت مع هلال، فقد أذن لامرأة هلال بن أمية.

فغدا بنا لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه، قال فقلت لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ وما يدريني ماذا يقول رسول الله ﷺ.

قد يكون القول على خلاف ما قال لهلال.

وما يدريني ماذا يقول رسول الله ﷺ إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب، هذا فيه الورع والاحتياط، لمجانبة ما يخاف منه الوقوع في منهي عنه، أمره أن يبتعد عن زوجته، فيخشى لو وقع وهو شاب أن يواقع أهله.

قال فلبثت بذلك عشر ليال.

فكمل لنا خمسون ليلة، وهم على هذه الحال.

فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهي عن كلامنا، قال ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا، فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله عز وجل منا، قد ضاقت عليّ نفسي.

يعني ما جاء في آيات التي جاءت في قصة كعب.

وضاقت عليّ الأرض بما رحبت، وسمعت صوت صارخ، أوفى على سلع.

على سلع، هو جبل بالمدينة معروف، قريب نوعًا ما من المسجد النبوي، قال أوفى على سلع يقول بأعلى صوته.

يا كعب بن مالك أبشر.

فعرف أنها البشرى، عرف أنها التوبة، قال يا كعب بن مالك أبشر.، وهذا فيه دليل على جواز البشارة والتهنئة بين الناس، فيما يسر من أمور الدنيا الآخرة.

قال: فخررت.

لا تكونوا كصاحب الفيل، اتركوا الكأس والحليب، سوف يأتي أو لا يأتي خليكم معي.

ذكرنا قصة يحيى أقول لا تكونوا كأصحاب الفيل الذين ذهبوا وتركوا مالكًا.

قال فخررت ساجدًا.

فخررت ساجدًا وهذا فيه استحب سجود الشكر عند تجدد نعمة ظاهرة أو ذهاب بلية ظاهرة.

وعرفت أنه قد جاء فرج.

قال فهذا رسول الله ﷺ الناس بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا فذهب قِبل صاحبي مبشرون.

ذهب أناس يبشرون هلال وصاحبه، وركض رجل إليّ فرسًا وسعى ساع من أسلم.

من محبة الخير من الصحابة لإخوانهم يحبون الخير لإخوانهم يبشرونهم بالخيرات، يبشرونهم ما كان من رسول الله –صلوات ربي وسلامه عليه–، أن الله قد أنزل توبتهم محبة الخير لإخوانهم.

أفي الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس.

يعني: الذي كان على الجبل سبق، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني، يعني جاء الآخر صاحب الصوت فنزعت له ثوبي فكسوتها إياه ببشراه؟

هذا وقال أهل وفيه جواز إعطاء البشير مكافأة مثل ما يحصل الآن من يبشر بمولود، أو يبشر بمولودة فيعطي الذي قد بشره شيء من المكافأة على بشارته له، والله ما أملك غيرهما يومئذ يعني في ذاك الوقت.

فاستعرت ثوبين فلبستهما فانطلقت أتأمم رسول الله.

أتأمم يعني أقصد رسول الله.

رسول الله ﷺ يتلقاني رسول الله.

يعني وهو ذاهب إلى رسول الله ﷺ يتلقاه الناس فوجًا فوجًا يبشرونه، جماعة جماعة.

يتلقاني الناس فوجًا فوجًا يهنئوني بالتوبة، لتهنئك توبة الله عليك، حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله ﷺ جالس في المسجد حوله الناس، فقام طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني، والله ما قام رجل من المهاجرين غيره.

يعني: حفظ هذا المعروف، لطلحة، لما قام وصافحه وهنأه، قال والله ما قام رجل من المهاجرين غيره، قال فكان كعب لا ينساها لطلحة، فحفظ له وهذا المنبغي علينا يا إخواني ألا ننسى الفضل من الناس، هذا المنبغي علينا، بعض الناس ينسى، لكن هذا الذي عليه الصحابة الكرام والسلف، فقام طلحة بن عبيد الله إلى آخره، فكان كعب لا ينساها لطلحة، لا ينسى هذا الأمر له، وهذا الذي حصل منه رضي الله تعالى عنه وأرضاه مع كعب.

قال كعب: **فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال وهو يبرق وجهه من السرور.**

يحب كعبًا، ﷺ وفرح بما نزل لكعب رضي الله تعالى عنه وأرضاه، يبرق وجهه من السرور، ذلك من محبته ﷺ لصحابته.

ويقول أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك.

وهذا فيه أن التوبة يوم السرور يوم الفرح يوم السعادة، لذلك قال نبينا -صلوات ربي وسلامه عليه-، أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك، هذا فيه دليل على أن أسعد أيام العبد في يوم توبته، وفي يوم إقباله على الله سبحانه وتعالى.

قال: فقلت: أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله، فقال لا، بل من عند الله، وكان رسول الله ﷺ إذا سُر أستنار وجهه حتى كأن وجهه قطعة قمر.

لأنه يحبه، يحب أن يتوب الله على أصحابه، والتوبة محبوبة إلى الله وإلى رسول الله.

قال وكنا نعرف ذلك، قال فلما جلست بين يديه، قلت يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله، يعني عرض هذا على الرسول ﷺ.

وإلى رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ أمسك بعض مالك، فهو خير لك.

قال: فقلت: فإني أمسك بسهمي الذي بخيبر، قال وقلت.

يعني: لما قال أنخلع من مالي صدقة الله، هذا فيه أنه يشكر الله على هذه النعمة، وأن الله تاب عليه، وقد يكون من شكر النعم أن يتصدق الإنسان ببعض ماله، نجاه الله ﷻ من حادث، نجاه الله من كذا، فتصدق، هذا هو أصلها.

قال: وقلت: يا رسول الله إن الله إنما نجاني بالصدق، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقًا ما بقيت، قال فوالله ما علمت أن أحدًا من المسلمين أبلاه الله بصدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلاني الله، والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله ﷺ.

يعني قد جائني بعد ذلك بالآيات، وقد يكون المخرج فيها الكذب، لكن ما فعلت ذلك منذ قلت ذلك لرسول الله ﷺ.

وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقى قال فأنزل الله ﷻ: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ * وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا

حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[التوبة:١١٧-١١٨]. حتى بلغ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾[التوبة:١١٩].

قال كعب: والله ما أنعم الله على من نعمة قط بعد إذ هداني الله للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا[١].

الشرح

إذ أن الذنوب تُهلك. إلى آخر كلامه ﷺ ننتقل لحديث عائشة –رضي الله عنها– ونختم بها الدرس.

"بَاب فِي حَدِيثِ الْإِفْكِ وَقَبُولِ تَوْبَةِ الْقَاذِفِ"

■ حَدَّثَنَا حِبَّانُ بْنُ مُوسَى أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ أَخْبَرَنَا يُونُسُ بْنُ يَزِيدَ الْأَيْلِيُّ ح وَحَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَ ابْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا وَقَالَ الْآخَرَانِ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ وَالسِّيَاقُ حَدِيثُ مَعْمَرٍ مِنْ رِوَايَةِ عَبْدٍ وَابْنِ رَافِعٍ قَالَ يُونُسُ وَمَعْمَرٌ جَمِيعًا عَنْ الزُّهْرِيِّ أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ وَعَلْقَمَةُ بْنُ وَقَّاصٍ وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ

(١) صحيح مسلم (٢٧٦٩).

مَسْعُودٍ عَنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَالَ لَهَا أَهْلُ الْإِفْكِ.

الشرح

أهل الإفك يعني: أهل الكذب.

مَا قَالُوا فَبَرَّأَهَا اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكُلُّهُمْ حَدَّثَنِي طَائِفَةً مِنْ حَدِيثِهَا وَبَعْضُهُمْ كَانَ أَوْعَى لِحَدِيثِهَا مِنْ بَعْضٍ وَأَثْبَتَ اقْتِصَاصًا وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ الْحَدِيثَ الَّذِي حَدَّثَنِي وَبَعْضُ حَدِيثِهِمْ يُصَدِّقُ بَعْضًا ذَكَرُوا أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُ.

الشرح

وهذا فيه القرعة بين النساء لمن كان معددًا عند سفره، وأنه يخرج ببعضهن وذلك يكون بالقرعة؛ ولا يجوز أخذ بعضهن بغير قرعة، وهذا قول الجمهور.

جاء عن مالك برواية بالجواز، لكن الصحيح هو قول الجمهور؛ لأن ذلك لا يجوز خاصة عند التزاحم، لكن لو أن امرأة أذنت له فلا بأس. أو قسم بينهن سفرا لها وسفرًا للأخرى أو الثانية أو الثالثة أو الرابعة، هذا لا بأس به.

لكن في الأصل لو في موطن التزاحم أنه يحصل قرعة؛ مثل ما كان في الصف الأول وفي الندى لو حصل فيه مزاحمة فإنه يُقدم بماذا؟ بالقرعة.

قَالَتْ عَائِشَةُ فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِي فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَلِكَ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي وَأُنْزَلُ فِيهِ مَسِيرَنَا حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوِهِ وَقَفَلَ وَدَنَوْنَا مِنْ الْمَدِينَةِ آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ فَلَمَّا قَضَيْتُ مِنْ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحْلِ فَلَمَسْتُ صَدْرِي.[1]

الشرح

فلما ذهبت إلى حاجتها ولما رجعت للرحل، فلمست صدري.

فَإِذَا عِقْدِي مِنْ جَزْعِ ظَفَارِ.

يعني: من خرز يماني، ظفار هي قرية في اليمن آن ذلك.

قَدْ انْقَطَعَ فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يَرْحَلُونَ لِي فَحَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِيَ.

وذلك أنهم لم يكن يتكلمون إلا للحاجة، وإنهم غير محارم، فلا يتكلمون إلا عند الحاجة، فقالوا: هل يا صديقة يا بنت الصديق يا عائشة هل أنت في رحلك؟ لا. كانت عائشة خفيفة.

---

(١) صحيح مسلم (٢٧٧٠).

وهذا في الإنسان يعني: بعض السائقين يوصلون للمدارس وكذا، بعد الإيصال والراحة الجيدة صار راح لها البيت، تتكلم وصاروا يتكلمون. لا؛ يبقى الشرع شرع، نعم. هذا الذي كان عليه هؤلاء الأخيار.

الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ قَالَتْ وَكَانَتْ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يُهَبَّلْنَ وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ إِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلْقَةَ مِنْ الطَّعَامِ.

لم يثقلن باللحم والشحم، إنما يأكلن العلقة يعني: البُلغة الشيء القليل.

فَلَمْ يَسْتَنْكِرْ الْقَوْمُ ثِقَلَ الْهَوْدَجِ حِينَ رَحَلُوهُ وَرَفَعُوهُ

ذلك لأنها كانت خفيفة؛ رضي الله عنها وأرضاها.

وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ فَبَعَثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا وَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَ مَا اسْتَمَرَّ الْجَيْشُ فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيْسَ بِهَا دَاعٍ وَلَا مُجِيبٌ.

يعني: جاءت تنادي، وليس هناك داعٍ ولا مجيبٌ. لما رجعت إلى مكانهم الأول لما وجدت عقدها؛ بعد أن حصلت عقدها لم تجد القوم لا داعٍ ولا مجيب.

فَتَيَمَّمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ وَظَنَنْتُ أَنَّ الْقَوْمَ سَيَفْقِدُونِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنْزِلِي غَلَبَتْنِي عَيْنِي فَنِمْتُ.

يعني: قصدت المكان الذي كانوا فيه. وهذا لم يحصل لكونهم من عاداتهم أنهم يتكلمون. مع خفتها –رضي الله تعالى عنها وأرضاها– فيرجعون إليّ فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت، وقد كانت جارية حديثة السن، نامت عائشة.

وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ قَدْ عَرَّسَ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ.

يعني: عرس من وراء الجيش تعريس النزول آخر الليل في السفر بنوم أو باستراحة. يعني: كان من وراء الجيش عرس والجيش مشى إلى المدينة، ثم استيقظت؛ فأدلج يعني: سار في آخر الليل. وقد قال النبي ﷺ: «عليكم البدلجة؛ فإن الأرض تُطوى»[1].

وقد سألت شيخنا الشيخ عبد المحسن في عندما كنا نحضر له دروسنا في تبوك عام ١٤١٥ هـ؛ فقال: هذا الحديث على ظاهره «عليكم البدلجة؛ فإن الأرض تُطوى». فالأرض تُطوى بليل.

فَادَّلَجَ فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ

تأخر وهو يمشي. ثم وجد ماذا؟ جاء عند منزلي عند مكاني الذي نمت فيه، فرأى سواد إنسان نائم.

فَأَتَانِي فَعَرَفَنِي حِينَ رَآنِي.

لأنها لما نامت ما في أحد رفعت عن وجهها وهي جارية حديثة السن.

وَقَدْ كَانَ يَرَانِي قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ الْحِجَابُ عَلَيَّ فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي فَخَمَّرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي.

وهذا هو حالهم -رضي الله عنهم وأرضاهم- من الصيانة يسترجع، إنا لله وإنا إليه راجعون، أراد تنبيهها، لا كما يحدث الآن يهجمون على البيت هجوم، إذا

---

(١) أبو داود (٢٥٦٨).

جاء إلى مواطن الأصل قد يُخشى فيه أحد يطرق بابًا يسلم. فكان منه هذا الفعل حتى تنتبه، وهذا من صيانته ﷺ وأرضاه.

فخمرت وجهي بجلبابي، لعلها كشفت عن وجهها وقت نومها، فاسترجع حتى تنتبه، فقالت: خمرت وجهي. وهذا فيه دليل على أن الخمار يكون بتغطية الوجه، لقولها: قد خمرت وجهي.

وَ وَاللَّهِ مَا يُكَلِّمُنِي كَلِمَةً وَلَا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ حَتَّى أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ فَوَطِئَ عَلَى يَدِهَا فَرَكِبْتُهَا فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِيَ الرَّاحِلَةَ حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ بَعْدَ مَا نَزَلُوا مُوغِرِينَ.

مُوغرين؛ يعني: في شدة الحر.

فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ فِي شَأْنِي.

يعني: لما تكلموا فيها.

وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ.

يعني: الذي تولى كبره في هذا الأمر، المنافق عبد الله بن أبي سلول رأس النفاق.

فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَاشْتَكَيْتُ حِينَ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ شَهْرًا وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ.

يعني: يخوضون في قول هذا الإفك، وهي لم يبلغها شيء من ذلك. وهي لم تشعر بذلك -رضي الله عنها-.

انظر إلى معاملة رسول الله ﷺ لعائشة؟

وَلَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ يَرِيبُنِي فِي وَجَعِي أَنِّي لَا أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي.

كانت إذا اشتكت كان لطيفًا معها، رفيقًا معها، تغير الحال فرابني ذلك.

اشتكت شهرًا، يعني: مثل أن يكون الرجل مع زوجته إذا مرضت؛ قام بها وعالجها، وكان منها لطيفًا وحنونًا وكان منها رفيقًا إلى آخره.

فكان نبينا منها على هذا الحال إذا اشتكت، وكان يحبها، قد قيل له: من أحب الناس إليك يا رسول الله؟ قال: «عائشة»[1]. كما كان حاله، كان لطيفًا معي وقت مرضي إلا في هذه الحالة. ولا أرى اللطف منه حين اشتكي.

إِنَّمَا يَدْخُلُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُسَلِّمُ ثُمَّ يَقُولُ: «كَيْفَ تِيكُمْ؟» فَذَاكَ يَرِيبُنِي وَلَا أَشْعُرُ بِالشَّرِّ حَتَّى خَرَجْتُ بَعْدَ مَا نَقَهْتُ وَخَرَجَتْ مَعِي أُمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ الْمَنَاصِعِ وَهُوَ مُتَبَرَّزُنَا وَلَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ.

كيف تيكم؟ من تغيره على زوجته –رضي الله عنها– وذلك كله من عمل أهل النفاق، قاتلهم الله.

وذلك يريبني ولا أشعر بالشر، ما أحد بلغها، المجتمع النبوي مجتمع خير، ما جاء مثل ما يكون في زماننا، أن الناس يذهبون ويعودون ويرجعون ويعيدون، وما تركوها، صيانة لها ومحافظة لها ومحبة فيها. مع أن الناس يخوضون في الإفك.

---

(١) البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤).

حتى نقهت؛ يعني: شُفيت، قبل المناصع يعني: أماكن خارج المدينة لقضاء الحاجة.

وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنُفَ قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا وَأَمْرُنَا أَمْرُ الْعَرَبِ الْأُوَلِ فِي التَّنَزُّهِ وَكُنَّا نَتَأَذَّى بِالْكُنُفِ أَنْ نَتَّخِذَهَا عِنْدَ بُيُوتِنَا.

لما فيها، فكان أمرهم أمر العرب الأول يخرجون إلى أماكن بعيدة، لأن هذا كان أكثر بعدًا وتنزهًا.

فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ وَهِيَ بِنْتُ أَبِي رُهْمِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ وَأُمُّهَا ابْنَةُ صَخْرِ بْنِ عَامِرٍ خَالَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَابْنُهَا مِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ بْنِ عَبَّادِ بْنِ الْمُطَّلِبِ فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَبِنْتُ أَبِي رُهْمٍ قِبَلَ بَيْتِي حِينَ فَرَغْنَا مِنْ شَأْنِنَا فَعَثَرَتْ أُمُّ مِسْطَحٍ فِي مِرْطِهَا.

حصل لها شيء، فعثرت في مرطها؛ يعني: في كسائها، وهو كساء من صوف وقد يكون من غيره. فقالت أم مسطح: تعس مسطح.يعني: هلك، أو لزمه الشر.. لأن مسطح حصل منه شيء في مسألة الإفك.

فَقَالَتْ تَعِسَ مِسْطَحٌ فَقُلْتُ لَهَا بِئْسَ مَا قُلْتِ أَتَسُبِّينَ رَجُلًا قَدْ شَهِدَ بَدْرًا قَالَتْ أَيْ هَنْتَاهْ أَوْ لَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ.

قالت لها: أتسبين رجلًا شهد بدرًا؟ مع أنه تكلم في عرضها.

قُلْتُ وَمَاذَا قَالَ قَالَتْ فَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ.

أخبرتها بقول أهل الإفك اتهامها بالفاحشة –رضي الله عنها وأرضاها–.

قالت: فَازْدَدْتُ مَرَضًا إِلَى مَرَضِي.

زادت مرضًا إلى مرضها.

فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: «كَيْفَ تِيكُمْ». قُلْتُ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ آتِيَ أَبَوَيَّ.

قال أهل العلم: وهذا فيها فائدة: أن المرأة لا تذهب لبيت أبويها إلا بإذن زوجها. ليس كحال بعض النساء الآن، حصل شيء في البيت، مشت وخلت البيت. لا؛ مع هذا كله كانت مع الشرع –رضي الله عنها وأرضاها– أتأذن لي يا رسول الله ؟ وهي على ما فيها من المرض.

قَالَتْ: وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَتَيَقَّنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجِئْتُ أَبَوَيَّ فَقُلْتُ لِأُمِّي يَا أُمَّتَاهْ مَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ فَقَالَتْ يَا بُنَيَّةُ هَوِّنِي عَلَيْكِ فَوَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتْ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا وَلَهَا ضَرَائِرُ إِلَّا كَثَّرْنَ عَلَيْهَا.

تريد أن تهون على ابنتها، وهذا حال الأمهات، قالت: لقلما كانت امرأة وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا كثرن عليها. أي: أكثرن القول في عيبها وفي ما فيها؛ بدافع الغيرة.

قَالَتْ: قُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا.

فعلمت ذلك –رضي الله عنها– قالت: تحدث الناس بهذا؟!

قَالَتْ فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ ثُمَّ أَصْبَحْتُ أَبْكِي.

وكانت تبكي طول ليلها، لما سمعت. وكانت تبكي ولا ينقطع لها دمع، ولا تكتحل بنوم ثم أصبحت تبكي.

وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ.

دعاهم رسول الله حين أبطأ الوحي، ودعاهم ليستشير علي وأسامة في فراق أهله، في فراق عائشة –رضي الله عنها وأرضاها– وكل ذلك بسبب صنيع أهل الإفك في الصديقة بنت الصديق.

فقد وقعت في بلاء –رضي الله عنها وأرضاها– وما زالت إلى يومنا هذا تقع في بلاء هؤلاء الروافض –قاتلهم الله– في وصفها –رضي الله تعالى عنها وأرضاها بالفاحشة– فأسأل الله تعالى أن يرفع درجتها في عليين.

قَالَتْ: فَأَمَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ وَبِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ لَهُمْ مِنْ الْوُدِّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هُمْ أَهْلُكَ وَلَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا.

شهد أسامة رضي الله عنه بما يعلمه من عائشة –رضي الله عنها وأرضاها–.

وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: لَمْ يُضَيِّقْ اللَّهُ عَلَيْكَ وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ وَإِنْ تَسْأَلْ الْجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ.

يعني: أراد عليٌّ بهذا الكلام؛ لأنه رأى في ذلك مصلحة للنبي ﷺ في اعتقاده عليٌّ، لأنه رأى ﷺ انزعاج النبي ﷺ لهذا الأمر، وقلق رسول الله ﷺ من هذا الأمر، فأراد عليٌّ راحة خاطر رسول الله ﷺ، وكان ذلك أهم من غيره.

لأن نبينا ﷺ كان يحب عائشة –رضي الله تعالى عن عليٌّ وعن أسامة وعن عائشة ورضي الله تعالى عن الجميع–. الجارية هي بريرة أسألها.

قَالَتْ فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَرِيرَةَ فَقَالَ: «أَيْ بَرِيرَةُ هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيبُكِ مِنْ عَائِشَةَ». قَالَتْ لَهُ بَرِيرَةُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا قَطُّ أَغْمِصُهُ عَلَيْهَا أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ.

أن رأيت شيءُ أعيبه عليها في ماذا؟ تنام عن لأنها جارية حديثة السن، فيأتي الداجن ويأكل هذا العجين، هذا الذي أعيب عليها فقط.

واعتبرت أن هذا النوم بسبب أنها جارية حديثة السن، وهذا المنبغي كذلك مع الرجال لو تزوج امرأة صغيرة أن يعاملها كمعاملة المرأة أو الفتاة التي قد تكون فيها شيء بحداثة سنها، فيكون فطينًا.

قَالَتْ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ.

قال: من يعذرني فيمن آذاني في أهلي؟

قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: «يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَ أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي»[1].

هو يقصد صفوان.

فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الْأَنْصَارِيُّ فَقَالَ: أَنَا أَعْذِرُكَ مِنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَ مِنْ الْأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ.

يعني: أتولى أمره وأنصرك يا رسول الله. لأنه تعرض سعد بن معاذ على الخزرجي وكان رجلًا صالحًا، أخذته الحمية بقومه. لما قال سعد بن معاذ: أن كان من الأوس من قومي ضربنا عنقه. وأن كان من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك.

قَالَتْ: فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا وَلَكِنْ اجْتَهَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَا تَقْتُلُهُ وَلَا تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ.

فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَنَقْتُلَنَّهُ .

أخذتهم الحمية رضي الله عنهم وأرضاهم.

فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنْ الْمُنَافِقِينَ فَثَارَ الْحَيَّانِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ

يعني: تنازع الحيان وحصل بينهما النزاع، وكل منهما يتعصب لحيه.

---

(١) صحيح مسلم (٢٧٧٠).

حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَقْتَتِلُوا وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ.

كل ذلك وقع بسبب المنافقين بسبب أعداء الله وقد يحصل المقتل بسبب هؤلاء المنافقين، قاتلهم الله ﷻ.

قَالَتْ: وَبَكَيْتُ يَوْمِي ذَلِكَ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ ثُمَّ بَكَيْتُ لَيْلَتِي الْمُقْبِلَةَ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، وَأَبَوَايَ يَظُنَّانِ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي فَبَيْنَمَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي اسْتَأْذَنَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فَأَذِنْتُ لَهَا فَجَلَسَتْ تَبْكِي.

جاءت هذه الصحابية الجليلة لعائشة –رضي الله عنها وأرضاها– مسلية، فلما رأت من عائشة البكاء فبكت معها –رضي الله تعالى عنهم أجمعين–.

قَالَتْ: فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ قَالَتْ وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مُنْذُ قِيلَ لِي مَا قِيلَ وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي بِشَيْءٍ.

كما كان في قصة كعب؛ لم يُوحى شيء، نعم.

قَالَتْ: فَتَشَهَّدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ جَلَسَ.

يعني: تشهد كما يكون في الخطبة.

ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبٍ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ»(١).

وهذا من البلاء الذي وقع على رسول الله ﷺ، فالأنبياء يُبتلون، الأمثل فالأمثل، وقد وقع البلاء في فراشه، وبقي كما رأيتم ما كان منه -صلوات ربي وسلامه عليه-.

قَالَتْ: فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً.

وقف دمعي؛ لما قال لها النبي ﷺ: إن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه؛ استعظامًا لقوله.

فَقُلْتُ لِأَبِي: أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا قَالَ فَقَالَ وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ لِأُمِّي أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

يعني: جارية حديثة سنها صغير، تقول: يا أبي أجب رسول الله ﷺ، فقالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله.

فَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ لَا أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنْ الْقُرْآنِ إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ

---

(١) صحيح مسلم (٢٧٧٠).

بِهَذَا حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي نُفُوسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ؛ فَإِنْ قُلْتُ لَكُمْ: إِنِّي بَرِيئَةٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنْ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُونَنِي وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا كَمَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ.

قَالَتْ: ثُمَّ تَحَوَّلْتُ فَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي؛ قَالَتْ: وَأَنَا وَاللَّهِ حِينَئِذٍ أَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ مُبَرِّئِي بِبَرَاءَتِي وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ يُنْزَلَ فِي شَأْنِي وَحْيٌ يُتْلَى وَلَشَأْنِي كَانَ أَحْقَرَ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَى.(١)

يعني: أملها بالله ﷻ عظيم ورجائها بالله كبير، وهذا هو حال المؤمن؛ حين البلاء أن يكون أمله بماذا؟ برب السماء ﷻ.

وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ بِهَا قَالَتْ فَوَاللَّهِ مَا رَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَجْلِسَهُ وَلَا خَرَجَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ أَحَدٌ.

لم يتحركوا من المجلس في البيت.

حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنْ الْبُرَحَاءِ عِنْدَ الْوَحْيِ.

يعني: الثقل ما يكون عليه عندما يأتيه الوحي.

---

(١) صحيح مسلم (٢٧٧٠).

حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنْ الْعَرَقِ فِي الْيَوْمِ الشَّاتِ مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ.

﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾[المزمل:٥].

قَالَتْ: فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَضْحَكُ فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ: «أَبْشِرِي يَا عَائِشَةُ أَمَّا اللَّهُ فَقَدْ بَرَّأَكِ». فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَيْهِ. فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ بَرَاءَتِي.

يعني: في بيت النبوة؛ حصل هذا البلاء كله في بيت رسول الله ﷺ؛ لأنه قد تُكلم في عرضه، لعائشة التي هي زوج رسول الله ﷺ، وقد تُكلم في عرضها، لأمها -رضي الله تعالى عنها وأرضاها- الذي تُكلم في عرض ابنتها، وأبي بكر الصديق ﷺ وأرضاه الذي هي صاحب رسول الله ﷺ وخليفة رسول الله ﷺ، قد وقع البلاء على هذا البيت.

بلاء عظيم للغاية؛ فضحك، حصل أنه ضحك فرحًا بما قد أنزل الله ﷻ من تبرئة حبيبته -رضي الله تعالى عنها وأرضاها-، فلما سُري عن رسول الله ﷺ فكان أول كلمة يقولها وهو يضحك: «أبشري يا عائشة».

قَالَتْ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ﴾ عَشْرَ آيَاتٍ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ بَرَاءَتِي.

قَالَتْ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ: وَاللَّهِ لَا أُنْفِقُ عَلَيْهِ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ.

فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾[1].

وهذا من فضله ﷺ وأرضاه.

قَالَ حِبَّانُ بْنُ مُوسَى قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: هَذِهِ أَرْجَى آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ وَقَالَ لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا.

تراجع أبو بكر عن قسمه؛ لأنه قال: والله لا أنفق عليه شيئًا، لكن لما رأى من مصلحة أن ينفق عليه إن ذلك ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ رجع عن قسمه. وهذا هو المنبغي. أن الإنسان لو رأى أمرًا أقسم عليه وأن هناك أمر آخر فيه مصلحة فإنه له أن ينزع من قسمه السابق، ويكفر عن يمينه.

قَالَتْ عَائِشَةُ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَمْرِي مَا عَلِمْتِ أَوْ مَا رَأَيْتِ.

يعني: ما علمت من عائشة أو ما رأيت من عائشة.

فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْرًا. قَالَتْ عَائِشَةُ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ وَطَفِقَتْ أُخْتُهَا حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ تُحَارِبُ لَهَا فَهَلَكَتْ فِيمَنْ هَلَكَ.

---

(١) صحيح مسلم (٢٧٧٠).

لكنها لم تكن غيرتها تخالف الشريعة، فقالت عائشة: فعصمها الله بالورع؛ وهذا هو المنبغي على النساء أن يكن عندهن هذا الورع. يعني: حصل من حمنة أنها هلكت فيمن هلك.

قَالَ الزُّهْرِيُّ –رحمه الله– : فَهَذَا مَا انْتَهَى إِلَيْنَا مِنْ أَمْرِ هَؤُلَاءِ الرَّهْطِ وَقَالَ فِي حَدِيثِ يُونُسَ احْتَمَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ.

طبعًا في هذا الحديث ذكر فيه النووي أربعًا وخمسين فائدة، ونحن واعدناكم إلى أن نبقي إلى متى؟ وراجعوا فيها في فتح الباري لابن حجر، وكذلك راجعوا فيها شرح النووي الذي ذكر فيها أربعًا وخمسين فائدة.

هذا الحديث؛ قال فيه النووي: واعلم أن في حديث الإفك فوائد كثيرة، ذكر من الفوائد أربعًا وخمسين فائدة.

"باب براءة حرم النبي صلى الله عليه وسلم من الريبة"

■ حدثني زهير بن حرب حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا ثابت عن أنس: أن رجلًا كان يتهم بأم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعليٍّ: «اذهب فاضرب عنقه»؛ فأتاه عليٌّ فإذا هو في ركي يتبرد فيها. فقال له عليٌّ: أخرج فناوله يده فأخرجه فإذا هو مجبوب ليس له ذكر فكف علي عنه ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إنه لمجبوب ماله ذكر.[1]

---

(١) صحيح مسلم (٢٧٧١).

الشرح

كان في بئر يتبرد. فإذا هو مجبوب ليس له ذكر، وهذا ما هو حاله، لا يحصل منه شيء، فكف عليٌّ عنه. وهذا فيه براءة حرم رسول الله ﷺ من الريبة.

قال بعض أهل العلم كيف يأمر النبي ﷺ؟ ما الجواب على أمر رسول الله ﷺ لعليٍّ أن يقتل ولم يثبت شيء بعد، فقال له: لعله علم منه أنه كان منافقًا، وقيل: أراد أن يتبين أكثر أنه مجبوب. والله تعالى أعلى وأعلم.

للاستماع إلى تسجيل الدورة يرجى زيارة الرابط
【 الدورة العلمية الشرعية 】

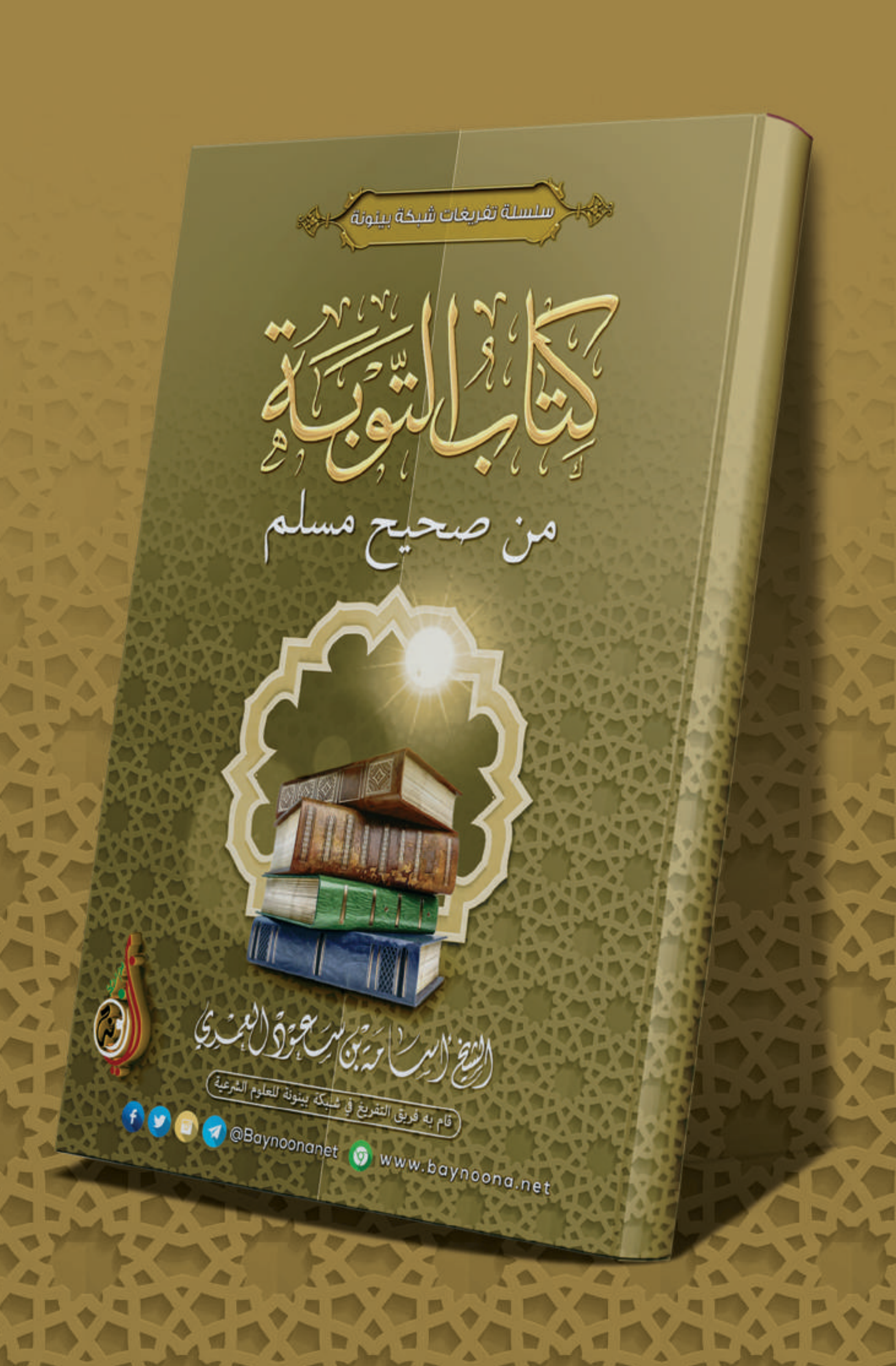
"كتاب التوبة من صحيح مسلم"
- الدرس ❶ -
http://www.baynoona.net/ar/audio/6841/1
- الدرس ❷ -
http://www.baynoona.net/ar/audio/6863/2
- الدرس ❸ -
http://www.baynoona.net/ar/audio/6890/3
- الدرس ❹ -
http://www.baynoona.net/ar/audio/6914/4
- الدرس ❺ -
http://www.baynoona.net/ar/audio/6940/5

✍ للشيخ : أسامة بن سعود العمري

شبكة بينونة للعلوم الشرعية

أقيمت الدورة بتاريخ: ٣-٢٠١٧/١١/٧

✍ تاريخ تفريغها : ٠٩ / ٢٠١٧/١١


سلسلة تفريغات شبكة بينونة
كتاب التوبة
من صحيح مسلم
الشيخ أسامة بن سعود العمري
قام به فريق التفريغ في شبكة بينونة للعلوم الشرعية
@Baynoonanet
www.baynoona.net